العمارة الإسلامية في مصر



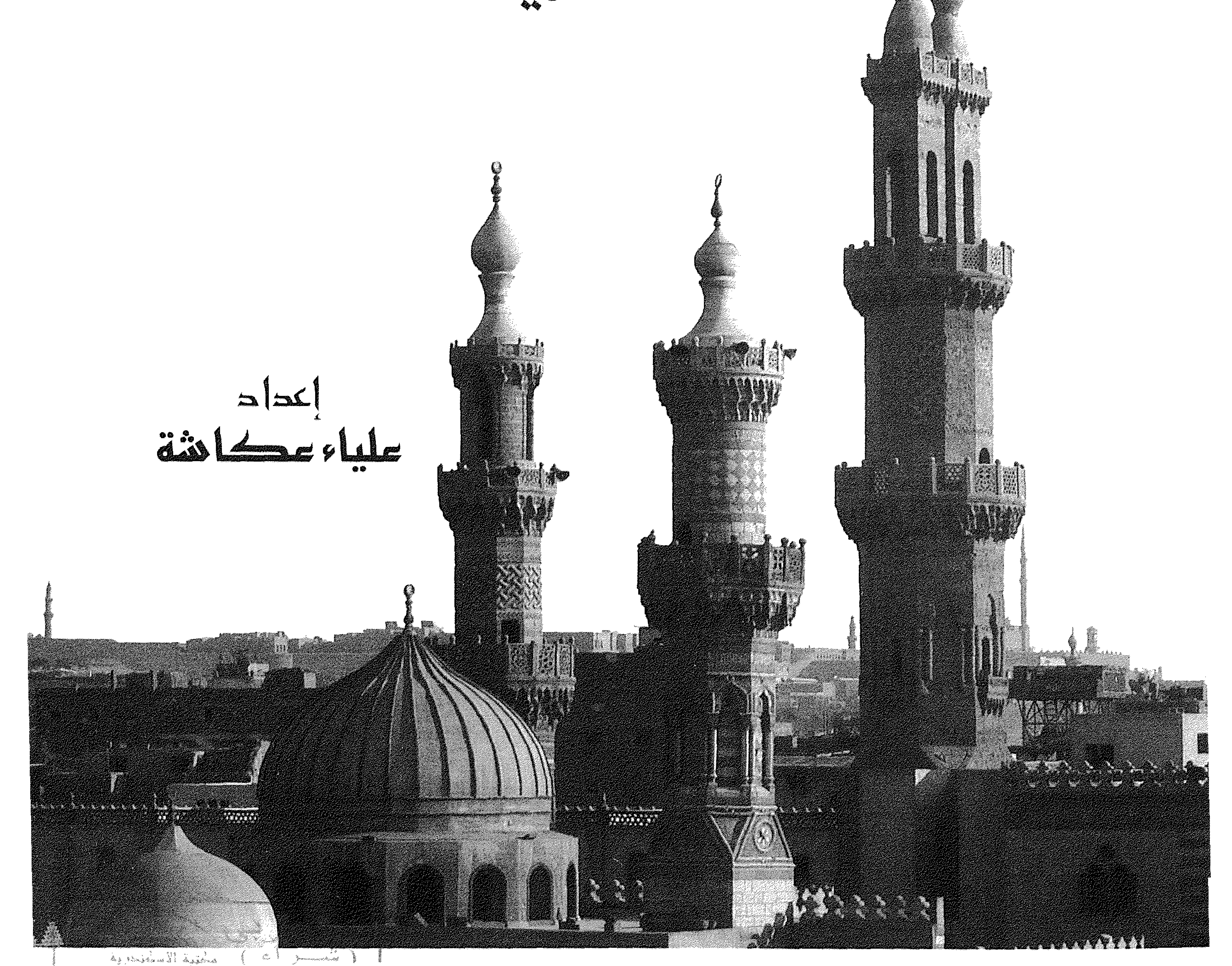
إعداد

علياء عكاشة

العمارة الإسلامية في مصر

إعداد

علياء عكاشة



عبد الغني، علياء.

العمارة الإسلامية/ تأليف : علياء عكاشة .

الجيزة - بردي للنشر، ٢٠٠٨ .

٩٦ ص، ٢٣ سم .

تدمك : ٨ - ١٦٢ - ٣٣٣ - ٩٧٧ .

١ - العمارة الإسلامية .


أ- العنوان .

I.S.B.N 977-333-162-8

ديوى ٧٢٣,٣



الفهرس



الفن الإسلامي

ظهر الإسلامُ في شبه الجزيرة العربية بعد انتشار المسيحية بستَّة قرون،كانت الحياةُ في شبه الجزيرة العربية تتميَّز بالبساطة، فلم يعرف العربُ مظاهرَ الحضارة التقليدية التي عرفتْها حضاراتُ العالم القديم، فلم تنتشر الكتابةُ بين العرب ولم يُسجَّل من تراثهم الفكري والأدبي سوى أقلِّ القليل. واعتمد العربُ في نقل تراثهم على النَّقل الشفاهي عبر الأجيال المختلفة، وكان معظمُ ما نقلوه هو أشعارُهم وأمثالُهم وحكَمُهم وشيء من النَّوادر وأنساب القبائل. تميَّزت حياةُ العرب بالبداوة والبساطة، فطبيعة الصحراء القاسية فرضت نفسها على أبنائها، فتنقَّلوا بين أطرافها بحثًا عن الماء ومقوِّمات الحياة، وفي مكَّة (قلب شبه الجزيرة العربية) تركَّزت حياةُ السكَّان حول التجارة وسقاية حجيج الكعبة والعناية بها. ولمَّا ظهر الإسلامُ لم تتغيَّر منجزاتُ العرب كثيرًا، بل تغيَّرت حياتُهم الروحية والإنسانية التي انتقلت من عبادة الأوثان إلى عبادة إله واحد والتآخي بين البشر دون فرق بين عربي وأعجمي.

انشغل الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- بنشر الإسلام، والدعوة إلى الله، وتقوية دعائم الدولة الإسلامية. وكان الإسلامُ كدين يتَّصف بالبساطة والزهد، وقضى الرسول معظم أوقات الدعوة في صدِّ الأذى عن المسلمين والالتحام مع أعداء الإسلام، فترك الإسلامُ -بعد وفاة الرسول- تراثًا روحيًا عظيمًا، إلَّا أنه لم يترك تراثًا ماديًا. وسار الخلفاء الراشدون الأربعة على نفس النَّهْج، فاهتمُّوا بنشر الدعوة الإسلامية وتبليغها لباقي الأمم، ولم يظهر ما يمكن أن نطلقَ عليه «فن إسلامي» إلَّا بعد تمام الاستقرار للدولة الإسلامية وبلوغها قدرًا من القوَّة والثبات مكَّنها من التواجد بين الأمم الأخرى، وذلك بداية من نهاية القرن الأول الهجري تقريبًا، واستمرَّ عدَّة قرون، طوال الفترة التي كان يوجد فيها خليفةٌ للمسلمين، أي حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ويمكن أن نطلقَ مصطلح «فن إسلامي» على تلك الفنون؛ لأنَّ الإسلام كان محور الحياة في تلك العصور، وكان المصدرَ الرئيسي للقوانين ومظاهر الحياة، وتحوَّلت المشاعر والأفكار الروحيةُ إلى مظاهرَ ماديَّة فتحوَّلت إلى عمائرَ لها مواصفاتٌ تختلف كثيرًا عن غيرها من المميِّزات والمواصفات الفنِّية الخاصَّة بالفنون الأخرى. ونظرًا للتوسُّع الكبير في العالم الإسلامي ونجاح الفتوحات؛ فقد اختلطت تلك المشاعر بالتراث القديم الذي تركته الحضارات السابقة، مثل: الحضارة البيزنطية في مصر والشام، والحضارة الساسانية في فارس وبلاد السند، وغيرها، فاجتمعت كلُّ تلك العناصر وانصهرت معًا وتبلورت حتى أخرجت فنًا جديدًا يختلف عن فنِّ الحضارات السابقة. وبفضل الجانب

الروحي الذي حاول المسلمون ترجمتَه في فنونهم تشابهت السِّماتُ العامَّة للفنون الإسلامية رغم اتِّساع رقعة العالم الإسلامي من الأندلس غربًا إلى حدود الهند والسند شرقًا، وفي ذات الوقت كان للفنون الإسلامية في المناطق المختلفة سماتُها الخاصَّة تبعًا لتراثها القديم وبيئتها وشخصيَّتها المستقلَّة.

البداية

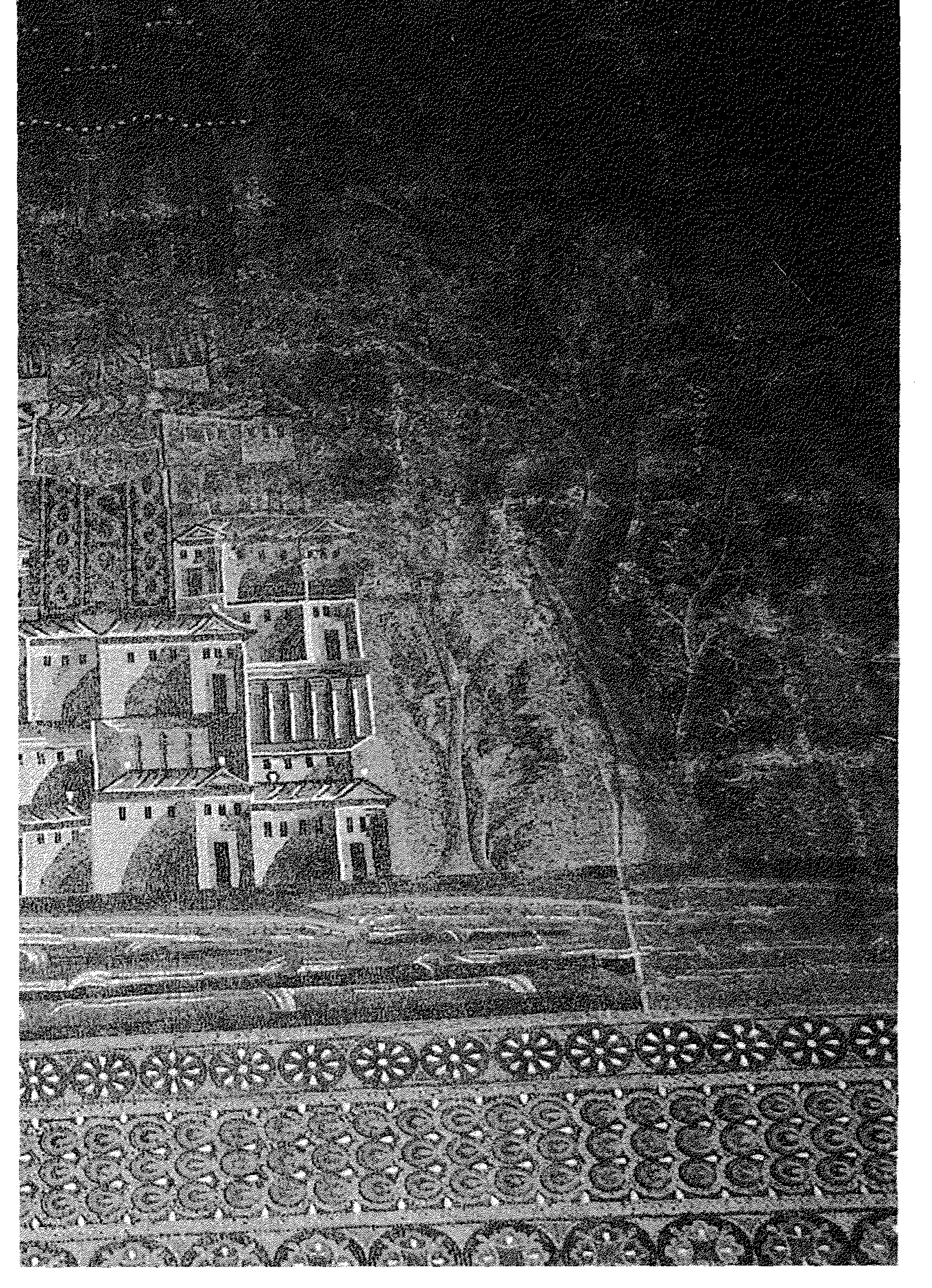
ظهرت بوادرُ الفنِّ الإسلامي مع ظهور الدولة الأموية في دمشق، وأول ما ظهرت تلك الملامح الأولى ظهرت في الفنون المعمارية، وخاصَّة في المساجد حيث احتاج المسلمون لبناء مكان لعبادتهم وتجمُّعهم باعتبار المسجد هو المركز الروحي لهم. ومع احتكاك العرب بغيرهم من الحضارات الأخرى ظهرت حاجتُهم للتميُّز والاختلاف عن الأمم الأخرى. وبمرور الزمن وتتابُع الدول الإسلامية تطوَّر الفنُّ الإسلامي وعناصرُه المختلفة، فمن بغداد انطلق الطراز العباسي، ومن مصر انطلق الطراز الفاطمي والمملوكي، ومن تركيا انطلق الطراز العثماني، ومن فارس انطلق الطراز الفارسي، وهكذا.

بحر بنطس
أرمينيا
بحر الخزر
صقلية
الامبراطورية البيزنطية
بحر الروم
الجزيرة
أفريقية
الشام
العراق
فارس
مصر
خليج البصرة
الجزيرة العربية
النوبة
بحر القلزم
بحر العرب

فتوحات الخلفاء الراشدين | عهد رسول الله | عهد أبي بكر | عهد عمر | عهد عثمان

مميزات الفن الإسلامي

تميَّز الفنُّ الإسلامي بعدد من الخصائص التي لازَمَتْه لفترةٍ طويلة، وأكسبَتْه الشكلَ المميَّز الذي يمكن التعرُّف علية بسهولة. فالزخرفة بكلٍّ ما تمثله من دقَّة وحِرْفيَّة عالية كانت سمةً هامةً في الفنِّ الإسلامي؛ سواء كان معماريًا كالمساجد، والقصور، والأسْبلة، أو كان جزءًا من النسيج أو الرسم على المعادن والحفر على الخشب، حتى صارت الزخرفةُ فنًا إسلاميًا قائمًا بذاته. كما وظَّف الفنَّانُ المسلمُ ذلك الفنَّ في التعويض عن غيابِ الفنون الأخرى مثل فنِّ التصوير الذي ابتعد عنه المسلمون في العصور الأولى مخافةَ التحريم، فأصبحت الزخرفةُ مخرَجًا لطاقات الفنَّان المسلم، حيث غلبت الأشكالُ الهندسيةُ والرسوم النباتية على أشكال الزخرفة بدلاً من تصوير الإنسان والحيوان، كما أصبح التكرار اللامتناهي تعبيرًا عن وحدة الكون وقدرة الخالق اللامحدودة، وعُرِف هذا الفنُّ باسم «الأرابيسك»، كما تميَّز الفنُّ الإسلامي بكثرة استخدام الكتابة فيما عُرِف بـ«فنِّ الخط العربي»، حيث وظَّف المسلمون آيات القرآن في مساجدهم كجزء من إجلالهم للقرآن الكريم وتذكرة لمعانيه باعتباره دستورَ المسلمين ومصدرَ تشريعاتهم، وهو ما جعل الأبجدية العربية تتحوَّل إلى فنٍّ في حدِّ ذاتها، حيث تفنَّن الفنَّانُ المسلمُ في تجميل الأحرف العربية التي تشرَّفت بحمل آيات القرآن الكريم. وهكذا جمع الفنُّ الإسلامي بين عدَّة عناصر ندر أن يجمع فنٌّ بينها؛ فهو فنٌّ تعبيري له ملامح جمالية وعملية في آن واحد. ومن جانب آخر فهو فنٌّ يختلط بالروحانية من حيث ارتباطه بالدين الذي هو نبعُه الأساسي ومصدرُ تميُّزه عن الفنون الأخرى.



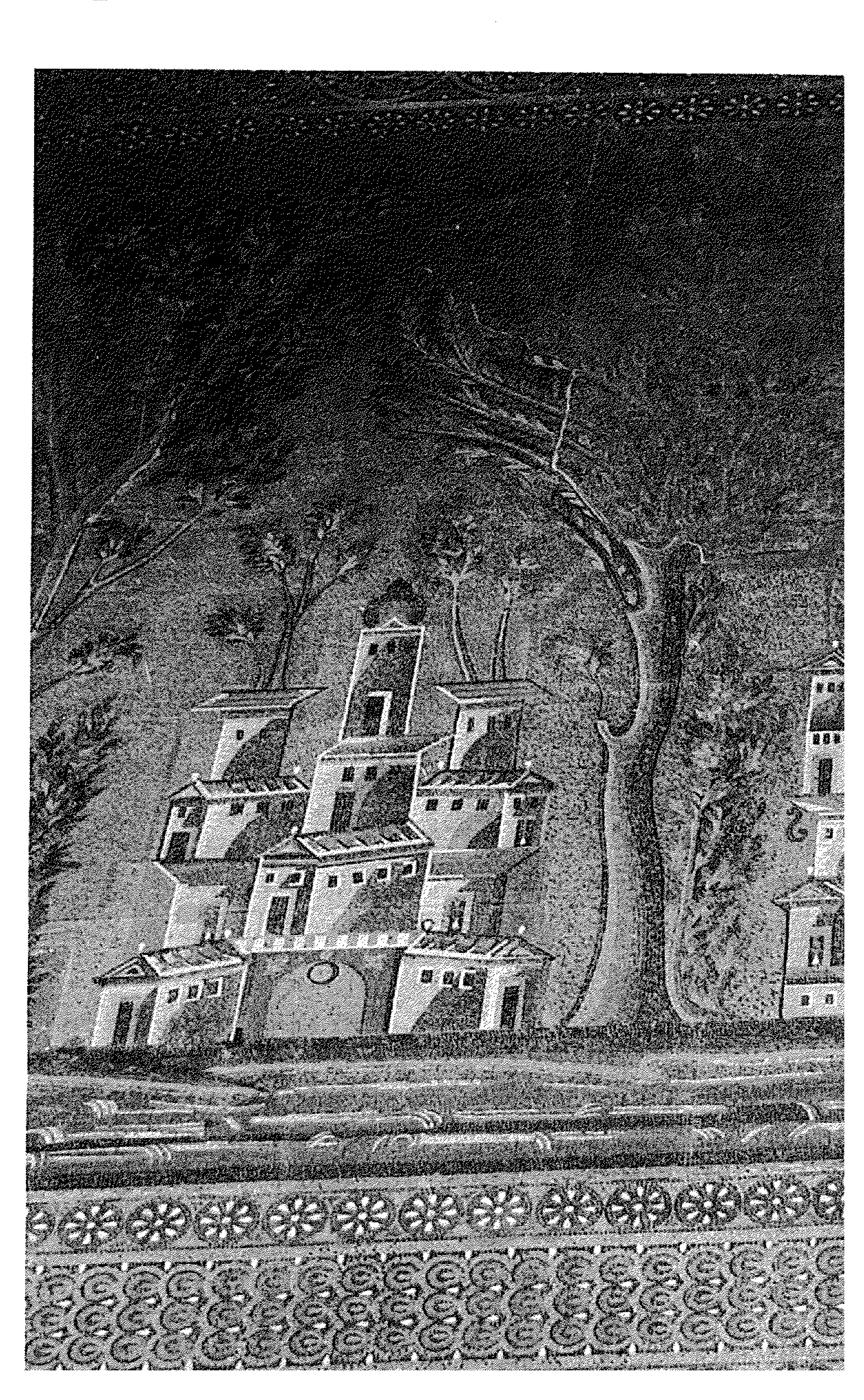
فسيفساء من المسجد الأموي (دمشق)

جمع الفنُّ الإسلامي بين نقيضين قلَّ أن يجتمعا، فقد تميَّزت العمارةُ الإسلامية بفخامتها وحجمها المهيب، وفي ذات الوقت تفوَّقت الفنونُ الإسلاميةُ الدقيقةُ صغيرةُ الحجم والأبعاد كالزخرفة والمنمنمات.

معظم الفنون المعمارية الباقية هي من المساجد، وهي المركز الروحاني للإسلام، لكنها بالرغم من ذلك جمعتْ في تصميمها بين وظيفتها كمكان لإقامة الصلوات ومركز تجمُّع المسلمين وبين الجمال الفني، وهو نفس الأمر الذي ينطبق على باقي الفنون الإسلامية مثل الحفر على المعادن، والخشب، والسجاجيد. وكلُّها فنون استُخدمت في صناعة أدوات وأشياء تُستخدَم في الحياة اليومية، ونادرًا ما كانت قطعًا للزينة في حدِّ ذاتها. وهكذا جمعت الفنونُ الإسلاميةُ بين عدد من الخصائص العامَّة التي ميَّزتها عن باقي فنون الحضارات الأخرى.

لماذا فن .. لماذا إسلامي ؟

يُطلَق لفظ «فن إسلامي» على المنجَزات الفنِّية التي قدَّمها الفنان العربي في الفترة ما بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى القرن التاسع عشر، وتميَّزت بطابع خاصٍّ مستوحًى من الدين الإسلامي، كالخطِّ العربي، أو من عقائد وشريعة الدين الإسلامي مثل الزخرفة عوَضًا عن التصوير، ويمكن أن يُطلَق عليها بشكل عامٍّ «الفنون التي أنتجها المسلمون تأثرًا بعقيدتهم، فصار لها خصائصُ وسمات شكلية معروفة استمرَّت كفنٍّ قائم بذاته بعيدًا عن الجانب الديني»، وذلك في الفترة التي يرى المؤرِّخون أنها تمتدُّ من بداية العصر الأموي (أي منتصف القرن الأول الهجري) حتى نهاية العصر العثماني، أي حتى منتصف القرن الثامن عشر تقريبًا، وهذه هي الفترة التي يتمُّ تناولها في هذا الكتاب.



مصر الإسلامية

مصر بعد الفتح الإسلامي

عرفت مصرُ الإسلامَ على يد الفاتح «عمرو بن العاص» الذي دخلها عام 19هـ من جهة العريش، واستمرَّ في التقدُّم إلى قلب مصر دون مقاومة كبيرة. ولمَّا وصل إلى منطقة عين شمس هزم جيش قائد الروم «تيودور»، ثمَّ انتقل جيش عمرو بعدها لحصار حصن «بابليون» وعُقدت المفاوضات بين عمرو ومقوقس مصر (حاكمها الإدراي) وكان يُدعى «سيروس أوقيدس»، وطلب المقوقس مهلةً ليعرض الأمر على الإمبراطور البيزنطي «هرقل»، حيث كانت مصرُ تابعةً للإمبراطورية الرومانية. فرفض عمرو، واستمرَّ حصارُ جيشه للحصن سبعةَ أشهر، نجح بعدها في اقتحامه، ودارت المعاركُ القويَّة بين جيش الروم وجيش عمرو، وانتهت بفتح الحصن وانتصار جيش عمرو، وعقد صلحًا بينه وبين الروم بشرط خروجهم وتسليم الحصن. انطلق عمرو بعد ذلك لفتح الإسكندرية وتمَّ له ما أراد. وكان مقرُّ الخلافة خلال تلك الفترة التاريخية كالآتي:

المدينة المنورة: في عصر الخلفاء الراشدين (أبي بكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفَّان).

الكوفة: في عصر رابع الخلفاء الراشدين الإمام علي بن أبي طالب.

دمشق: في عصر الأمويِّين.

بغداد: في عصر العبَّاسيِّين.

الفسطاط

بنى عمرو بن العاص الفسطاطَ لتكونَ عاصمةً لمصر الإسلامية، وقد سُمِّيت بهذا الاسم تيمُّنًا بفسطاط (خيمة) عمرو التي نصبها لنفسه وقتَ حصار حصن بابليون، وبنى في الفسطاط أوَّل مسجد في مصر، وهو المسجد العتيق أو مسجد عمرو. كان المسجدُ في أوَّل العهد صغير المساحة يبلغ نحو خمسين



ذراعًا طولاً وثلاثين ذراعًا عرضًا، وله بابان وسقف منخفض، ثمَّ أُضيفت إليه -بمرور الزمن- زيادات كثيرة، مثل: المحراب المجوَّف والمآذن وغيرها، كما وُسِّع مرَّات عديدة. وقد بُنيت بخلاف المسجد قصورٌ فخمة مثل «قصر الجنَّة» الذي بناه عبد الله بن سعد، و«الدار البيضاء» التي بُنيت للخليفة الأموي «مروان بن الحكم» عام 65 هـ، والدار المذهَّبة للوالي الأموي «عبد العزيز بن مروان» عام 67هـ، كما بنى «عبد العزيز بن مروان» مدينةَ حلوان، وبُنيت مقاييسُ النيل، ومشاريع الرَّي، والمصارف والتُّرع. واستمرَّت الفسطاطُ عاصمة مصر في عهد الخلفاء الراشدين وعهد الخلافة الأموية، حتى سقطت دمشق -عاصمة الخلافة الأموية- في يد العبَّاسيِّين، وانضمَّت مصر بدورها للحكم العباسي، فأسَّس العبَّاسيُّون مدينةَ «العسكر» عاصمةً لهم في مصر.

العسكر

بُنيت العسكرُ، ثانية عواصم مصر، سنة 132هـ/ 750م شمالَ مدينة الفسطاط، وبالقرب من جبل يُدعَى «جبل يشكر». وحين انتهي الحكمُ الأموي وآلت الخلافةُ الإسلامية للعباسيِّين نقلوا عاصمةَ الخلافة إلى بغدادَ، وأصبح «صالح بن علي» حاكمًا على مصرَ، وأسَّس صالحُ في «العسكر» قصرًا للإمارة صار مقرًا للحكم حتى تولَّى «أحمد بن طولون» حُكمَ مصر فاستقرَّ فترة بالعسكر حتى ضاقت عليه وعلى جنده.


مسجد عمرو بن العاص

الدولة الطولونية

القطائع

لمَّا ضاقت الفسطاطُ بساكنيها، أسَّس حاكمُها «أحمد ابن طولون» مدينةَ القطائع عام 256هـ، لتكونَ عاصمةً لحُكْمه، و تأثَّر في بنائها بتخطيط مدينة «سامرَّاء» في العراق حيث وُلد وتربَّى، وسُمِّيت بالقطائع لأنها كانت مقسَّمةً إلى عدَّة أقسام أو قطائعَ تضمُّ كلٌّ قطيعة جماعةً من السكَّان يربط بينهم الجنسُ أو العملُ، وبنى «ابنَ طولون» قصرًا كبيرًا بميدان الرملية عام 254 هـ/ 872 م، وأقام أمام قصره ميدانًا للعب حتى أصبح القصرُ نفسُه يُعرف باسم قصر الميدان، ومنح ابن طولون لكلِّ أمير من أمراء جيشِه حيًا يسكن فيه، وسُمِّيت الأحياءُ باسم أمراء الجيوش أو طوائف العسكر التي نزلت للسكن فيها، وبنى ابن طولون فوق جبل يشكُر جامعَه وبجواره دار الإمارة. وبقيت القطائعُ عاصمةً لحكمِ مصرَ أثناءَ الحكم الطولوني، وكان الحكَّام الطولونيُّون هم:



- أحمد بن طولون.
- خمارويه بن أحمد.
- جيش بن خمارويه.
- هارون بن خمارويه.
- شيبان بن أحمد.

أحمد بن طولون

تركي الأصل، وُلد عام 220هـ في « سامرَّاء » بالعراق، نشأ نشأة عسكرية، وتفوَّق في الدارسات الدينية، وحفظ القرآن الكريم. تولَّى حرسَ الخلافة بعد وفاة أبيه الذي كان يشغل هذا المنصب، ثمَّ تولَّى ولايةَ مصر خَلفًا لزوج أمِّه « باكباك » التركي عام 257، واستطاع ابن طولون أن يجهِّز لمصر جيشًا قويًا وأن يُحكِمَ قبضته على البلاد، وأحبَّه الشعبُ، واستطاع أن يقفَ في وجه الخلافة العباسية محافظًا على استقلال البلاد حتى توفِّيَ عام 270 هـ.

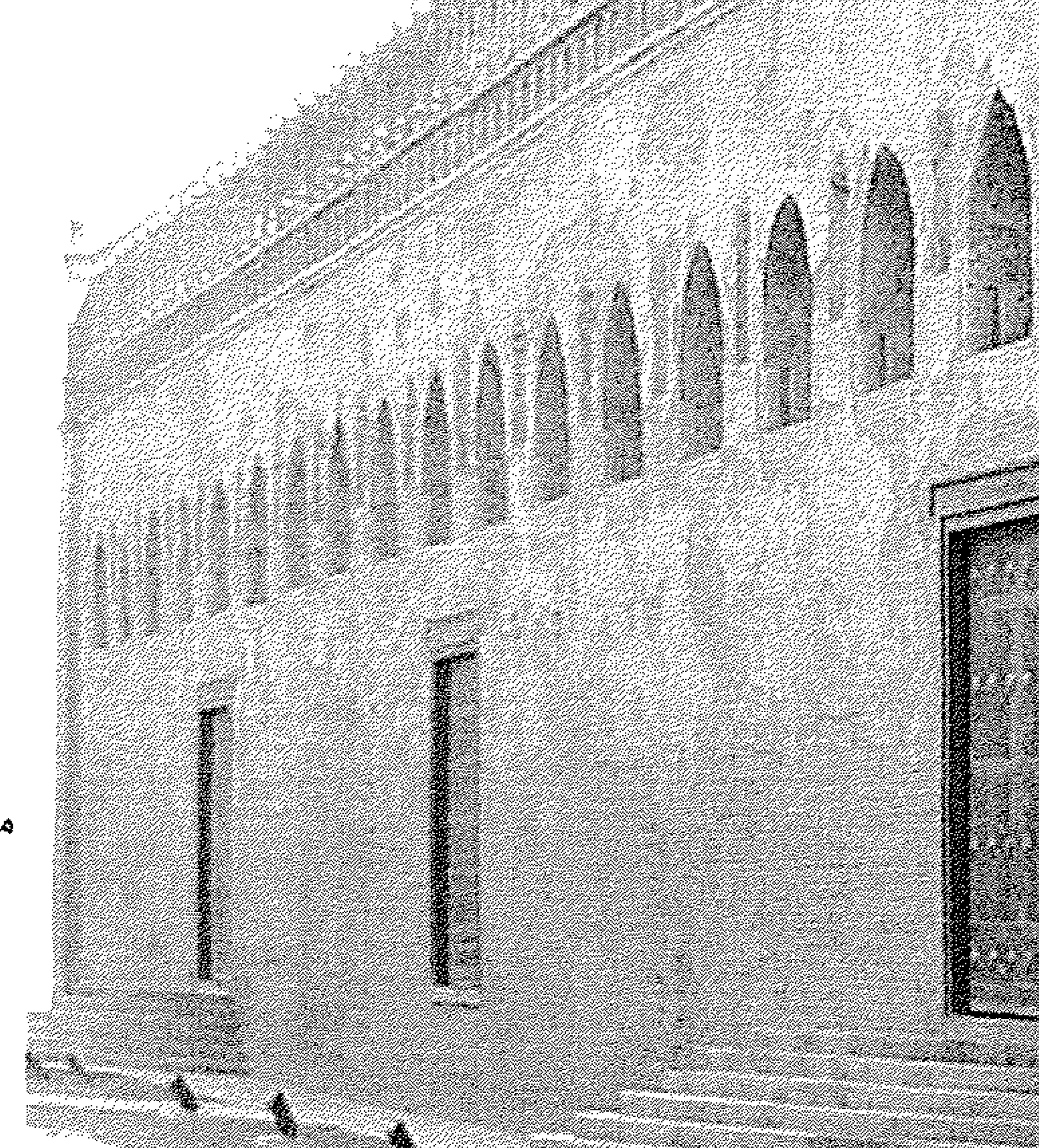
الإخشيديُّون (323 - 358 هـ / 935 - 969 م)

ينتسبون لمؤسِّس الدولة الإخشيدية بمصر وهو « محمد بن طغج بن جف » ولقبُه « الإخشيد »، وهو لقب في موطنه الأصلي « تركستان »، ويعني ملك الملوك. كان والد الإخشيدي واليًا على دمشق وطبرية في عهد الملك « خمارويه بن طولون ».

وقد وُلد « محمد بن طغج الإخشيدي » ببغداد عامَ 294هـ، ورافق أباه في حكمه لدمشق. وبعد وفاة والده التحق بخدمة والي مصر « تكين الخزري » الذي أوكل إليه عدَّة مهامَّ في الشام ومصر. وحين أنقذ عاملَ الخراج في مصر « محمد بن جعفر القرطبي » من مؤامرة لقتله بادر ابن جعفر القرطبي لدى الخليفة المقتدر ليولِّيَه دمشقَ عام 319هـ، وبعدها سعى « محمد بن طغج » في بلاط الخلافة طويلاً حتى ولَّاه الخليفة العبَّاسي « الراضي بالله » ولاية مصر عام 323 هـ.

استطاع محمد بن طغج الإخشيدي أن يحقِّق الاستقرار والتوازن لمصر بين عدد من الدول القوية مثل الدولة العباسية في بغداد، والفاطمية في المغرب، والحمدانية في باقي بلاد الشام. وقد خلف محمد بن طغج باقي نسلُه حتى دخول الفاطميِّين مصر:

- أبو القاسم أنوحور بن الإخشيد.
- أبو الحسن علي بن الإخشيد.
- أبو المِسْك كافور.
- أبو الفوارس أحمد بن علي.

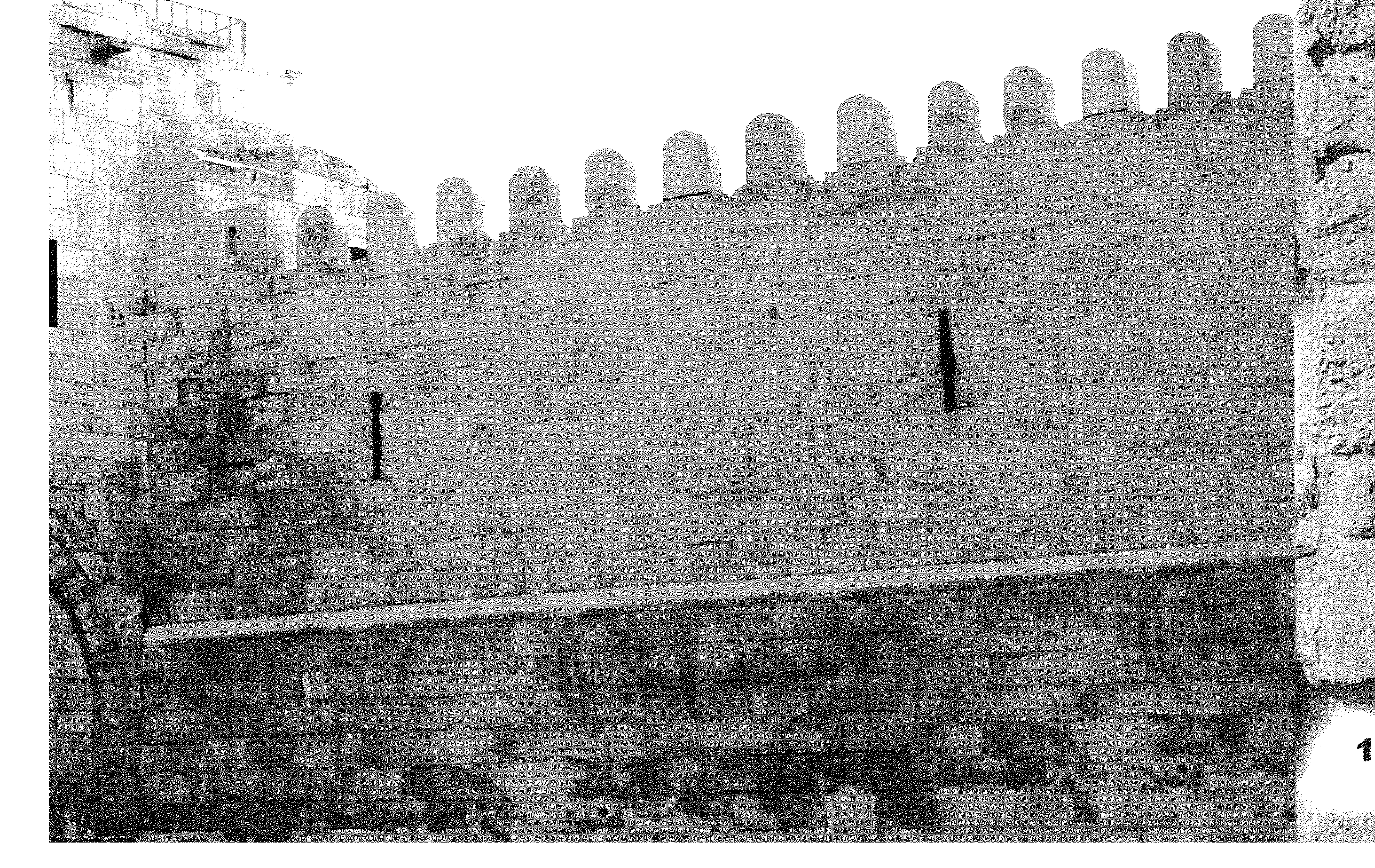

مسجد أحمد بن طولون

الفاطميُّون

ينتسب الفاطميُّون إلى الإمام الحسين بن علي بن أبى طالب، وقد سُمُّوا بالفاطميِّين نسبة للسيدة «فاطمة الزهراء» ابنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوجة الإمام علي، وأمِّ الإمام الحسين.

فهم ينتسبون إلى أبناء «عبيد الله المهدي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبى طالب»، ويُعرفون بالإسماعيلية نسبة إلى الإمام السابع في المذهب الشيعي.

وقد بادر الفاطميُّون بالسعي نحو الخلافة لاعتقادهم في أحقِّيَّة نسل الإمام عليٍّ بالخلافة، وقد حاولوا في عصر الخلافتين الأموية والعباسية الوصول للحكم دون جدوى. فقد تمَّت مواجهةُ كلِّ دعواتهم بالرفض والمحاربة، حتى اضطرُّوا للدعوة لأنفسهم سرًا، وانقسموا لعدَّة طوائف ومذاهب، ومنهم «الإسماعيلية» الذين بدأت دعواهم في اليمن وانتقلت إلى المغرب حين وصل الإمام الشيعي «عبيد الله المهدي» للخلافة عام 297 هـ في المغرب وخلفه الخليفة القائم بأمر الله، ونجح في إنشاء أسطول قوي مكَّنه من فتح جنوب إيطاليا، وأنشأ الخليفةُ التالي «المنصور الفاطمي» عاصمة تُسمَّى «المنصورية»، ووصلت دولةُ الفاطميِّين أقصى اتِّساع لها في عهد الخليفة «المعز لدين الله الفاطمي» (143- 563 هـ) حين وصل حدود مصر.



حُكْم الفاطميِّين

حاول الفاطميُّون فتحَ مصر عدَّة مرَّات في سنوات 301، 307، 321 هـ، وفي كلِّ مرَّة اضطرُّوا للعودة إلى المغرب مرَّة أخرى.

ساءت أحوالُ مصر في عهد «كافور» وبعد وفاته، كذلك ضعفت أحوالُ الخلافة العبَّاسية بحيث عجزت عن الدفاع عن ولاياتها، ممَّا سهَّل دخول الفاطميِّين مصر عام385هـ بقيادة «جوهر الصقلِّي»، وهو أحد مماليك الخليفة المعزِّ لدين الله الفاطمي، أصلُه من جزيرة صقلِّيَة، وقد ترقَّى في المناصب حتى صار كاتبَ الخليفة، وتولَّى الوزارة، واختاره المعزُّ لقيادة الجيوش المتَّجهة إلى مصر، فنجح في فتحها بفضل الظروف المحيطة بضعف مصر وتهيئة نفوس المصريِّين لقدوم الفاطميِّين بسبب محاولات غزوهم السابقة، وقد كسبوا تعاطف المصريِّين لانتمائهم لآل البيت، وقد كتب «جوهر الصقلِّي» عهدًا لأهل مصر بنشر العدل والسلام وإصلاح أحوال البلاد.



سور القاهرة الفاطمية

القاهرة

هي رابع عاصمة لمصر بعد الفسطاط، والعسكر، والقطائع. وقد بناها القائدُ الفاطمي «جوهر الكاتب الصقلّي» بأمر الخليفة الفاطمي «المعز لدين الله الفاطمي»، وصارت دار الخلافة في العهد الفاطمي، واستمَّرت عاصمةً لمصر حتى الآن.

وقد اختطَّ جوهر الصقلّي القاهرةَ بنفسه. واستقرَّت كلُّ قبيلة في مكان عُرف باسمها، فوُضعت قبيلة «زويلة» في المكان المعروف الآن باسمها، ووُضع أهل «برقة» في حارة عُرفت باسم الحارة البرقيَّة، وأسَّس الروم حارتين عُرفتا باسم «حارة الروم» و«حارة الروم الجدرانية».

وبنى «جوهر» سورًا ليحصِّن القاهرةَ وبنى داخل السُّور جامعًا وقصرًا، وكان للقاهرة في أول زمان بنائها عدَّة أبواب منها «باب زويلة»، (وهو يختلف عن باب زويلة الحالي)، وباب النصر، وباب الفتوح، وزيد فيما بعد «الباب المحروق»، و«باب سعادة»، و«باب الفرج»، و«باب الخوخة». وكان بداخل السُّور قصران: أحدُهما قصرُ الخليفة ويُعرف بالقصر الكبير الشرقي، وكان يضمُّ سكن الخليفة والدواوين وبيت المال وخزائن السلاح، والقصر الآخر كان يُعرف بالقصر الغربي، وكان يسكن فيه الخليفةُ بعضَ أوقات العام.


جامع الحاكم بأمر الله

وقد تغيَّرت تلك المعالمُ الرئيسيةُ -فيما بعد- خلال حُكم الدولة الفاطمية، فزيد في بعض الأماكن، وهُدم بعضُها، وحلَّ البعضُ مكانَ البعضِ الآخر، فظهرت جوامعُ جديدةٌ غير الجامع الأزهر، ووُسِّعت الحاراتُ وزِيدت.



ومن أهمّ الآثار المعمارية الفاطمية في مصر:

- الجامع الأزهر.
- جامع الحاكم بأمر الله.
- ضريح السبع بنات.
- جامع الجيوشي.
- جامع الأُقمر.
- مشهد السيدة رُقيَّة.
- مسجد الصالح طلائع.



باب زويلة

العصر الأيوبي

نجح صلاحُ الدين الأيوبي في ضمّ مصر في آخر عهد الفاطميّين. وذلك في حملة قادها مع عمّه «أسد الدين شيريكوه» أحد أمراء الشام لصدّ خطر الصليبيّين عن مصر. وأسّس بعد ذلك دولةً عُرفت بالأيوبيَّة. كلُّ حُكّامها من سلالة «صلاح الدين الأيوبي». وعددهم خمسة سلاطين حكموا مصر من عام 1170 إلى عام 1250م. وتميّز عصرُهم بالجهاد والتفرُّغ للأخطار التي أحاقت بالبلاد الإسلامية -خاصّةً مصر والشام- وعلى رأس هذه الأخطار الخطر الصليبي. وانتهى العصرُ الأيُّوبي بعد وفاة الملك الصالح «نجم الدين أيُّوب» وتولّي «شجرة الدُّرّ» الحكمَ. ومن أشهر ما تُرك من العصر الأيُّوبي قلعةُ صلاح الدّين.

سور قلعة قايتباي

عصر المماليك

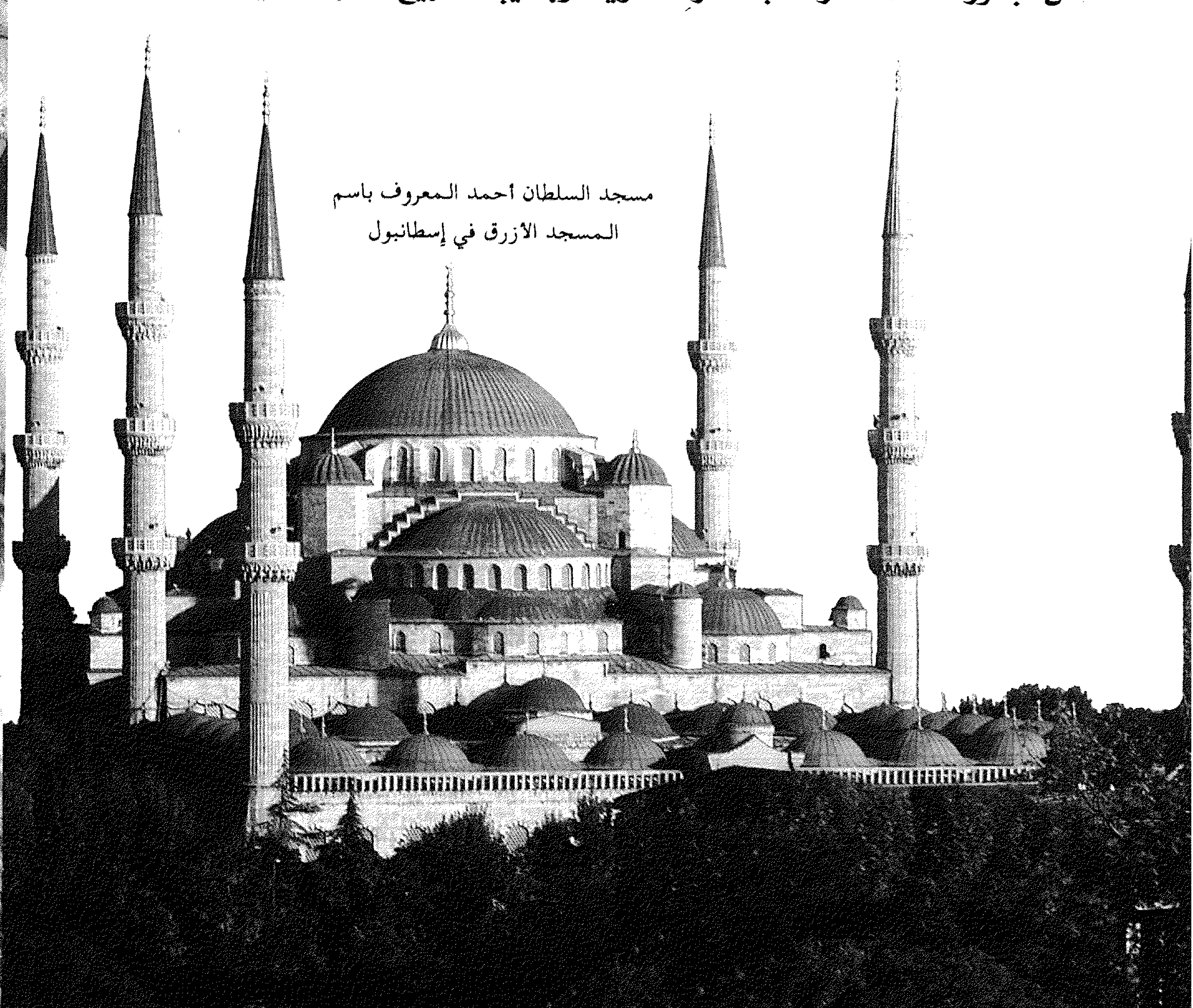
حكم المماليكُ مصرَ من عام 1250م -بعد سقوط حكم الأيُّوبيّين- حتى عام 1517م.

ويعتبر المؤرّخون أنّ أوّلَ من تولّى الحكمَ منهم هو السلطان «أقطاي» الذي تزوّجته «شجرةُ الدُّر» بسبب رَفْض المصريّين أن تحكمهم امرأة. والمماليكُ هم مجموعة من الأرقّاء (العبيد) الذين استجلبهم واشتراهم الأيُّوبيُّون من بلاد التُّرْك وآسيا الوسطى. وذلك بغرض تجنيدهم وضمّهم للجيش الأيُّوبي. ولهذا تربّى المماليكُ تربيةً عسكريةً معزولةً فأصبحوا جنودًا أقوياءَ و رجالًا شُجعانَ صدُّوا الخطرَ المغوليَّ عن مصر والشام. وينقسم تاريخُ المماليك إلى عصرين: المماليك البحرية القبجاق، وحكموا من عام 1250 إلى عام 1382م، وهم طائفة من المماليك تربَّتْ داخلَ قلعة بجزيرةِ الروضة فسُمُّوا بهذا الاسم. جلبَهم نجمُ الدين أيُّوب، ومن أشهرهم «محمد بنُ قلاوون» و«ركن الدين بيبرس»، وعصر المماليك

البرجية أو الجراكسة، وحكموا من عام 1382 إلى عام 1517م وعددُهم نحو ثلاثةٍ وعشرينَ سُلطانًا، منهم «المؤيَّد شيخ» و«الأشرف برسباي» و«الظاهر برقوق». وكانَ «طومان باي» هو آخرُ السلاطينِ المماليك في مصر. تميَّزَ عصرُ المماليكِ في مصرَ بأنَّه عصرُ البناءِ؛ حيث ترك المماليكُ في مصرَ ثروةً معماريةً كبيرةً لم يتركها أيٌّ من العصور الإسلامية الأخرى.

العصر العثماني

سقط المماليكُ في مصر بهزيمتهم في موقعة «مرج دابق» ودخولِ السلطان العثماني سليم الأوَّل وظلَّت مصرُ إحدى ولاياتِ الدولةِ العثمانيةِ من 1517 إلى 1789م عندما جاءت الحملةُ الفرنسيةُ ثمَّ اختار المصريُّون بعد خروجها «محمد علي» للحكم، والذي أسس -بدوره- سلالةً عُرفت بالأسرةِ العلوية، وبه يبدأ تاريخُ مصر الحديث.



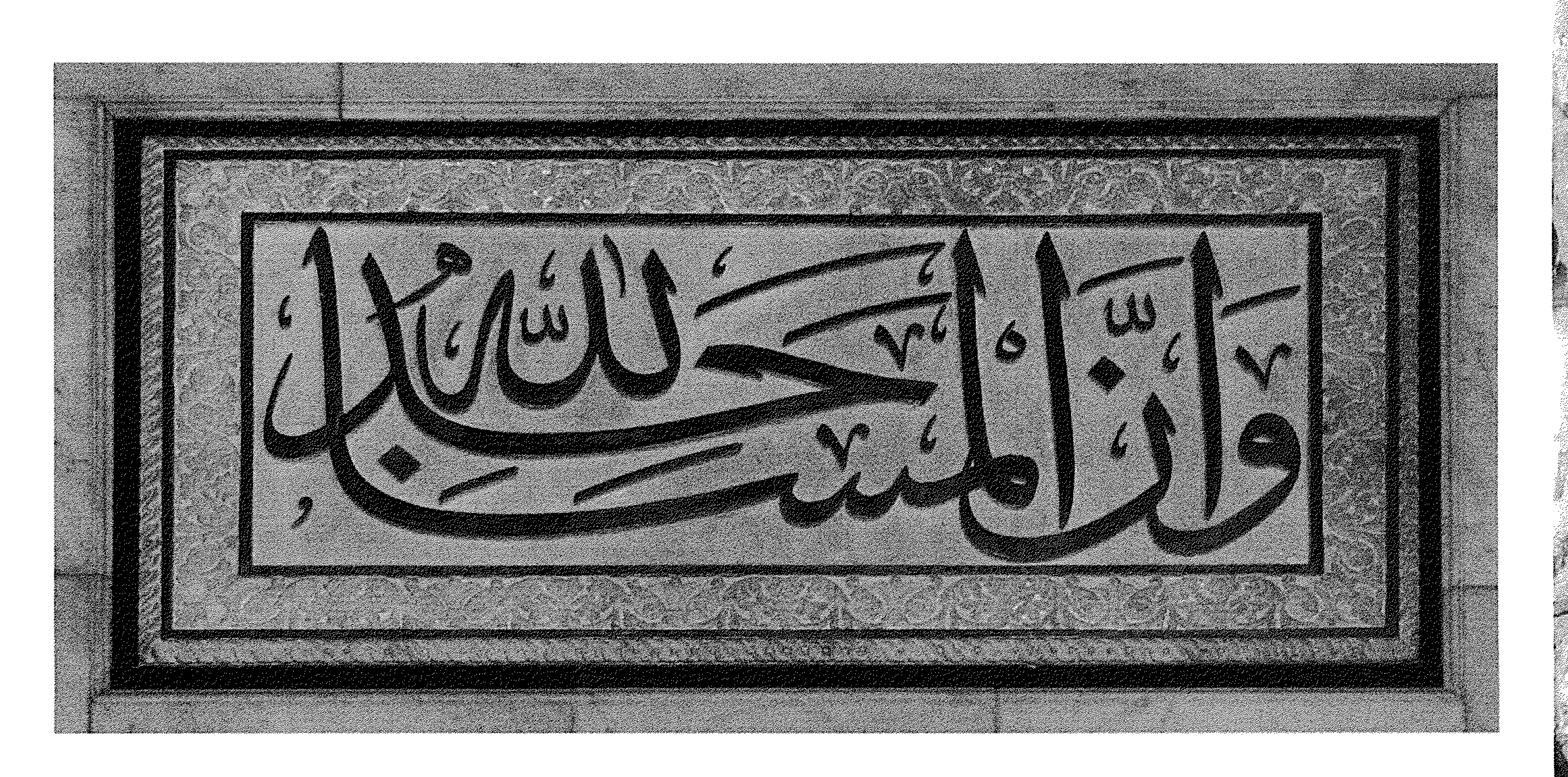
مسجد السلطان أحمد المعروف باسم
المسجد الأزرق في إسطانبول

العمارة

مقدمة

تفوَّق العربُ والمسلمون في فنِّ العمارة أكثر من تميُّزهم في أيِّ مجال فنِّي آخر. ولهذا صار الفنُّ المعماري الإسلامي أقوى الفنون الإسلامية، فقد كانت الأبنية هي أوَّلَ ما عبَّر به المسلم عن أفكاره وعقيدته، بالإضافة لكونها الأكثر ضرورة في حياة المسلم. ولهذا أودعها خلاصة مشاعره وأفكاره. وشيئًا فشيئًا تحوَّل بناءُ تلك المباني إلى عمل فني يجمع عدَّة فنون في آن واحد، مثل: الفسيفساء، والحَفْر على الخشب، والخط العربي، والحفر على المعادن، وغيرها.

نشأ الإسلامُ في صحراء شبه الجزيرة العربية، حيث تميَّزت الحياةُ بالبساطة والتقشُّف، وكانت معظمُ الحضارات العربية القديمة تبعد إلى حدٍّ ما عن مكَّة والمدينة حيث عاش الإسلام سنواته الأولى. ولهذا لم يعرف العربُ في مكة والمدينة طرازًا معماريًا يميِّزهم عن باقي الأمم في ذلك العصر مثل الفرس (إيران)، والروم (الحضارة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية)، وكان البناءُ المعماري الأشهرُ والأكثر أهمِّيةً في حياة العرب هو الكعبة: بيت الله الحرام، وكانت قيمتُها الروحية خالصةً، ورغم ذلك فهي بناء شديد البساطة يتكوَّن من شكل مربَّع من الحجر يغطَّى معظمُه بكسوة من القماش.



كتابات من المسجد الأموي

ولمَّا انتشر الإسلام وظهرت المساجد باعتبارها مكان العبادة المقدَّس للمسلمين، لم يكن لها شكلٌ محدَّد أو رموز مميَّزة مفروضة من وحي السماء أو بأمر من النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بل ظلَّت في الأساس مكانًا يجتمع فية المسلمون للصلاة وتداوُل شئون المسلمين. ولهذا جاءت النماذجُ الأولى من المساجد المبكِّرة في صدر الإسلام مجرَّد بناء ذي جدران مسقوفة بجذوع النخيل ومفروش بالجصِّ واستُخدمت فيه موادُّ البناء المتاحة في البيئة مثل التخطيط الأوَّل لمسجد قباء أول مسجد في الإسلام، ومسجد الرسول بالمدينة، ومسجد عمرو بن العاص.

ولمَّا قويت دولةُ الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين وظهرت الفتوحات شرقًا وغربًا دخل في الإسلام أبناءُ تلك البلدان المفتوحة، وظلَّ الإسلامُ في تلك الفترات الأولى عقيدةً تهتمُّ بالجانب الروحي، وانشغل الخلفاءُ الراشدون بنشر الإسلام، وظلَّت الروح الزاهدة البسيطة الخالية من الزخرف هي الغالبة على عقل ونفس البنَّاء المسلم ونفسه، فجاءت النماذجُ المعمارية مشابهة -من حيث بساطتها- لأبنية قبل الإسلام وعصر الرسول.

باب مدرسة برقوق

استقرَّ الإسلامُ في عصر الدولة الأموية حيث سادت رايةُ الإسلام وصارت دولةُ الخلافة الإسلامية قوَّةً عُظمَى نافست قوى ذلك الوقت، بل وأخضعتها. وبلغت الدولة الإسلامية أقصى اتِّساع لها في عصر «الوليد بن عبد الملك». وهنا استقرَّ الإسلام ليس كدين فحسب، بل كأسلوب حياة وعقيدة، وظهرت الحاجةُ إلى التعبير كما جاء به الإسلام لخير البشرية من جانب وللتميُّز عن الأقوام الأخرى والعقائد الأخرى بشكل مادِّي ملموس من جانب آخر، كما تميَّز عنهم الإسلام بشكل روحي. وهنا ظهر أولُ طراز في الإسلام؛ وهو الطراز الأموي نسبةً لعصر بني أُميَّة الذين حكموا العالم الإسلامي لمدَّة تقترب من القرن.

وقد تأثر الفنُّ الأموي بالفنِّ الساساني في إيران، والبيزنطي في الشام.وشيئًا فشيئًا تطوَّر المعمارُ الإسلامي فظهر العديدُ من الطرز والأساليب الفنِّية، ويمكن تقسيمُ تلك الأساليب بطريقتين:

الطريقة الأولى: حسب المكان، مثل الطراز المغولي في الهند، والطراز الأندلسي في الأندلس، وهي طُرُز سادت في أماكن بعينها.

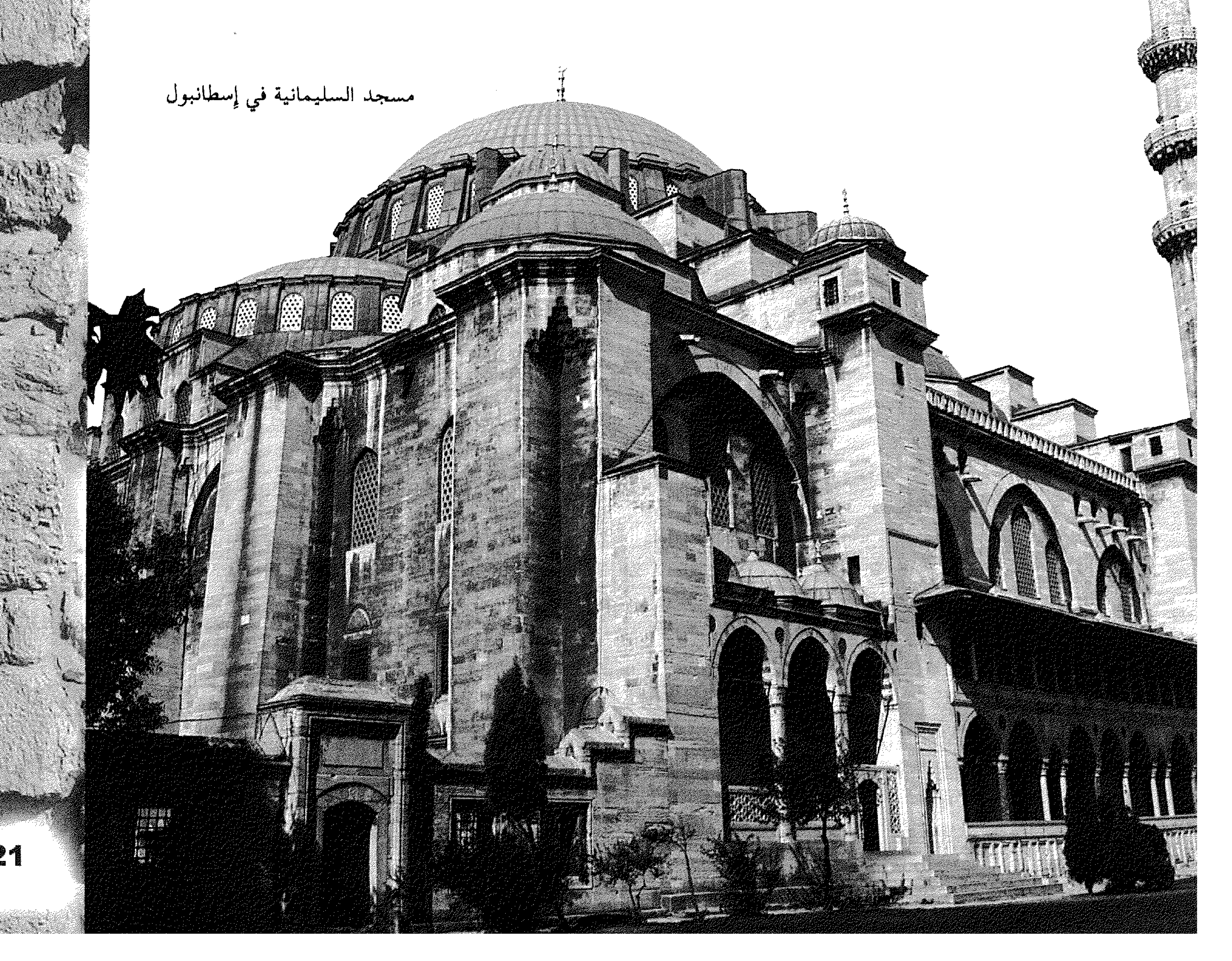
الطريقة الثانية: حسب العصر، مثل الطراز الأيُّوبي في مصر والشام، والطراز الفاطمي في مصر وبلاد المغرب العربي.



المسجد الجامع بيزد في إيران

ورغم تنوُّع الطرز والأساليب الفنِّية من عصر لآخر ومن مكان لآخر فإنها جميعًا تتميَّز بالوحدة، فهناك ثوابتُ معمارية في كلِّ الطرز المعمارية سواء من حيث التخطيط المعماري نفسه أو من حيث التصميم الداخلي، وكما تطوَّرت الأبنيةُ المعماريةُ من حيث الشكل تطوَّرت من حيث احتياج المسلمين، فظهرت أبنيةٌ إسلاميةٌ لم تكن موجودة في العصور المبكِّرة، بل دعت إليها احتياجاتُ المجتمع المسلم.

ولم تكن العمارةُ الإسلاميةُ من إنتاج أيدي عرب شبه الجزيرة وحدهم، بل كانت نتاجًا مدهشًا من اختلاط العرب بأبناء بالأقوام الأخرى مثل القبط في مصر، والروم في الشام، والفُرْس في إيران، فقدَّم أبناءُ كلِّ منطقة تراثَهم المعماري وشخصيَّتهم وبيئتَهم بالإضافة لتأثرهم الرُّوحي والفكريِ بالإسلام فظهر خليطٌ معماريٌّ مميزٌ استمرَّ في التطوُّر والرسوخ حتى تخلَّص من كلِّ الطرز غير العربية وأصبح الطرازُ الإسلامي خاليًا من التأثيرات الأجنبية، وصار طرازًا قائمًا بذاته تتأثَّر به الطرز الفنِّيةُ الأخرى.



مسجد السليمانية في إسطانبول

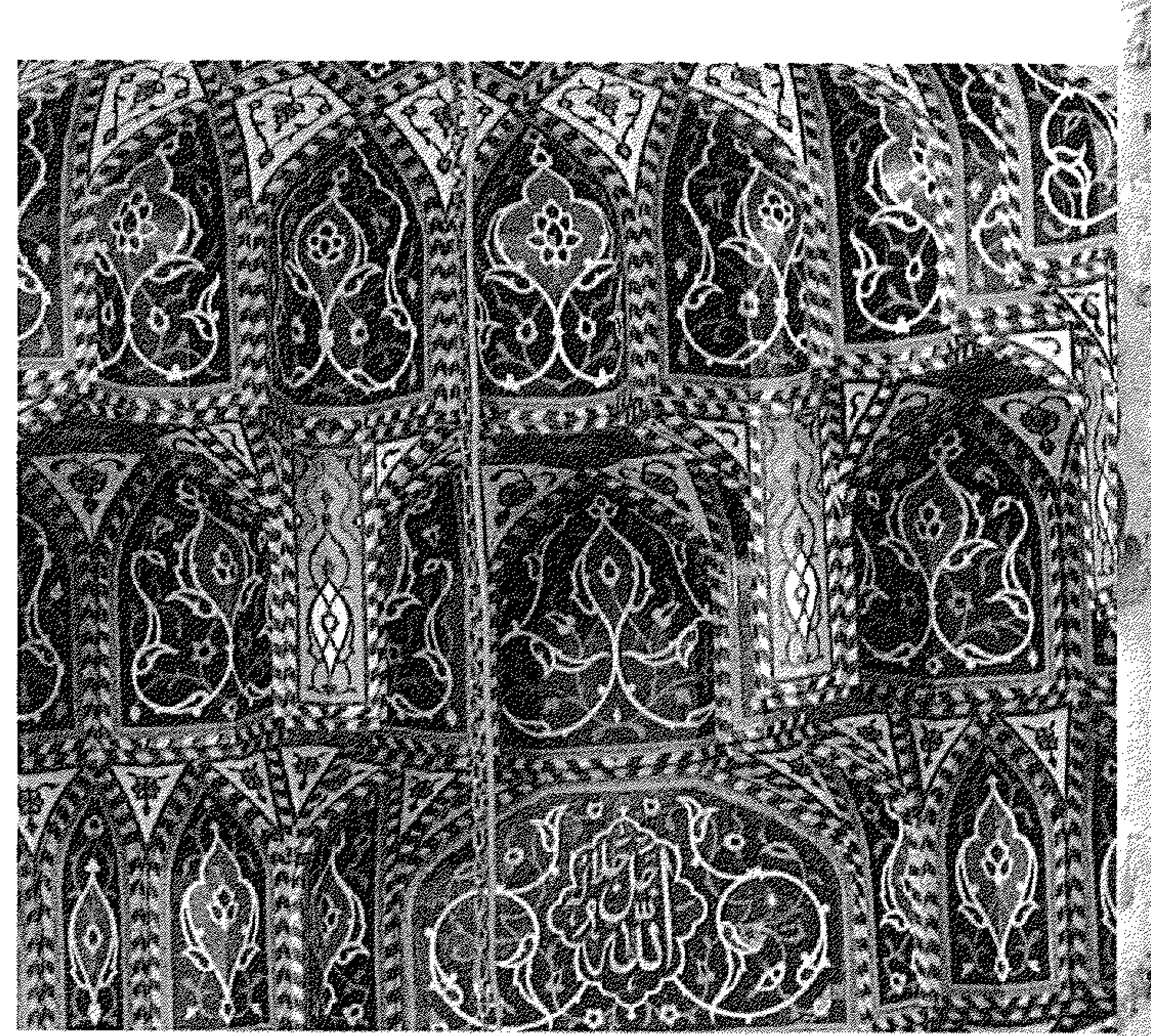
عناصر العمارة الإسلامية

تميَّزت العمارةُ الإسلاميةُ بعدد من التفاصيل التي تكرَّرت في مباني العمارة الإسلامية حتى صارت من السمات الرئيسية فيها وأكسبتها شخصيَّتها المتفرِّدة والمختلفة عن باقي الطرز الفنية، وقد أصبح بعضٌ من هذه العناصر والتفاصيل جزءًا من التصميم المعماري نفسه، والبعض الآخر صار شكلًا جماليًا يضيف رونقًا للمبنى وأجزائه.

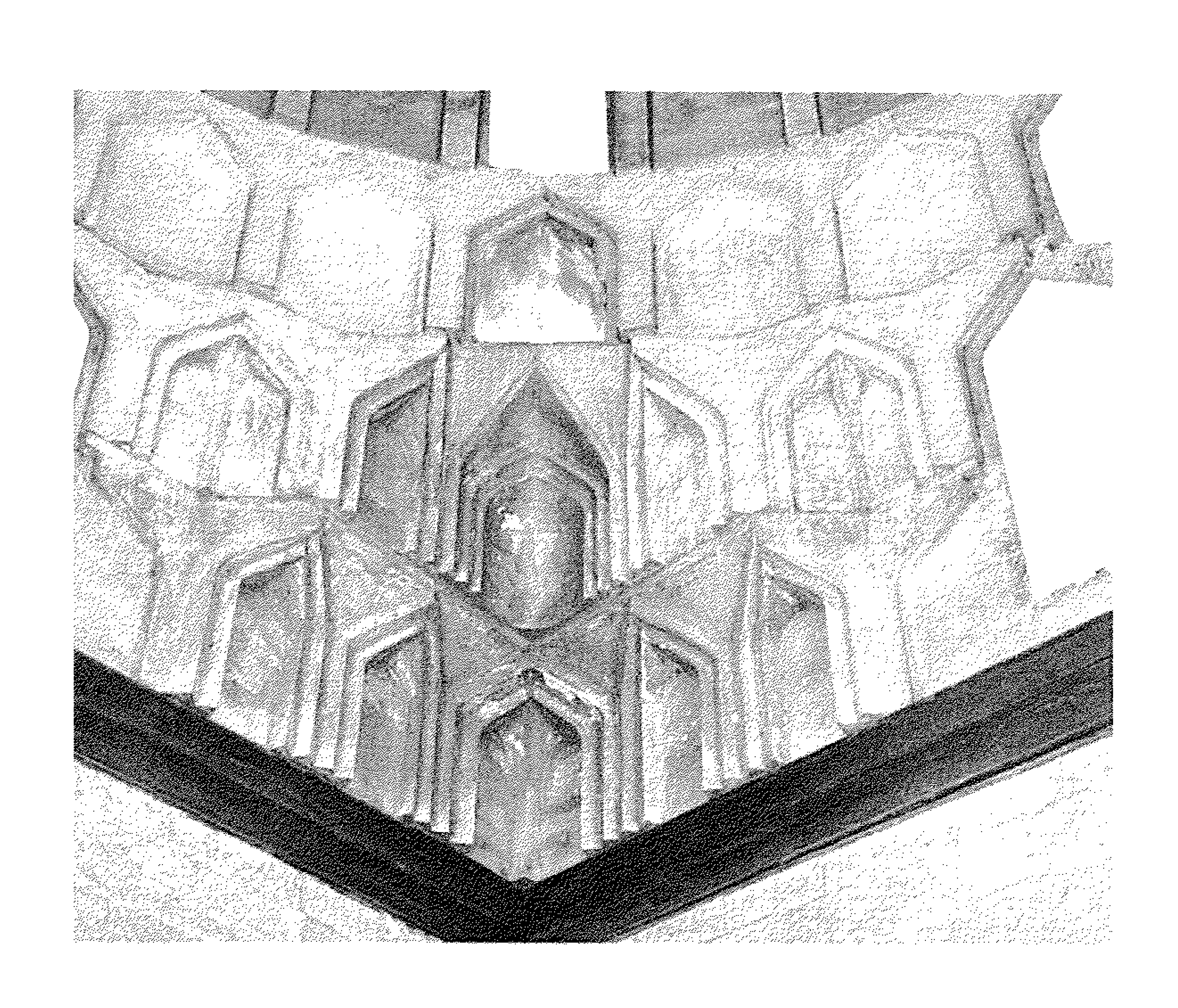
كما تميَّزت العمائر الإسلامية بوحدات صغيرة خاصَّة بها في التصميمات المعمارية، وهي:

المُقَرْنَصات

مجموعة نتوءات بارزة مجوَّفة الأطراف تتكوَّن من عدَّة صفوف هرمية الشكل أو متوازية في هيئة دورين أو ثلاثة كانت تُستخدَم غالبًا في أركان الصُّحون والأسقف لتحويل فتحة السقف من شكل مربَّع إلى مثمَّن لبناء القبَّة عن طريق ملء الأركان بحشوات قويَّة. وقد أصبحت المقرنصاتُ والأشكال المقرنصة حلْيَةً معمارية أو عنصرًا في البناء للتحميل عليها عند الانتقال من مقاس لمقاس آخر في البناء، كما هو الحال عند بناء شرفات المآذن مثلاً أو المشربيات.



مقرنصات من جامع السيدة رُقَيَّة بدمشق



مقرنصات من جامع ابن طولون

العقود

هي أشكال مقوَّسة أو شبه مقوَّسة تتكوَّن من مجموعة من الأحجار يُعشَّق بعضُها في بعض حتى يستديرَ شكلُ القوس لينزلَ من الناحيتين ويلتحمَ برأس عمودين، وتُسمَّى العقودُ أيضًا بالبوائك، ولها عدَّة أنواع منها: العقود نصف الدائرية، والعقود المدبَّبة، والعقود المُفَصَّصة، والعقود الحدويَّة (التي على شكل حدوة الفرس). وقد شاع استخدامُ العقود في العمائر الإسلامية في القاهرة، خاصَّة في أروقة المساجد.



مسجد الصالح طلائع



مسجد محمد علي

القباب

هي أشكالٌ نصف كروية من البناء أخذها المسلمون عن العمارة البيزنطية. وأول مسجد استُخدمت فيه القبابُ هو مسجدُ الصخرة في فلسطين الذي بُني في العصر الأموي. وقد شاع استخدامُ القباب في مصرَ كغطاء لأسقف الأضرحة حتى سُمِّيت الأضرحةُ بالقباب، واستُخدمت أيضًا في تغطية سقف جدارِ القبلة. ثمَّ انتشرت حين اختفى طرازُ المساجد غير المسقوفة في العصر العثماني واستُبدلت بالأسقف القبابُ.



المشربيات

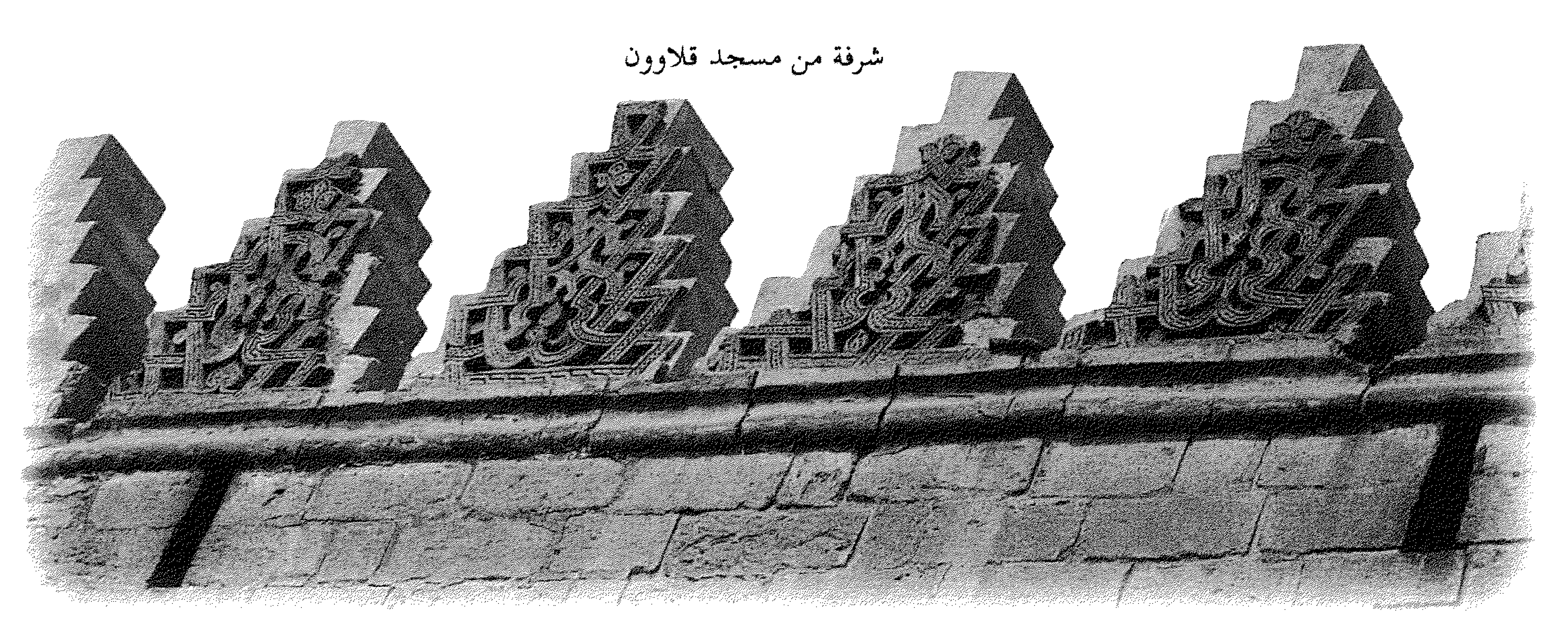
هي حاجزٌ من الخشب الخَرْط المكوَّن من وحدات صغيرة مجمَّعة يُغطِّي أماكنَ النوافذ والشرفات في العمائر الإسلامية. وسُمِّيت أيضًا «المشرفيَّات» لأنها تشرف على الشارع أو صحن البيت، وتُعتبَر المشربياتُ من العناصر الفنِّية والمعمارية في آن واحد، فهي في حدِّ ذاتها عملٌ فنيٌّ مزخرَف يعتمد على الدقَّة والمهارة في تعشيق وخرط الخشب، ومن جانب آخر فهي عنصر معماري يسمح بدخول الهواء والضوء لداخل المكان بالقدر الذي يوفِّر للبيت أفضل تهوية و ترطيب ممكنين، وكانت تستخدم في الوكالات والقصور والمنازل الإسلامية، وهي من العناصر المعمارية طويلة العمر، لأنه كلَّما مرَّ الزمنُ تداخلت تعشيقاتُ الخشب وتماسكت، وبالتالي ازدادت قوَّةً وصلابةً.

مشربية من وكالة الغوري

الشُّرُفات

هي حلْيات تزيِّن حواف الأسقف في المباني الإسلامية، وهي شكل واحد متكرِّر، ولها شكلان: الشكل المورَّق؛ وهو شكل مزخرَف من الأوراق النباتية، والشكل الآخر حلْية مسنَّنة وحادَّة الطرف. ولم يقتصر وجود الشرفات على الأسقف فقط، بل كانت تزيِّن أحيانًا بعضَ عناصر البناء بالشُّرُفات، خاصَّةً المباني الهامَّة.

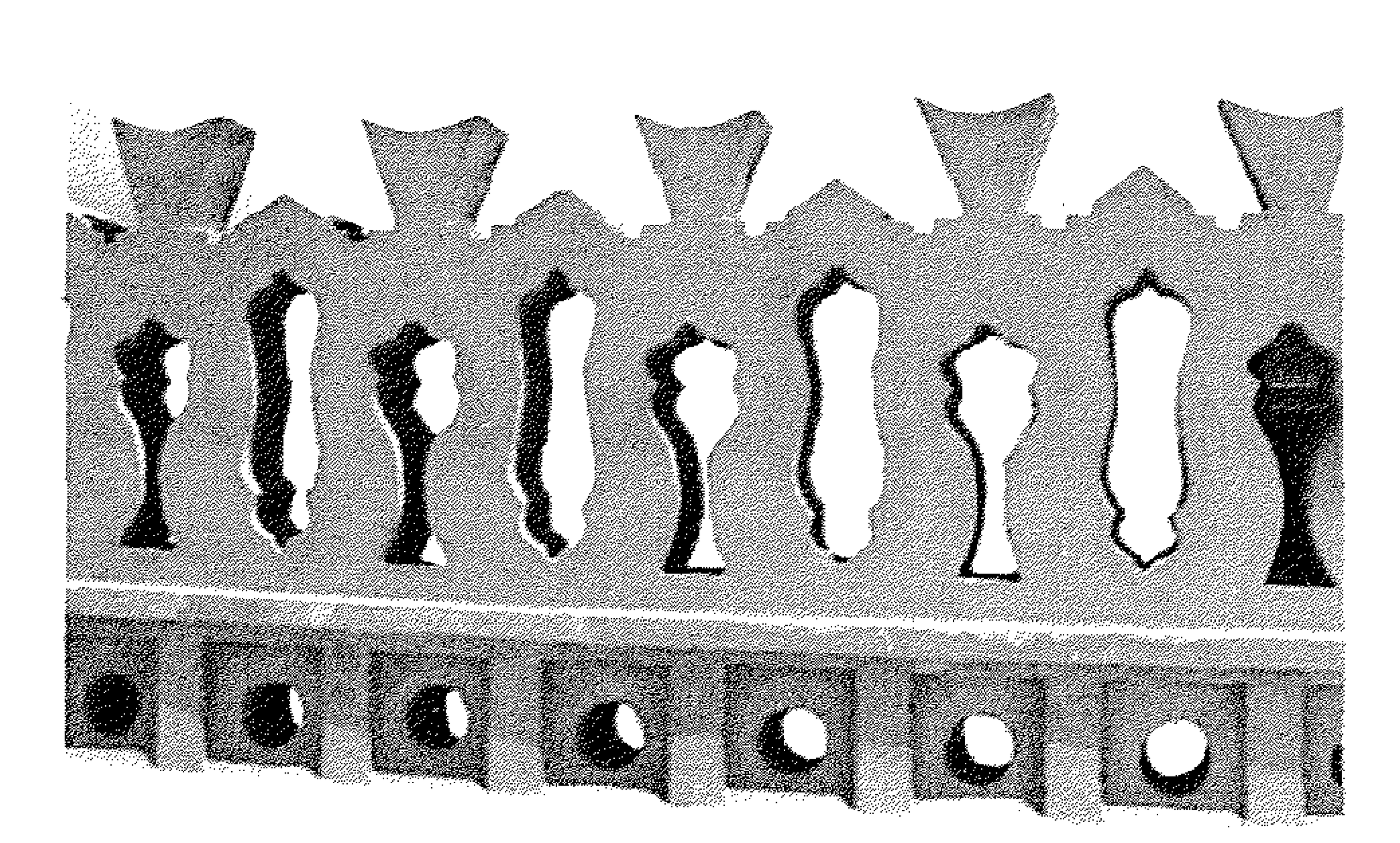
شرفة من مسجد قلاوون



شرفة من مسجد السلطان حسن



شرفة من مسجد ابن طولون



الكوابيل

هي حلياتٌ مثلَّثة الشكل قائمة الزاوية لها ضلعان مستقيمان يُثبَّتُ أحدُهما بالحائط والآخر أسفلَ شرفة أو أيِّ بروز خارجي عن الحائط كدعامة له، والضلع الثالث عبارة عن نتوءات مزخرَفة الشكل.



كابولي من منزل زينب خاتون

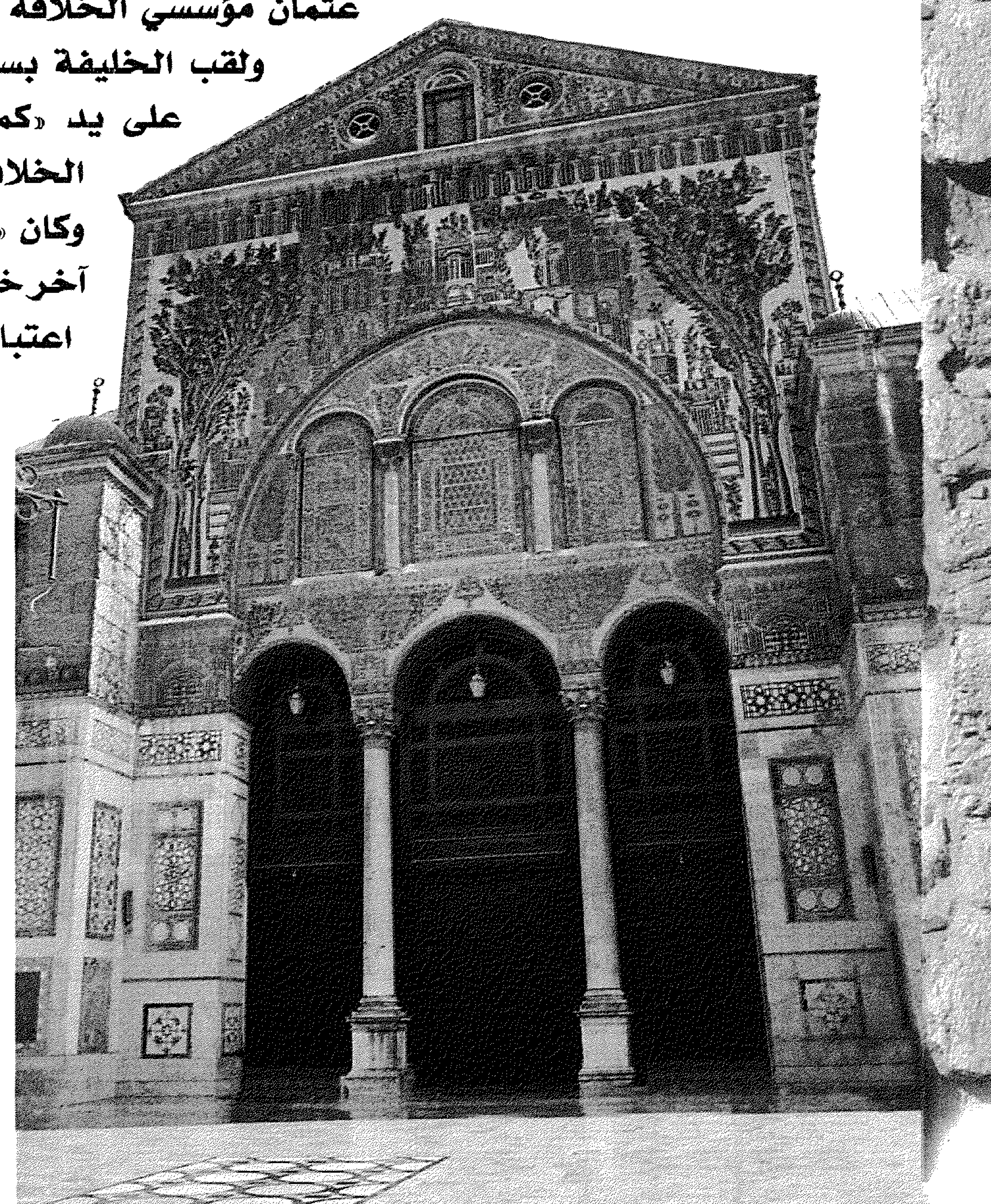
المزارات

هي وحدات زخرفية متكرِّرة تزيِّن أعلى العقود.

طرز العمارة الإسلامية

يمكن القولُ بأنَّ الفنَّ الإسلامي ظهر مع ظهور الخلافة الأموية في منتصف القرن الأول الهجري (عام 41 هـ تقريبًا)، والأمويُّون هم أول سلالة إسلامية تحكم بمنطق توارث الحكم بين أبناء أسرة الخليفة أو أبناء عشيرته بعد أن كان الحكم في الإسلام يتمُّ بمبدأ الشورى أي اختيار الحاكم بإجماع المسلمين على مَن هو أصلح للحكم والخلافة وأجدر بهما. وقد تمَّ العمل بمبدأ الشورى في حُكْم الخلفاء الراشدين الأربعة، وحتى تولَّى الخلافة «معاوية بن أبي سفيان» الذي أسَّس الخلافة الأموية، وبعدَّها توالت السُّلالات الحاكمة التي احتكرت الخلافة لفترة من الزمن ثمَّ ضعفت في حين قويت سلالةٌ حاكمة أخرى انتزعت منها الخلافةَ، وهكذا. وقد قدَّمت كلُّ سلالة حاكمة طرازًا معماريًا تميَّزتْ به عن السُّلالات الأخرى لتترك أثرًا ماديًا يدلُّ على مدى قوَّتها ونفوذها.

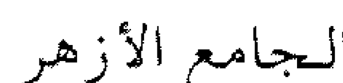
استمرَّت الخلافة الإسلاميةُ تنتقل من سلالة لأخرى حتى وصلت إلى إسطنبول وآل عثمان مؤسِّسي الخلافة العثمانية، وسقط منصب ولقب الخليفة بسقوط الخلافة العثمانية على يد «كمال أتاتورك» الذي ألغى الخلافة العثمانية عام 1924م. وكان «عبد الحميد الثاني» هو آخر خليفة عثماني، وبهذا يمكن اعتبار العصر العثماني هو آخر العصور الإسلامية وطرازه آخر الطرز الفنِّية الإسلامية. وقد ازدهر هذا الطرازُ -كغيره من الطرز- وقتَ ازدهار الدولةِ العثمانيةِ.



المسجد الأموي

الطرز الإسلامية في مصر

سبق الحكمَ الفاطميَّ في مصر حكمُ الإخشيديِّين والطولونيِّين، وقبل ذلك تبعت مصر الخلافة كإحدى ولايات الخلافة الراشدة والخلافة الأموية والخلافة العباسية. وتوجد بعضُ الآثار من المعمار قبل قدوم الفاطميِّين إلَّا أنها عمائر قليلة مثل جامع عمرو، وجامع ابن طولون. ولم تترك أيٌّ من تلك الفترات عمائرَ تشهد على وجودها الماديِّ في مصر، عكس الأمر في عواصم الخلافة نفسها، فالعراق تحوي الكثيرَ من العمائر على الطراز العباسي، ويوجد في دمشق والشام الطراز الأموي، وهو ما لم يحدث في مصر باعتبارها ولاية في ولايات الخلافتين الأموية والعباسية، ولم تكن عاصمة فلم تترك آثار باقية حتى اليوم، فلم يبقى منها ما يُذكر سوى مسجد بن طولون. في حين كانت مصر هي مركز الخلافة في العصر الفاطمي، ولهذا فقد ترك الخلفاء الفاطميُّون العديدَ من العمائر، ولايزال باقيًا منها حتى الآن الكثير.


الجامع الأزهر




خصائص الطراز الفاطمي

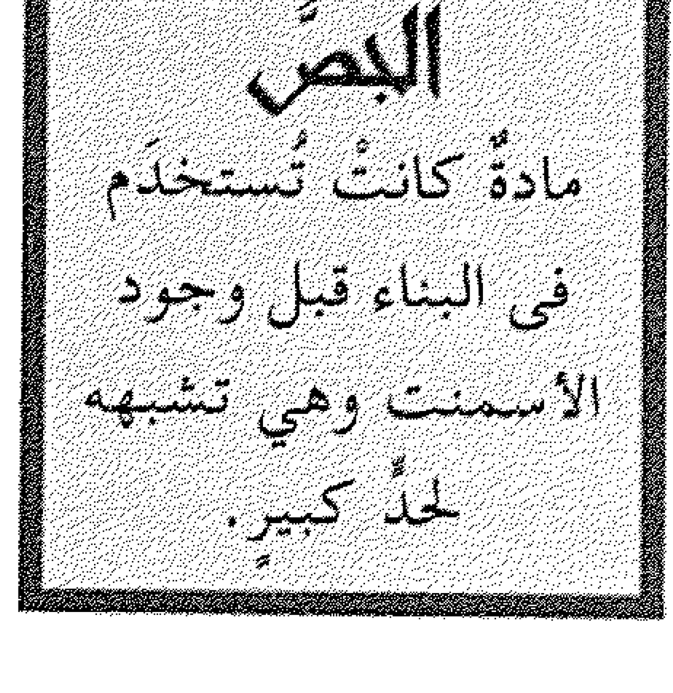
تطوَّرت العمائر في العصر الفاطمي تطوُّرًا كبيرًا، فقد طوَّر تخطيطُ المساجد، فبعد أن كانت المساجدُ تتكوَّن من صَحْنٍ واحد أصبحت المساجد في العصر الفاطمي متتعدِّدة الصحون مثل جامع الحاكم المكوَّن من صحن وأربع ظلَّات، وجامع الأزهر المكوَّن من صحن وثلاثة أروقة، كما ظهرت في الطراز الفاطمي فكرةُ تغطية المحراب والصحون أو الأماكن الأخرى داخل المسجد بالقباب.

أمَّا من حيث موادِّ البناء فقد تميَّز الطراز الفاطميُّ باستخدام الحجارة بشكل أساسي، ولهذا تميَّزت العمائر والأبنية الفاطمية بالقوَّة والمتانة والفخامة. وهذا إلى جانب استعمال «الآجُر» في البناء، خاصَّة بناء القباب والعقود والجوانب الداخلية للحوائط،

الجامع الأزهر

كما استُخدمت العوارضُ الخشبية في تدعيم الجدران، واستخدم الفاطميُّون الأعمدة في تثبيت الجدران في الأسوار الحربية.

كذلك أولى الفاطميُّون عنايةً كبيرةً بصَقْل الأحجار ونحتها وتنسيقها في البناء، وقد ساعد ذلك في الاستغناء عن الجصّ في بعض جوانب البناء، وكذلك سهَّل وجودُ الأحجار عملية النحت والحفر عليها.



الجصّ

مادةٌ كانتْ تُستخدَم في البناء قبل وجود الأسمنت وهي تشبهه لحدٍّ كبيرٍ.

الآجُر

الطوبُ اللبن -أي المصنوع من الطين- بعد حرقِه في أفران الطوب، والمعروفُ بالطوبِ الأحمرِ.

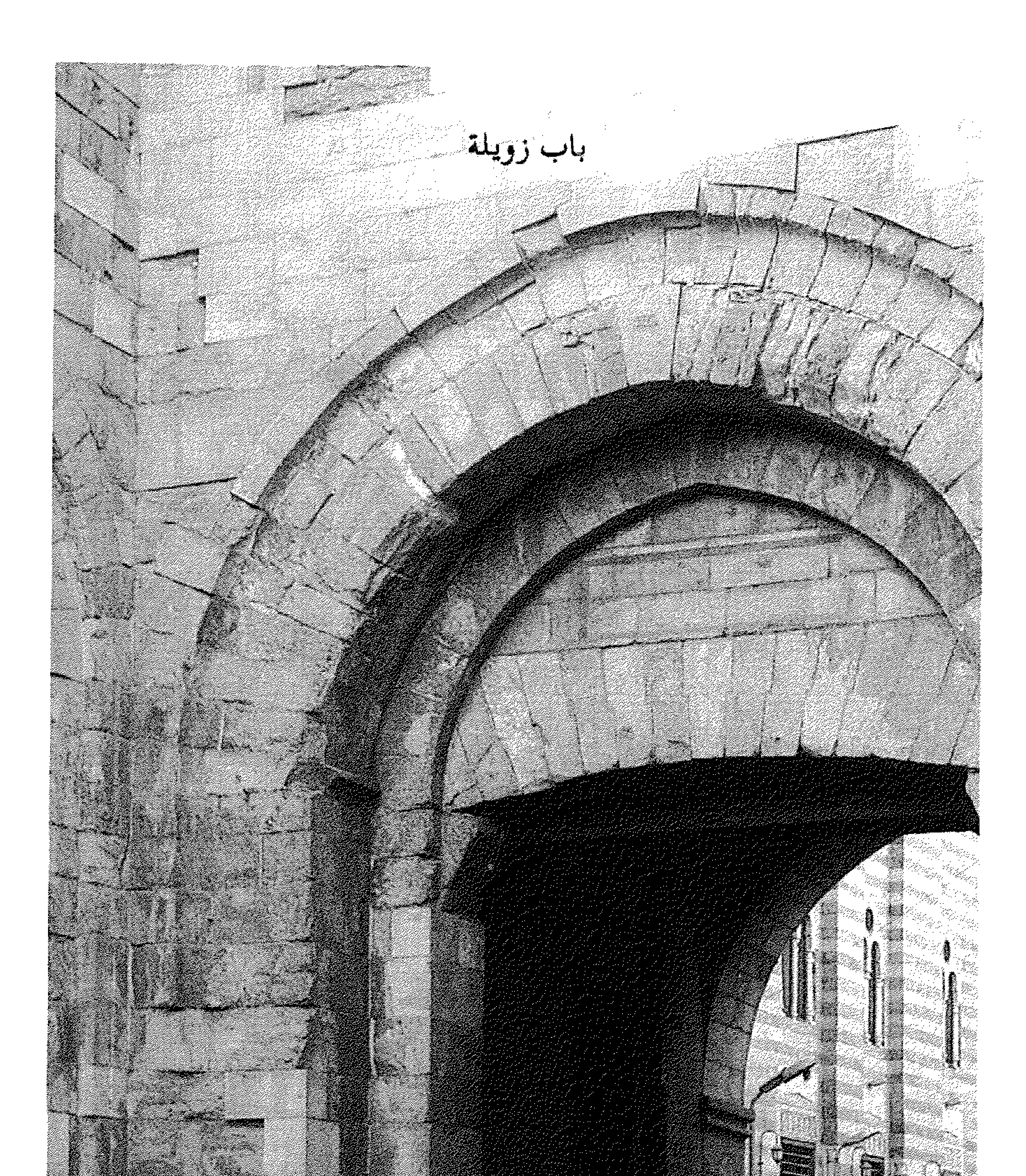
شاع في الطراز الفاطمي استخدامُ قِطَع الحجارة الصغيرة في إطارات فتحات الأبواب والأعتاب والعقود، وتطوَّر استخدامُها لتتَّخذ مظهرًا زخرفيًا.

ظهرت في العصر الفاطمي لأول مرَّة صناعةُ الأعمدة خصِّيصًا للمساجد بعد أن كانت تُنقَل من عمائر قديمة، كما طوَّر الفاطميُّون في العقود وظهرت أنواعٌ كثيرة منها مثل العقود المدبَّبة، والمحدَّبة، ونصف الدائرية، وغيرها.

ظهرت في العصر الفاطمي فكرةُ تعدُّد المحاريب، كما هو الحال في مشهد السيدة رُقيَّة ومحراب جامع الجيوشي، كما شاع استخدامُ المقرنصات، وهي شكل من أشكال الحليات المعمارية، كما طوَّروا في هذه المقرنصات.

استطاع الفاطميُّون أن يبدعوا شكلاً مميَّزًا من المآذن تختلف عن الأشكال التقليدية، وظهرت لأول مرَّة الأفاريز المزدوجة من المقرنصات التي تدور حول الطابق الأول من بناء المئذنة.

استُخدمت في العمائر الفاطمية المداخلُ البارزةُ عن الواجهة، وعُرفت باسم المداخل التذكارية، مثل جامع الحاكم.



باب زويلة

الطراز الأيُّوبي

نظرًا للظروف التي أحاطت بالعالم الإسلامي من الحملات الصليبية وهجمات المغول فقد تميَّزَ العصرُ الأيوبي الذي بدأ بتولِّي «صلاح الدين الأيوبي» الحكم -بشكل عام- بأنه عصر حربي، حيث توالت المعاركُ بين الأيوبيِّين والصليبيِّين، وقد تأثرت العمائرُ في مصر بهذا الطابع الجهادي فاتَّسمت بالطابع الدفاعي وأكثر الأيوبيُّون من بناء القِلاع والحصون والثغور والأبراج حول المدن سواء في مصر أو الشام لتحصينها ضدَّ هجمات الصليبيِّين.

اهتمَّ الأيوبيُّون ببناء الكثير من العمائر، فشيَّدوا المساجد والخانقاوات والبيمارستانات والأضرحة والزوايا والحانات وغيرها، وكان أكثر عمائرهم من المدارس التي اهتمُّوا بتشييدها لتدعيم وتدريس المذاهب السُّنِّية الأربعة بعد عدَّة قرون حكم فيها الفاطميُّون الذين اعتنقوا المذهب الإسماعيلي الشيعي، فاهتمَّ الأيوبيُّون بتخريج دعاة وشيوخ وفقهاء على المذهب السنِّي.

كان من أبرز سمات الطراز الأيُّوبي في العمارة سيادةُ طابع التقشُّف وعدم الإسراف في الزخرفة بسبب حالة الجهاد الدائمة التي كانت تعيشها البلاد، وبرغم ذلك تميَّزت العمائرُ بالقوَّة والصلابة، واستخدام الأبراج الضخمة في تدعيم جدران العمائر، واستخدام الأحجار الكبيرة الضخمة خاصَّة في الواجهات والمداخل والأسوار والأبراج، واستخدام الآجر في بناء القباب.

تطوَّرت القبابُ في العصر الأيوبي وخاصَّة من حيث الانتقال من مربَّع سفلي إلى مثمَّن عن



طريق قبَّة مكوَّنة من طابقين، وتميَّزت القباب الأيوبيَّة بوجود زخارف زجاجيَّة على سطحها الخارجي، وهو الأسلوب الذي استخدمه الطراز المملوكي فيما بعد.

استخدم الأيوبيُّون لأوَّل مرَّة أعمدة ذات تيجان إسلامية تكوَّنت من الأشكال المقرنصة.

واهتم الأيوبيُّون بالمداخل وشيَّدوها في دخلات عميقة مزيَّنة بصفوف من المقرنَصات وتُوِّجت فتحاتُها بعقود مدبَّبة، كما شاع في الطراز الأيوبي استخدامُ العقود، ومنها العقد المدبَّب والمنكسر والحدوي (على شكل حدوة)، وأصبح العقد في العصر الأيوبي منخفضًا ومكوَّنًا من صنجات حجرية صغيرة.

السلاجقة

هم سلالةٌ تركيةٌ حكمَتْ أجزاءً من الأناضول وأفغانستان وإيران وبعضَ أجزاء الجزيرةِ العربية في الفترة ما بين 1038-1194م، وهم ينتمون لقبائلِ «الغزِّ» التركية التي دخلت الإسلامَ في عهد زعيمِهم «سلجوق» سنة 960م، وقد انقسموا إلى عدَّةِ ممالكَ بسبب الخلافات على الحكم، وكان لهم ثلاثُ ممالكَ رئيسية: الأولى في الشام ومقرُّها دمشق ثمَّ حلب 1094م، والثانية مملكة السلاجقة الروم في الأناضول فيما بين عامي 1077و1308م، و الثالثة سلاجقة «كرمان» في كرمان (1041-1187م)، وكان مقرُّها «بردشير» في بلاد فارس.

تأثر الطراز المعماري الأيوبي بالطراز المعماري الفاطمي من حيث المحاريب الفاطمية التي كانت طواقيها تُزخرَف بزخارف من مركز واحد، كذلك تأثر الطراز المعمارى الأيوبي بالطراز الفاطمي من حيث استخدام الصنجات المعشَّقة، والاهتمام بالواجهات وشغلها بالمقرنصات. تأثر الطراز المعماري الأيوبي بالطراز السلجوقي من حيث استخدام القباب في التغطيات والإيوانات وتخطيطات المدارس وبناء الخانات.

الصَّنجات

قِطعٌ صغيرةٌ من الحجارة.



قلعة قايتباي

الطراز المملوكي

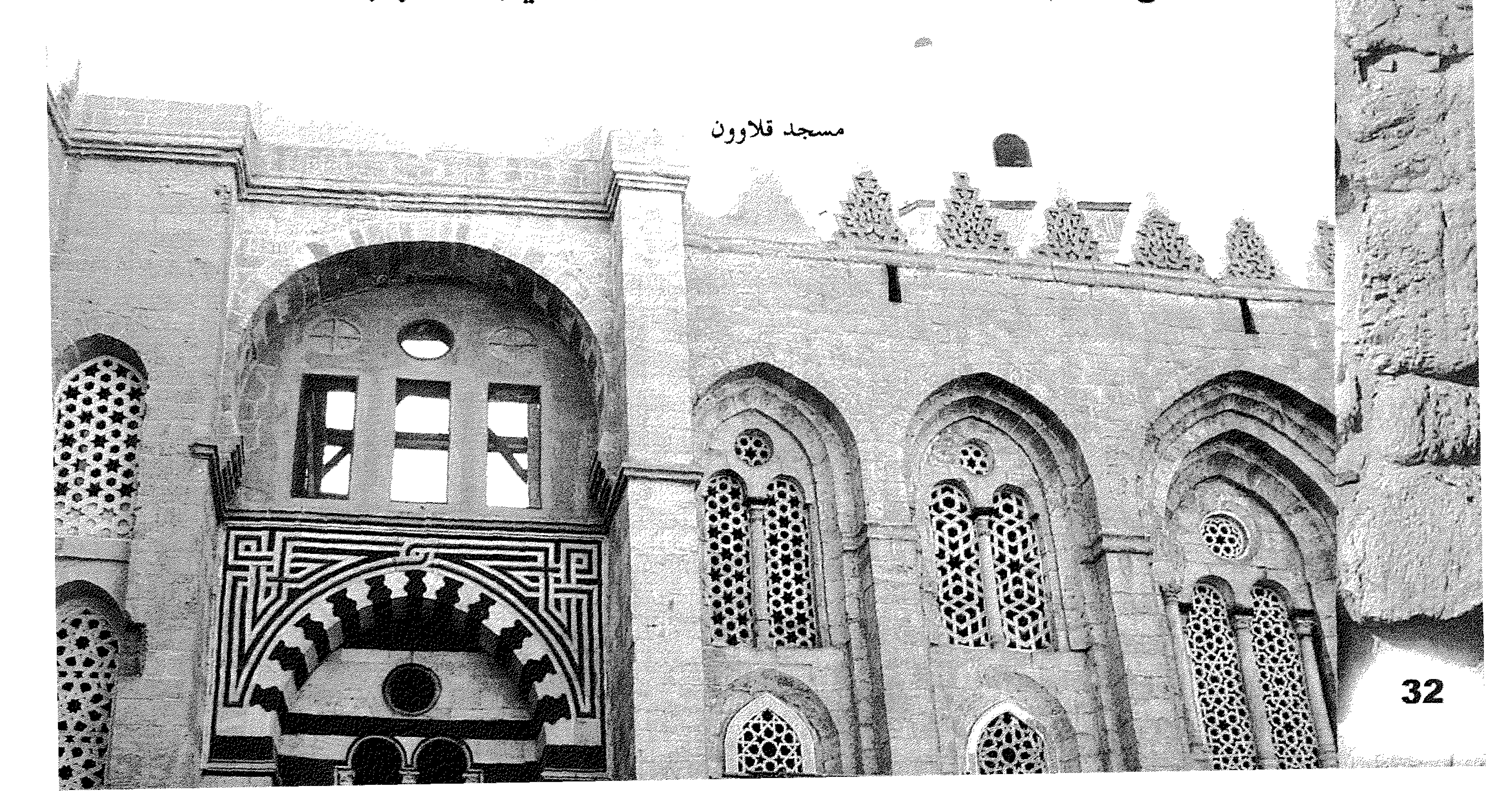
عاشت مصرُ في عصر المماليك بدولتيه «المماليك البحرية» و«المماليك الجراكسة» أزهى عصورها في فنِّ العمارة، فقد اهتمَّ المماليكُ بحركة البناء أكثر من غيرهم من الحكام، فما من مللك أو سلطان أو أمير مملوكي إلَّا وشيَّد جامعًا أو مدرسة أو خانقاه أو سبيلًا، هذا بخلاف الأربطة والحمَّامات وغيرها من العمائر والأبنية.

ولم يقتصر اهتمام المماليك على كثرة البناء فقط، بل اهتمُّوا كذلك بتطوير أساليب البناء وتطوير فنونه فتطوَّر فنُّ الزخرفة وعناصر المعمار.

من أبرز سمات المعمار المملوكي الاهتمامُ بواجهات الجوامع والمدارس، واستخدام القباب الضريحية وفتحات النوافذ المزيَّنة بالزجاج المعشَّق، وكذلك صفوف المقرنصات التي تتوِّج أعلى الواجهات، والشرفات المسنَّنة التي شُكِّلَتْ على هيئة أوراق نباتية ثلاثية أو خماسية الأطراف.

تنوَّعت عمائرُ المماليك بين العمائر الدينية كالجوامع والمدارس والخانقوات، وبين العمائر المدنية مثل الوكالات والخانات والفنادق.

واستخدم المماليكُ نُظُمًا جديدة في تخطيط عمائرهم إلى جانب النظام التقليدي الذي يعتمد على صحن أوسط مكشوف وأربع ظلَّات أكبرها القبلة، وقد استُخدمت العقودُ المحمولةُ على أعمدة في رفع السقف والقبَّة الرئيسية، ومثال ذلك جامع السلطان «بيبرس البندقداري» والذي استُخدم في الحجرُ المصقول في بناء واجهته كما هو الحال مع معظم العمائر المملوكية، واستُخدم الآجرُ في بناء القباب والعقود.



مسجد قلاوون

وقد أُضيف لهذا التخطيط ثلاثةُ تخطيطات أخرى هي:

النظام الإيواني، وهو يتكوّن من صحن أوسط مكشوف تحيط بأضلاعه أربعةُ إيوانات أكبرها عُمْقًا إيوانُ القبلة وجميع الإيوانات متقابلة ومعقودة، وانتشر هذا التخطيط انتشارًا واسعًا في العمائر المملوكية.

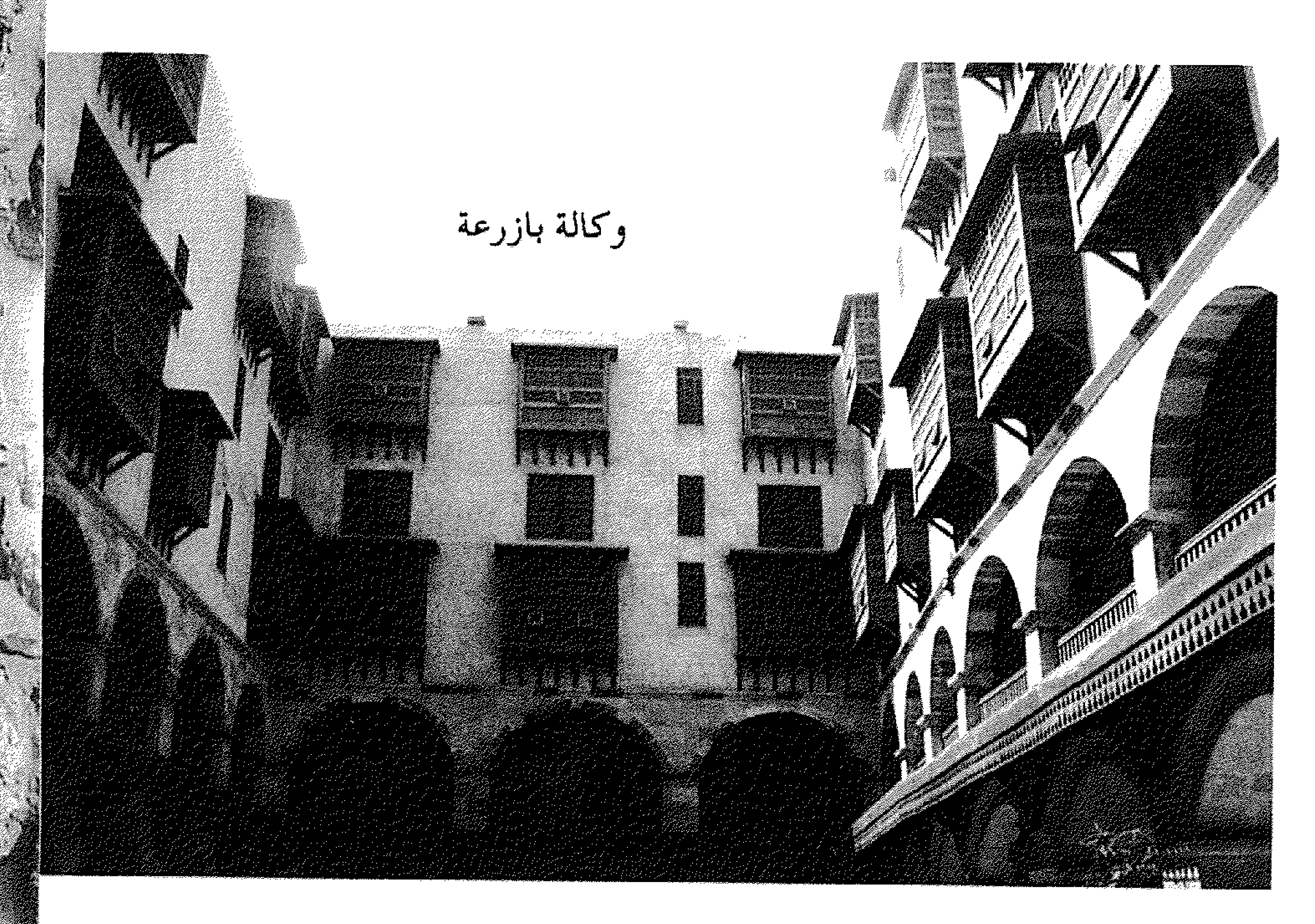
والتخطيط الثاني الجديد الذي أضافه الطراز المملوكي يعتمد على التخطيط الإيواني لكن بنسب أصغر، فبدأ في تقليل مساحة الصَّحْن ثم تغطيته بسقف خشبي على هيئة الفانوس يُسمَّى «الشخشيخة».

والتخطيط الثالث هو ظهور «المجمع» أي منشأة واحدة دينية تؤدِّي أكثرَ من وظيفة، حيث بدأ المعمارُ إضافةَ وحدات معمارية جديدة بالإضافة إلى المدرسة والجامع، ومن أمثلة ذلك التخطيط مجمَّع السلطان قلاوون الذي يضمُّ مسجدًا وضريحًا وبيمارستانًا وسبيلاً وميضأةً.

شاع في الطراز المملوكي زخرفةُ الوزرات الرخامية على الحوائط والأرضيات والمحاريب، مثل مدرسة السلطان حسن، ومدرسة قايتباي ومدرسة السلطان الغوري.

جاءت المآذن المملوكيةُ معمارًا جميلاً، وتميَّزت برشاقتها وارتفاعها، وكان لمعظمها شكلٌ مميَّز فقد شُيِّد معظمُها على قاعدة مربَّعة يعلوها بناءٌ مثمَّن تتخلَّله شرفات بارزة محمولة على أشكال مقرنَصة.

انتشر في العصر المملوكي تشييدُ الخانقوات التي على نفس تخطيط المدارس مثل خانقاه بيبرس الجاشنكير، كما شُيِّدتْ بعضُ الخانقاوات على نفس تخطيط المساجد والجوامع مثل خانقاه السلطان «الناصر فرج بن برقوق».


وكالة بازرعة

كما اهتمَّ المماليكُ بمداخل العمائر فأصبحت تحتلُّ مكانًا بارزًا على الواجهة بجانب العناصر الزخرفية الأخرى مثل الأفاريز والمقرنصات والنقوش الكتابية.

الطراز العثماني

هو طراز معماري يرجع أصلُه لتركيا وقت الحكم العثماني، وقد تأثَّرتْ مصرُ بذلك الطراز عند وقوعِها تحت السيطرة العثمانية على يد السلطان «سليم الأول» الذي قضى على الحكم المملوكي في مصر وقتل آخرَ السلاطين المماليك؛ السلطان «طومان باي».

وقد تطوَّر الطراز العثماني ومرَّ بعدَّة مراحل.

فقد استوحت العمائرُ العثمانية في فتراتها الأولى تخطيطَ المباني الإسلامية القديمة، ولا سيما المساجد التي شاع ظهورُها في صدر الإسلام والتي تكوَّنت من صحن أوسط وأربع ظلَّات، لكنَّ هذا التخطيط لم يناسب منطقة الأناضول التي يسود طقسَها البرودةُ والصقيع، ولهذا ظهر تخطيط جديدٌ ألغى ظُلَّةَ القبَّة وغطَّاها بمجموعة قباب أو قبَّة واحدة كبيرة، وأضاف للمدخل ظلَّة كبيرة غُطِّيت بقباب ضخمة، وقد استُوحِيَت تلك المخطَّطات المستحدَثة من الطراز المعمارى السلجوقي.

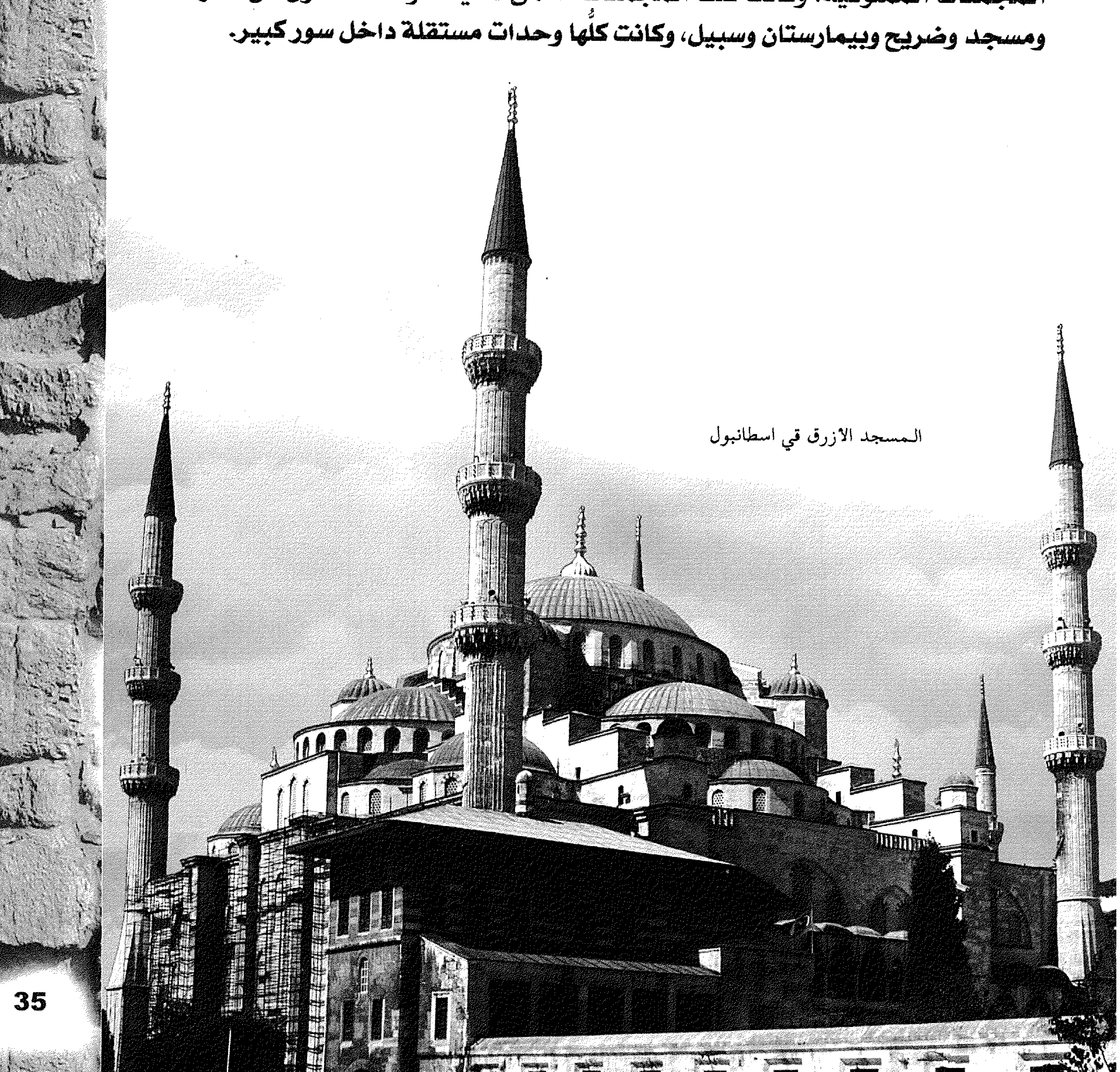
تأثرت الطرز المعمارية العثمانيَّة فيما بعد ببناء كنيسة «آيا صوفيا» التي تحوَّلت إلى مسجد بعد فتح القسطنطينية «إسطنبول». وقد بلغت العمائر والمساجد العثمانية قمَّة ازدهارها على يد المهندس المعماري «سنان» الذي أضاف الكثير من الأساليب المعمارية، خاصَّة فيما يتعلَّق بالقباب التي ميَّزت المساجد العثمانية بفضل جمالها ورشاقتها.



مسجد آيا صوفيا

وشيئًا فشيئًا أصبح المسجدُ العثماني له أسلوب خاصٌ، فقد تميَّزت المساجدُ العثمانية بتعدُّد المآذن وتفاوُت أطوالها في المسجد الواحد، كما تميَّزت بشكلها النحيف الشبية بالقلم، كما غُطِّيت أسقفُ المساجد بقبَّة كبيرة وعدَّة قباب صغيرة تحيط بها، ويسبق الجزءَ المُغطَّى من المسجد مساحةٌ مفتوحةٌ غير مسقوفة عُرفت باسم حرم المسجد ويحيط بها أربعة أروقة مغطَّاة بقباب تتَّصل بباقي المسجد عن طريق مداخل، ويتوسط صحن الحرم مكانٌ للوضوء وسبيلٌ لشرب المياه.

كذلك تميَّزت المساجدُ العثمانية بأنها كانت جزءًا من مجمَّعات دينية تشبه المجمَّعات المملوكية، وكانت تلك المجمَّعات تُسمَّى «كلية»، وكانت تتكوَّن من مدرسة ومسجد وضريح وبيمارستان وسبيل، وكانت كلُّها وحدات مستقلة داخل سور كبير.



المسجد الأزرق في اسطانبول

وقد عرف العثمانيون العمائر الأخرى غير المساجد مثل الأسبلة والبيمارستانات، وقد اختلتفت في تخطيطها عن التخطيط المملوكي. كما طوَّر العثمانيُّون الحمَّامات التي اشتُهرت كثيرًا في العصر العثماني وطوَّر العثمانيُّون كذلك فنون الزخرفة التي زيَّنوا بها عمائرهم، ممَّا أكسب تلك العمائر شكلاً يختلف عن العمائر السابقة.

اهتمَّ الطراز العثماني بالقصور والتي عُرفت باسم «سراي»، وأدخلوا نظامًا جديدًا في البيوت، حيث قُسِّمت قسمين: قسم لاستقبال الضيوف من الرجال ويُعرف بالسلاملك، وقسم خاصّ بالنساء والجوارى يُعرف بالحرملك.

شاع تشييد الأسبلة في العصر العثماني في مصر والشام، وقد تأثرت بالطراز المملوكي بعض الشيء، لكنَّها تميَّزت عنها من حيث التخطيط المعماري والعناصر الزخرفية، حيث شُيِّدت من مسقط نصف دائري ذي واجهة مضلَّعة تشتمل على تجويفات بمقرَنصات وزخارفَ بارزة مثل: سبيل السيدة رقيَّة، وسبيل السيدة نفسية البيضاء، وسبيل محمد علي.



حمام البراماتي في سوريا

تميَّز الطراز العثماني باستخدام البلاط الخزفي في كسوة جدران العمائر، وغلب على ألوانها الأزرق والأخضر والأحمر والمذّهب، واختفى تمامًا استخدامُ الفيسفساء.

تأثَّر العثمانيُّون ببعض الطرز الأوربِّية وأدخلوها لعمائرهم مثل طراز «الباروك»، وأخذو عنهم الأسقف وبعض الزخارف النباتية في الأسبلة.

الباروك

هو طرازٌ معماري ظهر في القرنِ السادس عشر في إيطاليا ثمَّ انتشر في جميع أنحاء أوربًا ، وقد تميَّز بكثرة استخدام الأعمدة والأشكال والمنحوتات وكثرة الأشكال المنحنية والزخارف. ومن أبرز وأشهر العمائر على طراز الباروك قصرُ «فرساي» وهو قصر الحكم فى فرنسا. امتدَّ عصرُ الباروك من سنة 1550 إلى سنة 1700، وهو عصرٌ تغيَّرت فيه الفنون من تصوير وموسيقى وعمارة.



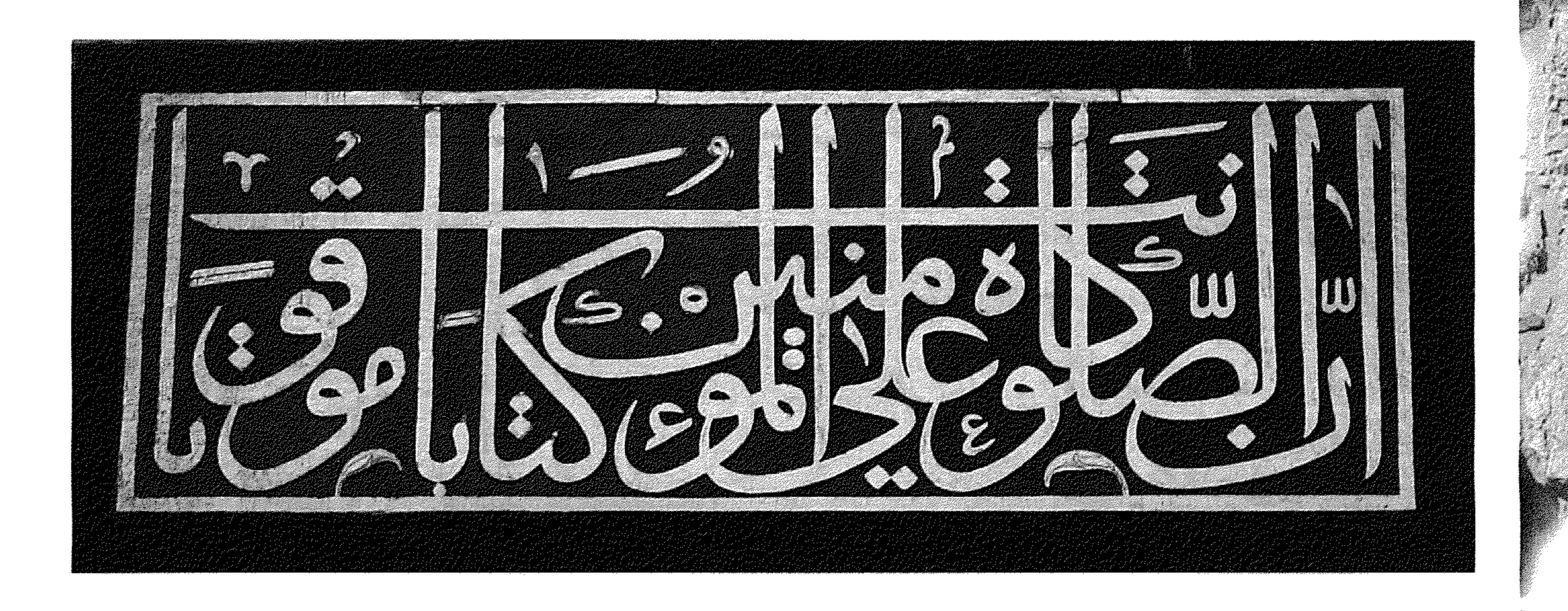
سبيل خسرو باشا

أنواع العمائر الإسلامية

ابتكر المسلمون بعضَ العمائر ذات الصبغة الإسلامية البحتة من حيث الوظيفة والأهمّية لحياة المسلم. كما استمرُّوا بطبيعة الحال في بناء العمائر التي لا غنى عنها في حياة أيّة أمَّة ومجتمع، لكنها اتَّخذت صبغة إسلامية شكلاً ومضمونًا. فقد ظلَّ الفنُّ الإسلامي فنًا تطبيقيًا يجمع بين احتياجات الفرد اليومية وبين الجمال في آن واحد. ومن أبرز العمائر الإسلامية:

المساجد

هي أقدم العمائر الإسلامية وأكثرها ارتباطًا بالإسلام لأنها مكان إقامة صلاة الجماعة. وأول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء، ثمَّ مسجدُ الرسول بالمدينة، وكان تخطيطُ المساجد عامَّةً في العصور الأولى يشبه مسجدَ الرسول، أي إنه يتكوَّن من صحن غير مسقوف ويحيط به أربعة أروقة. وكانت المساجدُ تُبنَى من الطوبِ اللبِن وجذوع النخيل، ثمَّ تطوَّر عمرانُ وتخطيطُ المسجد بتطوُّر الحضارة الإسلامية، وأُضيف إليه السُّور والمئذنة ودكَّة المبلِّغ وغيرها من العناصر المعمارية الخاصَّة بالمسجد، وكانت المساجد تلعب دورًا كبيرًا يتجاوزُ دورها كمكان ذا طابع ديني تؤدَّى فيه الصلاةُ، فكانت تخرج منها القراراتُ السياسية، وتُلقَى الخطبُ السياسية، وكان مكانًا للتشاور في أمور المسلمين العامَّة. وكانت المساجدُ في القاهرة كثيرةَ العدد لدرجة تسمية القاهرة بمدينة الألف مئذنة. يؤدِّي المسلمُ صلاة الجماعة في صفوف طويلة متتالية، ولهذا جاءت أشكالُ المساجد مستطيلة لأنه الشكل الذي يستوعب أكبر عدد من المصلِّين،

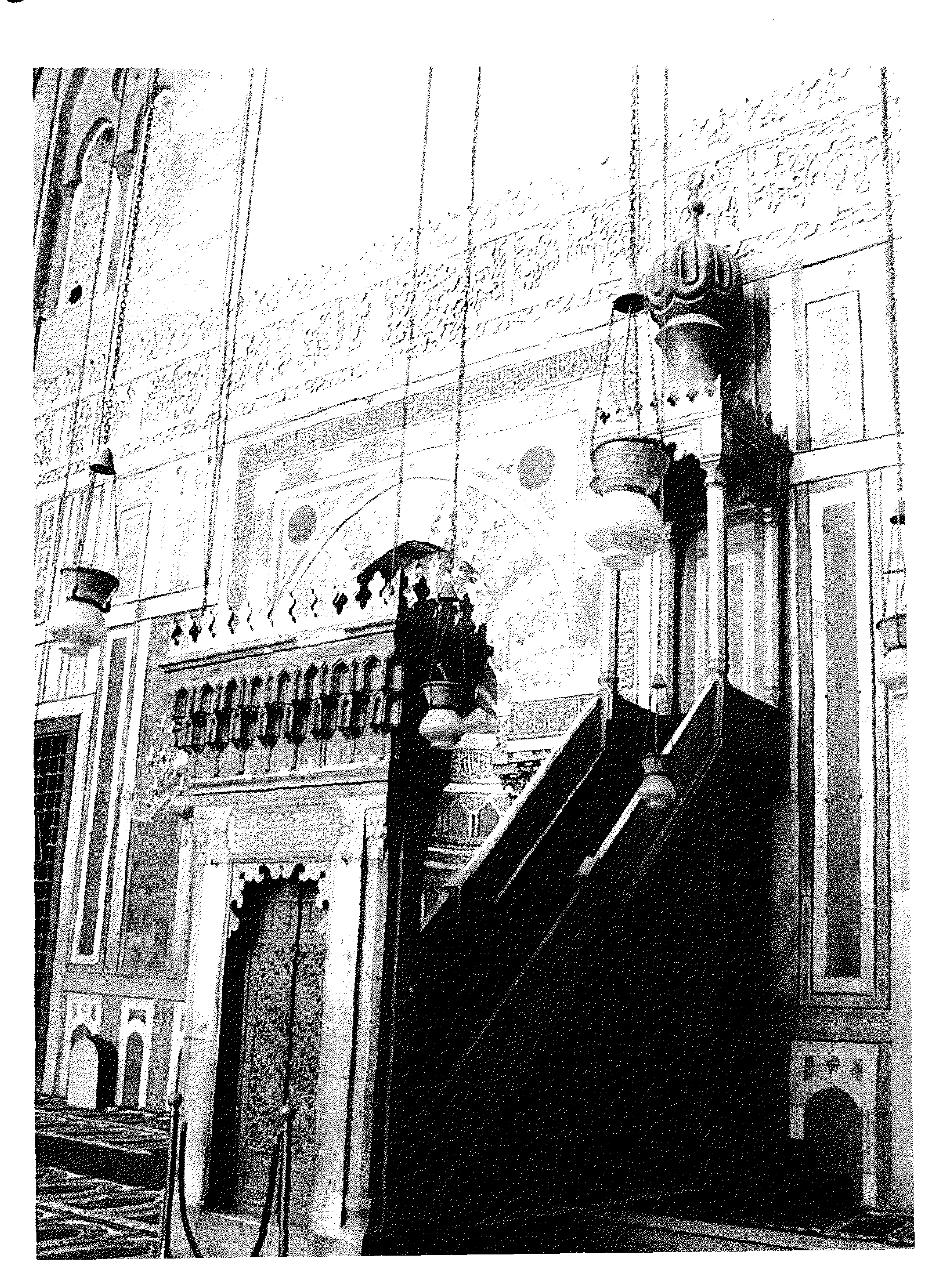


كما كان النَّهي عن المرور بين صفوف المصلِّين أثناء الصلاة سببًا في جعل المداخل في الجانبين أو في المؤخِّرة، كما أنَّ المسلم يصلِّي باتجاه القبلة (موقع الكعبة) فلا بدَّ أن يكون اتِّجاه المصلِّين وحائطهم الأمامي إلى هذا الاتجاه.

عناصر المعمار الأساسية في المساجد

المنبر

هو سُلَّم من الخشب يتكوَّن من عدَّة درجات يقف عليها الخطيبُ لإلقاء الخطبة. وقُد عُرف المنبر منذ عهد النبي، حيث كان يخطب فوق منبر من ثلاث درجات، يجلس فوق الأخيرة ويستند بقدميه على الدرجة الثانية، ويُصنع المنبر من الخشب وينتهي بمكان لجلوس الخطيب، كان المنبرُ في العصور الإسلامية آيةً في الجمال؛ نظرًا لدقة صنع وحفر الخشب، ومن أبرز المنابر في مصر منبر «حسام الدين لاجين» في مسجد أحمد بن طولون، ومنبر جامع المؤيَّد شيخ. وقد انتشرت المنابرُ الرخاميةُ التي بُنيت في العصر المملوكي مثل منبر مدرسة السلطان حسن، كما بُنيت في نفس العصر منابرُ من الحجر مثل منبر جامع الأمير شيخو.



منبر مسجد السلطان حسن

المحراب

هو تجويفٌ نصف دائري في الحائط لتمييز جدار القبلة عن غيره من الجدران فيتعرَّف عليه المصلُّون، وهو يتَّسع لشخص واحد هو الإمام. ويعودُ تاريخ المحاريب للعام الثاني الهجري، لكنها لم تكن منابر مجوَّفة، وأول مَن بنى منبرًا مجوَّفًا هو الخليفةُ عمر بن عبد العزيز في المسجد النبوي عندما قام بتجديده عام 90 هـ/781 م، ويتكوَّن المحرابُ المجوَّف من تجويف ينتهي بطاقيه ذات أشكال جميلة من الرخام الملوَّن.



محراب السلطان حسن



المئذنة

هي المكانُ الذي يرفع منه المؤذِّنُ الأذان. يرجع تاريخُ أول مئذنة في مصر إلى عصر معاوية الذي أمر باعدَّة بناء جامع عمرو وإضافة أربعة «صوامع» أي مآذن في الأركان الأربعة. أمَّا أقدم المآذن الباقية في مصر فهي مئذنة جامع الجيوشى بالمقطم، وهي مئذنة تعود للعصر الأيوبي في مصر. وفي بداية النصف الثاني من القرن 8هـ/ 14م ظهرت بمصرَ مآذنُ ذات رؤوس مزدوجة، وقد شاعت في نهاية القرن 9 هـ /15م وبداية القرن 10هـ /16 م. ومثال ذلك مئذنةُ مسجد قايتباي الرماح 908 هـ / 1503م ومئذنة السُّلطان الأشرف «أبو النصر قنصوه الغوري» بجامع الأزهر 915هـ /1510م وتميَّزت مآذنُ المماليك في مصر بجمال النسب وروعة الانسجام بين أجزاء المئذنة المختلفة. أمَّا المئذنة في عصر العثمانيِّين في مصر فقد امتازت بالبساطة والارتفاع والخلوِّ من أي زخرفة إلَّا بعض الأشرطة الحجرية البارزة التي تقسم بدن المئذنة إلى مناطق مستطيلة. وتتكوَّن المئذنة من شكل أسطواني، أمَّا القمة فهي مخروطةٌ مدبَّبةُ الشكل مكسوَّة بالرصاص، وتنتهي بالهلال. واستمرَّ هذا الطراز في عصر أسرة محمد علي. ومن أهمِّ الأمثلة مئذنة جامع سليمان أغا السلحدار بشارع المعزِّ لدين الله.

مئذنة الحسين القديمة

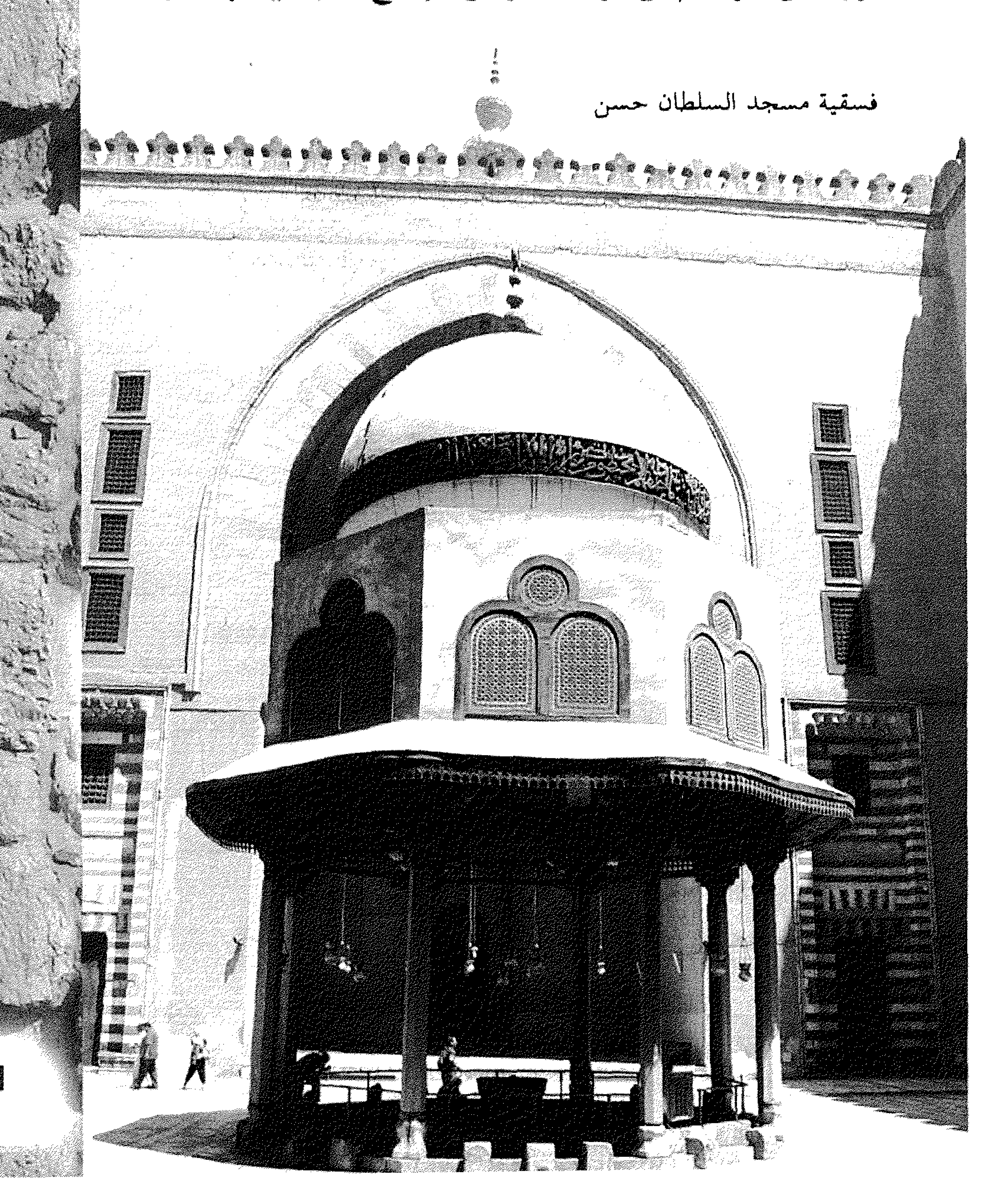
مئذنة المسجد الأزرق بإسطنبول

دكَّة المُبلِّغ

هي دكَّة للمبلِّغ، أي الشخص الذى يردِّد الأذان خلف المؤذِّن. وهي جسم مرتفع عن الأرض حتى يصل صوتُ المبلِّغ لأقصى مدًى ممكن، وتكون محمولةً على أعمدة من الرخام تحيط بها ألواحُ رخامية تفصلها قوائم ذات قممٍ رخاميَّة أيضًا، ويصعد إليها المؤذِّن عن طريق سُلَّم. أمَّا في العصر العثماني فتوجد الدكَّةُ في الحائط المقابل للمحراب وتكون على ارتفاع كبير، ويُصعَد إليها عن طريق سُلَّم في هذا الحائط.

الميضأة

هي حوض للوضوء يتوسَّط صحن المسجد غالبًا، وهو مسقوفٌ. و توجد الفسقية بوسط الصحن في المدرسة أو في الجامع، ويختلف حجمُها حسب مساحة الصحن وتقوم عليها قبَّة ترتكز على أعمدة، وهي عبارة عن حوض مثمَّن من الطوب يُكسى من الداخل والخارج بالرخام، وفي منتصفه نافورةٌ من الرخام، وحول الحوض ترتفع الأرضية بشكل مثمَّن أيضًا ويُغطَّى الحوضُ بقبَّة من الخشب محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام. ومن أروع الأمثلة للفسقية تلك التي تتوسط صحنَ مدرسة السلطان حسن (757 - 764هـ/ 1356 - 1362م)، ومن الأمثلة النادرة للفسقية تلك التي تتوسَّط صحن جامع أحمد بن طولون، وهي على هيئة حجرة مربَّعة من الحجر تغطِّيها قبَّة، وهي تعود إلى عصر السلطان حسام الدين لاجين (699هـ/1299م).



فسقية مسجد السلطان حسن



هو تلك المساحة المربَّعة أو المستطيلة المكشوفة التي تُترك بدون سقف في وسط المسجد، أو الجامع يحيطها من الجوانب الأربعة ظلاَّتٌ أربع أكبرُها ظلَّة القبلة، ويُلاحَظ أنَّ هذا الصحنَ قد يكون مغطى بسقف مسطَّح، وذلك نظرًا للظروف البيئية والمُناخية للإقليم أو البلد الذي يُبنى فيه المسجدُ، وقد اختفت فكرةُ الصحن المكشوف وحلّتْ محلَّها القبَّةُ في العصور الإسلامية المتأخِّرة مثل العصر العثماني.

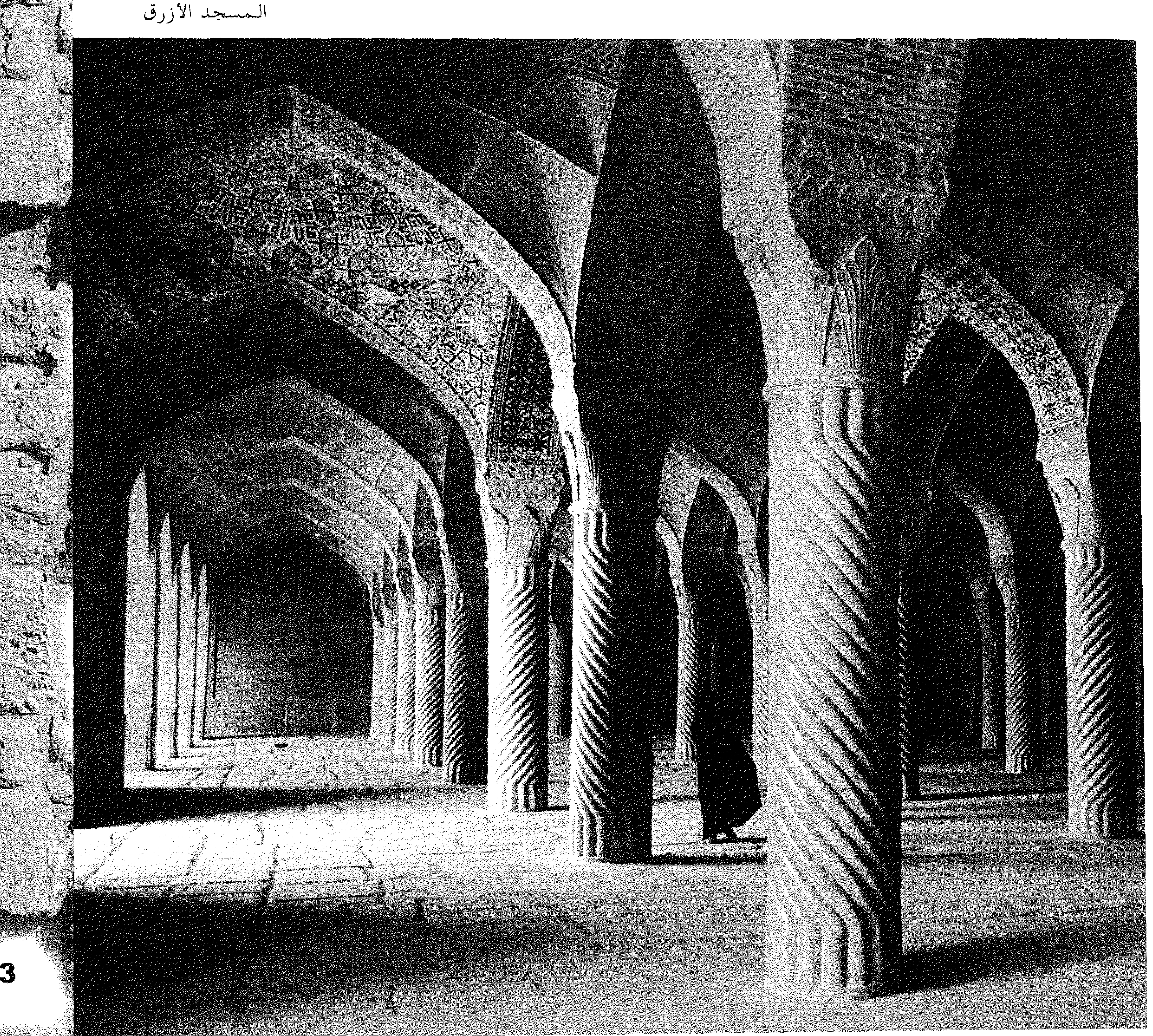
وقد عُرفَ الصَّحنُ في بعضِ الحضارات القديمة قبل الإسلام ، فقد وُجد في آثار السُّومريِّينَ والبابليِّينَ ما يدلُّ على أنَّهم عرفوا الصحنَ كعُنصرٍ معماريٍّ في منازلهم. ولا يعني هذا أنَّ المسلمين قد أخذوا عنهم الصحنَ مباشرةً، لكنَّه لم يكن ابتكارًا إسلاميًا صِرْفًا، إلاَّ أنَّ حُسْنَ استغلال المسلم للصَّحن وتطويعَه لخدمة العمائر والبيئة هو ما منحه الهويَّةَ الإسلاميةَ. ولم يكن الصحنُ -كعنصر معماريٍّ- يقتصرُ على المساجد، لكنه وُجد في كثيرٍ من العمائرِ الأخرى كالبيوت والقصور و المدارس و الوكالات.

المسجد الأزرق

الأروقة والظلّات

هي المساحة أو الجزء الذي يلي الصحن ويغطّى دائمًا بسقف غالبًا ما يكون مسطّحًا. ويمكن تعريف الرواق بأنه المساحة المحصورة بين صفّين من الأعمدة والأقواس، وهي غالبًا ما تكون موازيةً لجدار القبلة. ولكن إذا وُجد رواقٌ يمتدُّ قاطعًا على المحراب وتحصره بائكتان عقودهما عمودية على جدار القبلة فهو يُعرف بالمجاز القاطع، ويوجد منه أمثلة في المساجد الإسلامية في مصر في جامعي الأزهر والحاكم بأمر الله، وهما من العصر الفاطمي. ومن المعروف أنَّ الظلَّةَ تحتوي على عدد من الأروقة يزيد في ظلّة القبلة التي تكون في أغلب الأحوال أكبر الظلّات في المسجد أو الجامع.

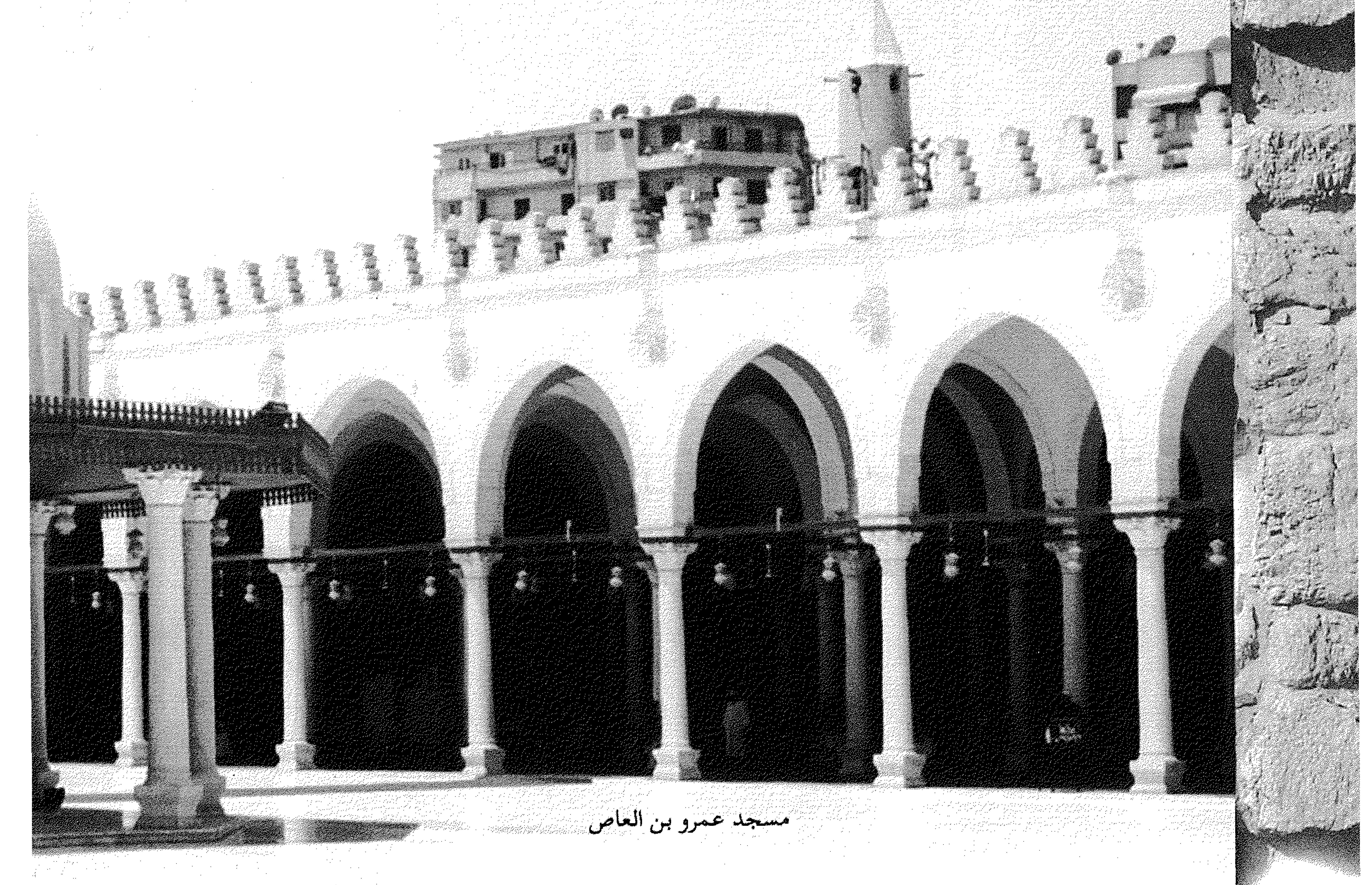
المسجد الأزرق



الجامع الأول.. الجامع العتيق

بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر كان أوَّل ما أمر به هو بناء جامع في وسط المدينة. كان شكلُ الجامع الأصلي وقتَ بنائه عام 21هـ/ 642م يختلف عن شكله الحالي، فقد كان يتكوَّن من مساحة مستطيلة طولُها خمسون ذراعًا وعرضُها ثلاثون ذراعًا، وأحيط الجامع من الجهات الأربع بطرق عرضُها سبعة أذرع، وكانت أرضيَّتُه مفروشةً بالحصُر، وسقفُه مغطًى بسعف النخيل المحمول على ساريات من جذوع النخيل المغطَّى بالطين، وبُنيت جدران المسجد من الطوب اللبِن، وكان له ستَّة أبواب، وقد اشترك ثمانون صحابيًا في تحديد اتجاه القبلة، إلَّا أنها جاءَت منحرفة قليلاً نحو الشرق.

وقد بنى «عمرو بن العاص» لنفسه دارًا شرق الجامع سُمِّيت «دار عمرو الكبرى»، وكان بجوارها من الشمال دار ابنه «عبد الله»، وسُمِّيت «دار عمرو الصغرى»، وبجوارها دار للصحابي «الزبير بن العوام»، ويقال إنَّ «عمرو» بنى منبرًا بالمسجد فكتب إليه «عمر بن الخطاب» يأمره بإزالته، وقال له:"أما يكفيك أن تقومَ قائمًا والناس جلوسٌ تحت عقبيك"، فأزاله عمرو.

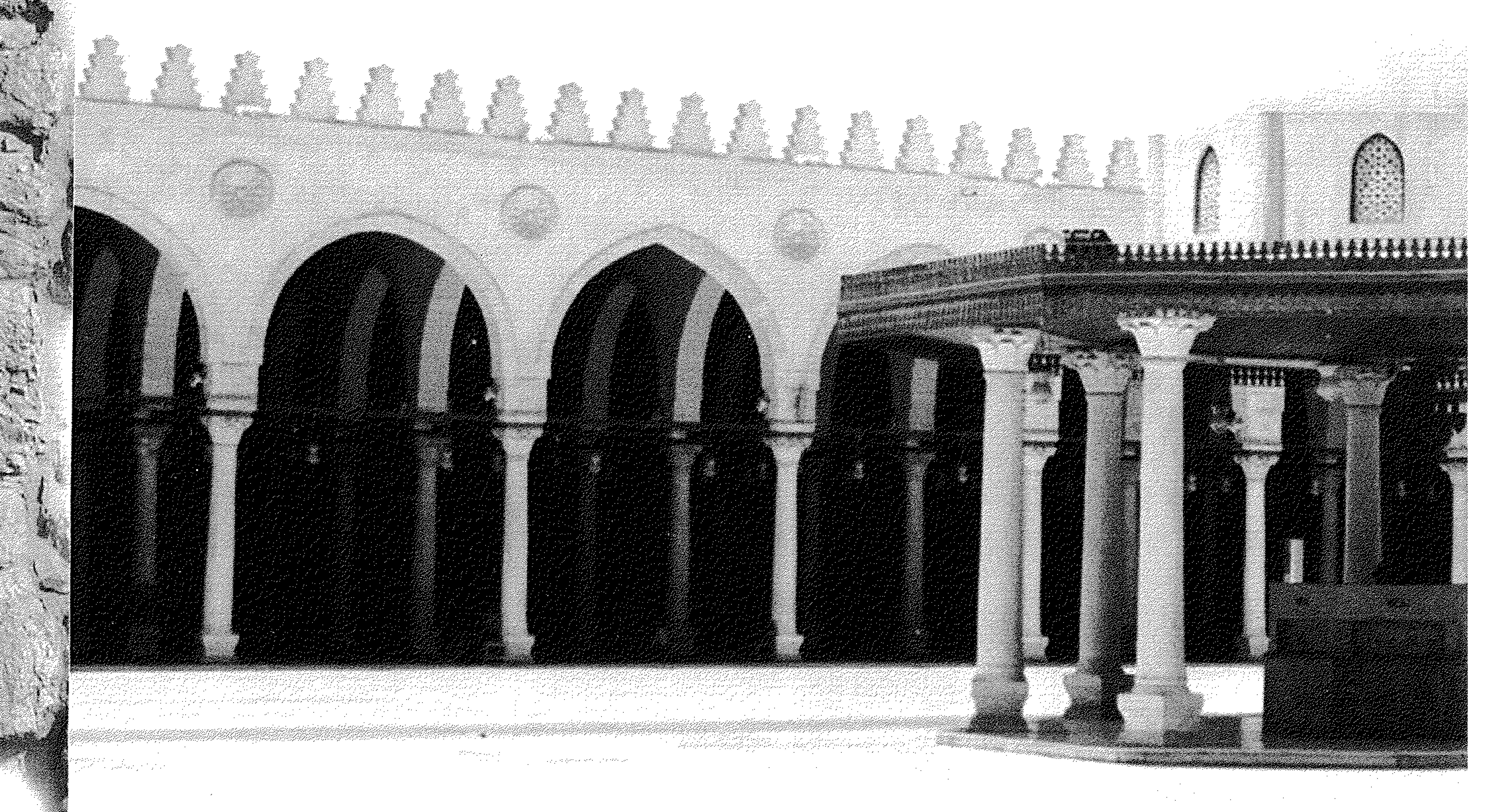


مسجد عمرو بن العاص

الجامع العتيق عبر العصور

أُضيف للمسجد العتيق أو «مسجد عمرو» الكثيرُ من الزيادات والتجديدات عبر العصور المختلفة، وكان أول تجديد وزيادة للمسجد في عام 53م في العصر الأموي في عهد الخليفة «معاوية بن أبي سفيان»، فقد أرسل أمير مصر في ذلك العصر «مسلمة بن مخلد الأنصاري» إلى «معاوية» يخبره بشكوى المسلمين من ضيق المسجد، فأمر معاوية بزيادة المسجد وتوسعته، وقد دهنه «مسلمة» بالطلاء، وزخرف الجدران والسقوف، وفرشه بالحصر، وبنى به أول منارة، وممَّا ذُكر أيضًا أنَّ «مسلمة» أقام في أركان المسجد الأربعة أربع مآذن.

كانت الزيادة الثانية في عهد الخليفة «عبد الملك بن مروان» حيث قام أخوه أمير مصر «عبد العزيز بن مروان» بهدم وإعادة بناء المسجد في سنة 79هـ، وزاد في مساحة المسجد وارتفع بسقفه عام 89هـ، وفي سنة 93هـ نصب منبرًا جديدًا في مسجد «عمرو». وكان ممَّا أضافه أيضًا محرابٌ مجوَّفٌ، وهو المعروف الآن بمحراب عمرو، لأنه أُقيم في نفس تجويف المحراب القديم الذي بناه عمرو بن العاص، كما ذَهَّب «قُرة بن شريك» والي مصر التالي تيجانَ الأعمدة الأربعة التي تتقدَّم المحراب، وفتح في المسجد أحد عشر بابًا. وفي خلافة «سليمان بن عبد الملك» عام97هـ بنى «أسامة بن زيد» مُتَولِّي الخَراج بيتَ المال، بناء تعلوه قبَّة، وما زال يتوسَّط صحنَ الجامع حتى الآن.



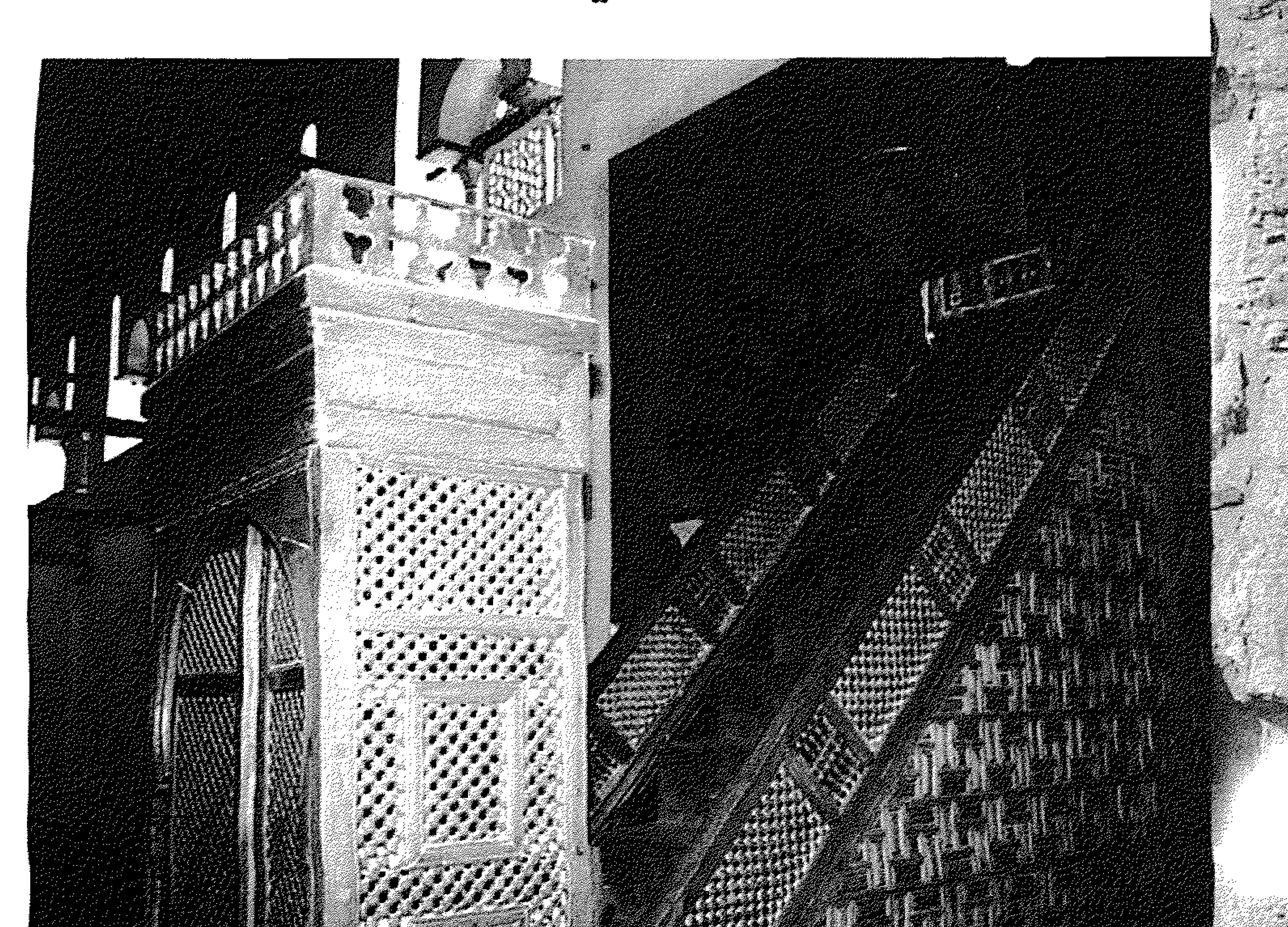
في العصر العباسي أضاف إليه والي مصر «صالح بن علي» عام 133هـ في عهد الخليفة «أبي العبَّاس السفاح» مساحة جديدة، وفي عصر الخليفة المأمون أمر والي مصر «عبد الله بن طاهر» بزيادة المسجد فصارت مساحتُه 112.5 × 120.5م، وهي مساحتُه الحالية.

وقد أصاب هذه الزيادة حريقٌ هائل في عهد الدولة الطولونية، فأمر «خمارويه بن أحمد بن طولون» بعمارة هذا الجزء وإعادته إلى ما كان عليه، وأنفق في ذلك ستة آلاف وأربعمئة دينار.

وفي العصر الإخشيدي نُقشت الأعمدةُ وطوِّقت بأطواق من الفضَّة.

وفي القرن الرابع الهجري كتب الرحَّالة «عبد الله المقدسي» عن المسجد فقال: "إنه أحسن البناء، وفي حيطانه شيءٌ من الفسيفساء يقوم على أعمدة رخام، وهو أكبر من جامع دمشق، وهو أعمر موضع بمصر".

وفي العصر الفاطمي لم ينقطع الاهتمامُ بالجامع رغم ظهور الجامع الأزهر الذي صار مسجد الدولة الرسمي، فقد أمر الخليفةُ «العزيز بالله» ثاني الخلفاء الفاطميِّين وزيرَه «يعقوب بن كلس» عام307هـ أن يزيد في النافورة الموجودة تحت بيت المال، يجدِّد بياض المسجد. وفي عصر الخليفة «الحاكم بأمر الله» أمر بعمل رواقَيْن في صحن الجامع وأرسل للمسجد نجفة من الفضَّة



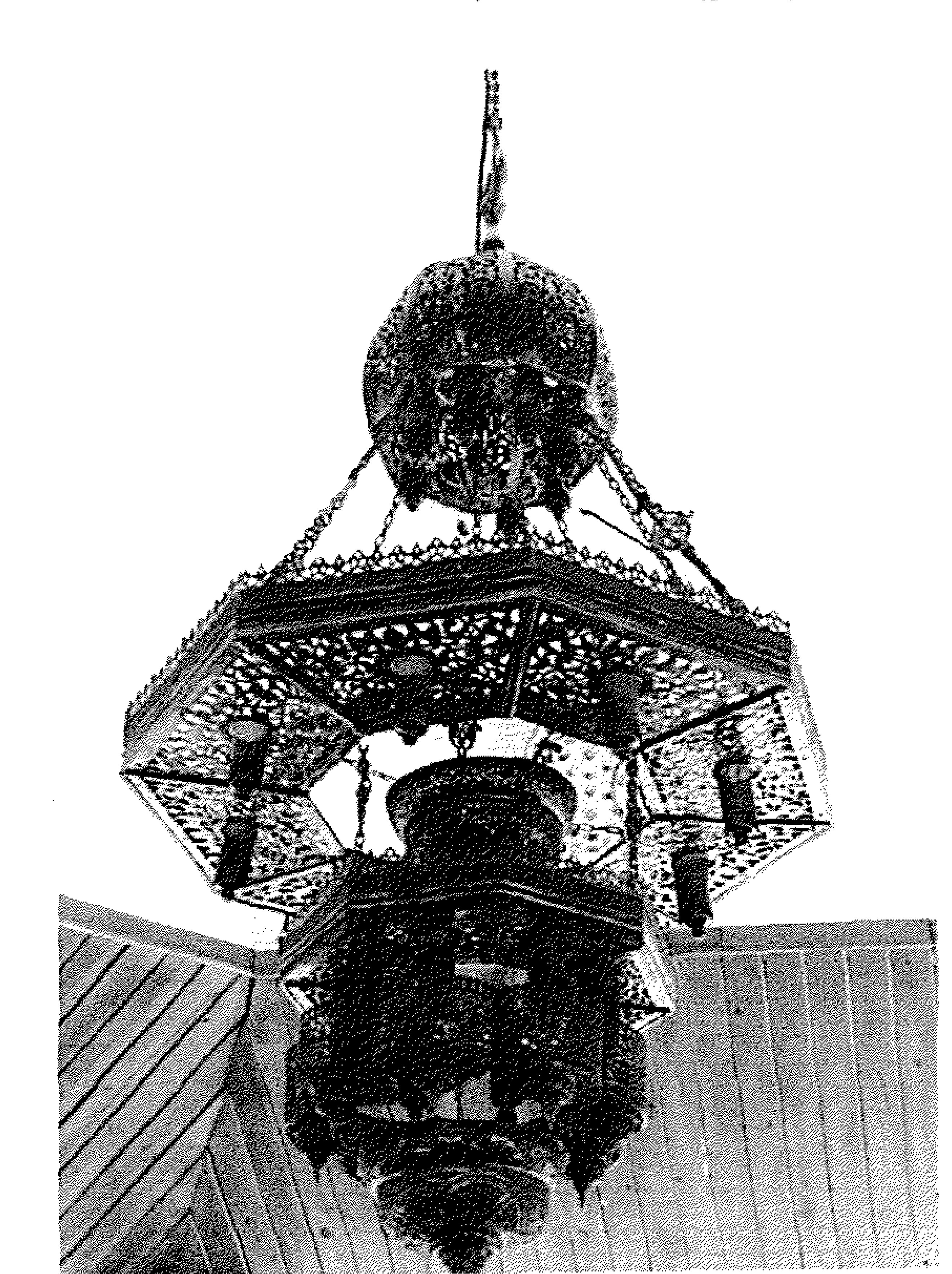


قيمتها مائة ألف درهم فضَّة، وأضيف للجامع محرابٌ من الخشب الهندي المنقوش به عمودان من خشب الصندل، كما أمر الخليفة «المستنصر» بعمل منطقة من الفضَّة في صدر المحراب كتب عليها اسم أمير المؤمنين، وفي عام 445هـ أمر ببناء مئذنة جديدة.

وفي العصر المملوكي لم يتوقَّف التجديد في المسجد، إذ جُدِّد في عهد «الظاهر بيبرس» عام 666هـ، ثم جُدِّد مرَّة أخرى في عهد «المنصور قلاوون» سنة 687هـ ، وجُدِّد في عصر السلطان «الناصر محمد بن قلاوون» سنة 703هـ. وكان آخر تجديد للجامع في العصر المملوكي في عهد الملك «الأشرف أبو النصر قايتباي»، وقد جدَّد الأمير المملوكي «مراد بك» عام 1211م ما أصاب المسجدَ من أضرار بفعل الزمن والإهمال فجدَّد سقفَه وحُصرَه وقناديلَه.

فلمَّا جاءت الحملة الفرنسية أصاب المسجدَ الخرابُ والإهمالُ حتى صار أسوأ حالاً مما كان قبل تجديد «مراد بك» له.





الجامع المُعَلَّق.. جامع ابن طولون

أمر «ابن طولون» ببناء جامع في وسط «القطائع» عاصمته الجديدة، وبُدِئ في البناء عام 263هـ وانتُهي منه عام265 هـ، وبني على جبل يقال له «يشكر». يتكوَّن الجامعُ من شكل مربَّع تبلغ مساحتُه 162.5× 161.5م، ويتوسَّطه صحنٌ مكشوف مربَّع مساحته 92.5× 91.80م، ويحيط بالصحن أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة، وتتكوَّن الأروقة من دعائم مبنيَّة بالطوب الآجر، وفي أركان كلِّ دعامة بُنيت أعمدةٌ متَّصلة نُقشت تيجانُها بأشكال نباتية بالأرابيسك.

وتحمل الدعائم عقودًا غُطِّيت بطبقة من الجصِّ المزخرَف، ويحيط بجدران المسجد الأربعة من أعلى مئةٌ وتسعة وعشرون شباكًا من الجصِّ المفرَّغ بأشكال هندسية ونباتية. ويتكوَّن رواقُ القبلة من خمسة أروقة يعلو العقود فيها إفريز من الجصِّ يعلوها سقف من الخشب المزخرف بالخطِّ الكوفي، ويوجد بإيوان القبلة خمسة محاريب غير مجوَّفة بخلاف المحراب الرئيسي الذي يتوسَّط جدار القبلة، فهو مجوَّف ومزخرف بفصوص من الفسيفساء الذهبية والزجاجية الملوَّنة، وكُتِب فيها: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".



جامع ابن طولون

والمحراب الرئيسي من إضافات السلطان «لاجين» في العصر المملوكي، والمحاريب غير المجوَّفة يوجد منها اثنان بالدعامتين القائمتين بمنتصف البائكة الثانية مما يلي الصحن الأيمن مكتوب عليها بالخطِّ الكوفي:

"بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بإنشاء هذا المحراب خليفة فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الآئمَّة المستنصرين السيد الأجلِّ الأفضل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين"، ويرجع هذا المحراب لعام 487هـ.

والمحراب الأيسر تقليد للأيمن، وأضافه «المنصور لاجين» عام 696هـ.

يحتوي جامعُ ابن طولون على لوحة تذكارية من البازلت الأسود نُقِش عليها بالخطِّ الكوفي تاريخُ الإنشاء وبعضٌ من آيات القرآن الكريم.

تتوسَّط الصحن قبَّةٌ كبيرةٌ هي ثالث قبة كبيرة أقيمت فيه، وهي من إنشاء الخليفة المنصور لاجين سنة 696هـ، وتقوم القبَّة الحالية على مربَّع يرتكز على أربعة عقود، وفي أركان المربَّع توجد سبعةُ صفوف من المقرنَصات تعلوها قبَّة، ويحيط برقبة القبَّة شريط من آياتِ القرآن مكتوبة بالخطِّ الثلث المملوكي.

ومن أهمِّ ما يميِّز جامعَ بن طولون مئذنتُه ذاتُ الطراز الفريد، وهي مبنيَّة على غرار مئذنة مسجد سامرَّاء وهما النموذجان الوحيدان من نوعهما في العالم، فهما الوحيدتان المبنيَّتان خارج المسجد لا داخله مثل باقي المآذن، وسُلَّمُهما خارجي. ومئذنة ابن طولون مئذنة ملويَّة بسُلَّم خارجي مكوَّنة من أربع طبقات: أولها قاعدة مربَّعة الشكل، يعلوها الجزء الأسطواني الملتوي الملفوف للخارج، وينتهي الجزء الأسطواني بشكل مثمَّن، فوقه جسمٌ آخر مغطى بقبَّة.

ولم يَبْقَ من العصر الطولوني سوى هذا المسجد بالرغم مما ذكره المؤرِّخون من أنَّ أحمد ابن طولون بنى قصرًا في القطائع سُمِّي «قصر الميدان»، وزيَّنه بحدائقَ واسعة ومضمار لسباق الخيل ولعب الكرة، وكان للمضمار بوَّابة كبيرة ذاتُ ثلاثة أقواس، وكان «ابن طولون» يدخل


مئذنة جامع ابن طولون

المضمار من قوس البوابة الأوسط تصاحبه قوّاته في صفّين من الأقواس الجانبية، وقد دُمِّرت المدينةُ على يد العبّاسيِّين عام 905م بسبب خلافهم مع «خمارويه بن طولون»، ولم يَبْقَ من المدينة سوى الجامع وقناطر للنيل.

ويُعتَقد أنَّ ابن طولون استعان بصُناع ومهندسين من العراق لبناء المدينة والمسجد؛ نظرًا لوجود عناصر معمارية غير مألوفة على المصريين في ذلك الوقت.

الجامع المعلَّق عبر التاريخ

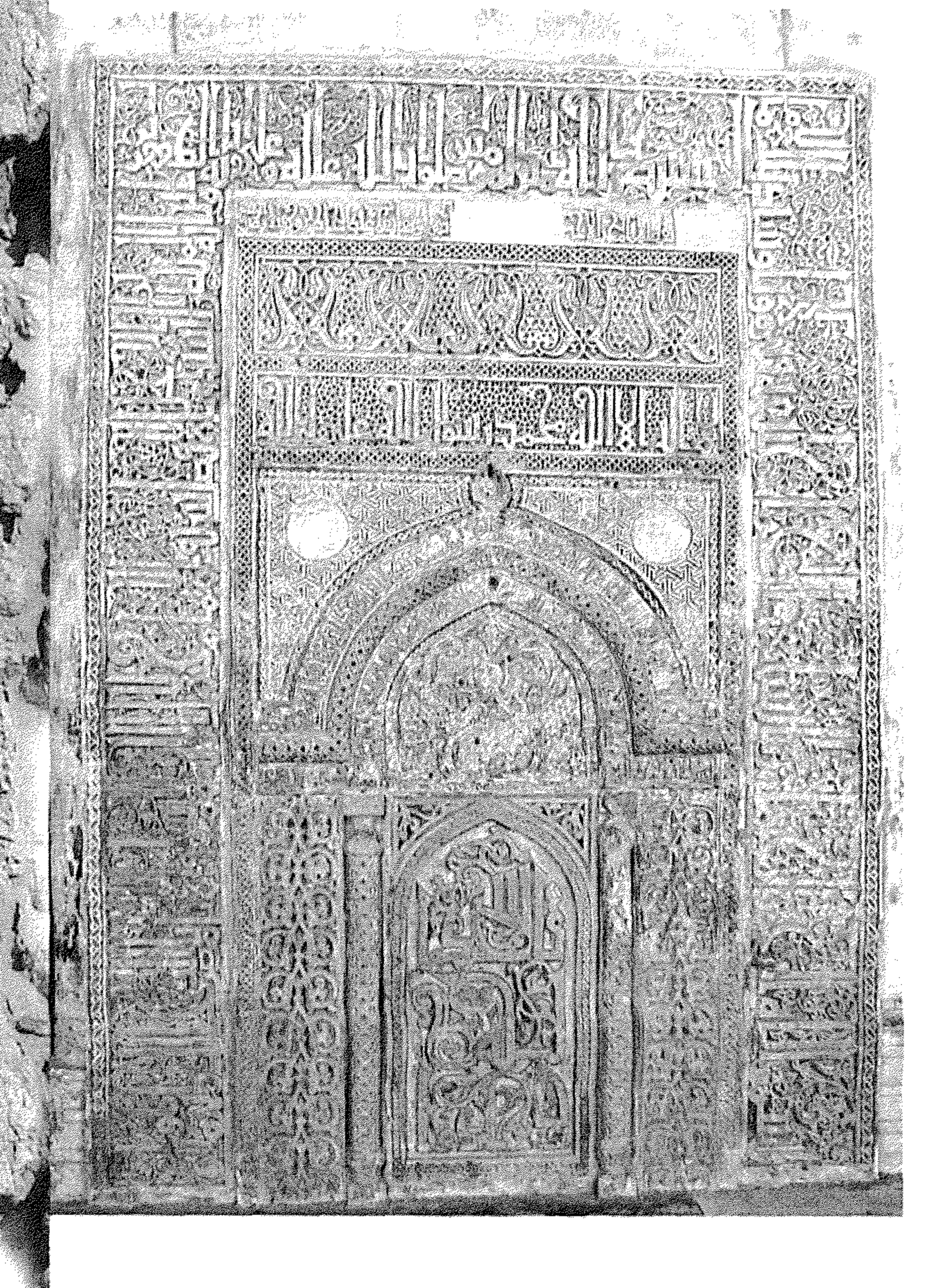
سُمِّي الجامعُ بالمعلَّق نظرًا لضرورة الصعود إليه عبر عدد من السلالم، وقد تتابعت عليه التغييرات والزيادات عبر العصور، فيقال إنَّ أول مَن عُني بترميمه هو الوزير الفاطمي «بدر الجمالي» عام 470هـ، ثمَّ الخليفة «الحافظ لدين الله الفاطمي». وفي عام 376هـ احترقت النَّافورة الموجودة بوسط المسجد، وكانت قبَّة مشبَّكة من جميع الجوانب، وهي مذهَّبة وتقوم على عشرة أعمدة من الرخام، وفي عام385 هـ أمر «العزيز بالله» ببناء نافورة جديدة. أمَّا أهمُّ تلك التجديدات فتمَّت في عهد الخليفة المملوكي «المنصور



جامع ابن طولون

لاجين» عام 696هـ، حيث كلَّف الأميرَ «علم الدين سنجر» بالاهتمام بالجامع الطولوني وأن يوفِّر له كلَّ ما يحتاج من تجديد، وذلك من مال «المنصور لاجين» الخاصّ، فأزال كلَّ ما كان فيه من تخريب، وبيَّضه، ورتَّب فيه دروسًا في الفقه على المذاهب الأربعة، ودرسًا في تفسير القرآن، ودرسًا في الحديث، ودرسًا في الطبِّ، وعيَّن له خطيبًا خاصًا، وإمامًا خاصًا، ومؤذنين، وفرَّاشين وخدمًا لنظافة المسجد والعناية به. وبلغت تكلفةُ تلك التجهيزات عشرين ألف دينار. وفي عهد «محمد بن قلاوون» بُنيت منارتان أسطوانيَّتان على طرفي الجدار الشرقي، إلَّا أنهما هُدِمَتا بسبب وجود خلل فيهما.

في عام 792هـ أنشأ «عبيد بن محمد عبد الهادي البازدار» رواقًا بجوار المنارة وجدَّد الميضأة.





الـجامـع الأزهـر

أسَّس الجامعَ الأزهر القائدُ «جوهر الكاتب الصقلّي» مولى الخليفة الفاطمي «المعزّ لدين الله الفاطمي»، وبدأت عمارتُه في يوم السبت السادس من جمادى الأولى عام359هـ وتم بناؤه في رمضان سنة 361هـ، وهو أول بناء فاطمي، ولا يزال قائمًا منذ ذلك التاريخ. وقد بُني الأزهرُ ليكون الجامع الجديد والأساسي بعاصمة الفاطميِّين التي اختطَّها «جوهر الصقلي» لتكون مركزًا للدعوة الفاطمية.

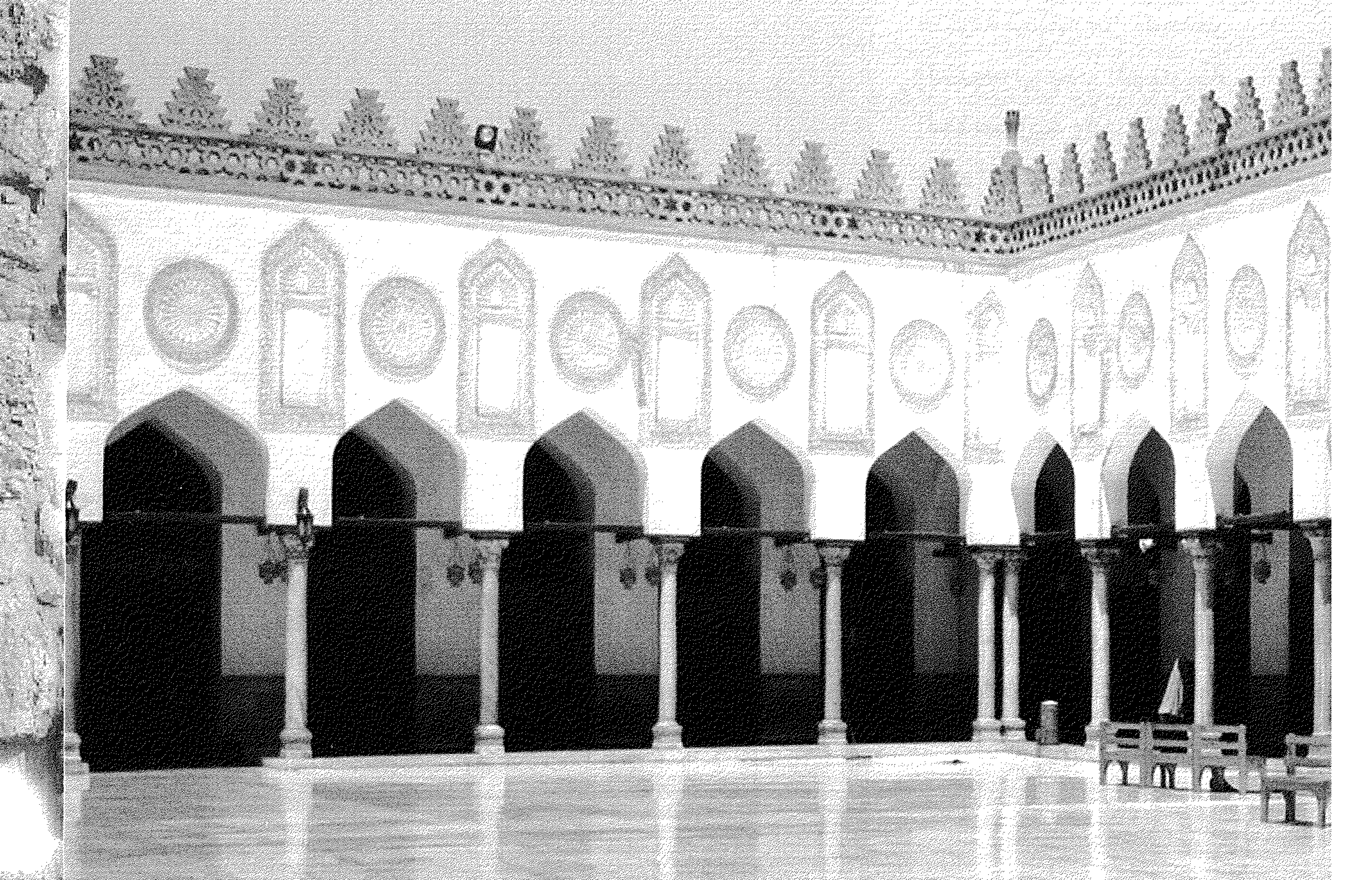


وقد أمر في هذا الجامع أن تُقطع الخطبة والدعاء للعبَّاسيِّين وحرَّم لبس السواد شعارهم واستبدل بذلك لبس البياض والدعاء لآل البيت. وبذلك انتهت تمامًا سيطرةُ العباسيِّين ووجودهم في البلاد.

وغير معروف على وجه الدقَّة الشكل والتخطيط الأصليَّيْن للجامع. فقد زاد عليه الكثيرُ من الخلفاء، وجدِّدت أجزاء كثيرة فية، وإن كان الجامعُ لا يزال محتفظًا ببعض البقايا التي ترجع للعصر الفاطمي. ولهذا فإنَّ الجامع الأزهر حاليًا هو مجمَّع للآثار الإسلامية من العصور المختلفة.

كان الجامعُ الأزهرُ في العصر الفاطمي يبلغ نصفَ مساحته الحالية. ويتكوَّن الأزهرُ من ساحة واسعة غير مسقوفة الوسط، وله تسعةُ أبواب أهمُّها الباب الرئيسي المسمَّى «باب المزيِّنين» الذي يتكوَّن من بابين لكلٍّ منهما مصراعان، وسُمِّي هذا الباب باب المزيِّنين لأنَّ المزيِّنين كانوا يجلسون في الممرِّ ويحلقون رؤوس الطلبة. وقد أنشأ «عبد الرحمن كتخدا» هذا الباب، لكن الباب الأصلي للجامع هو الباب التالي لمدخل الصحن، وقد جدَّده السلطان الأشرف «قايتباي» أحد سلاطين المماليك.

الجامع الأزهر

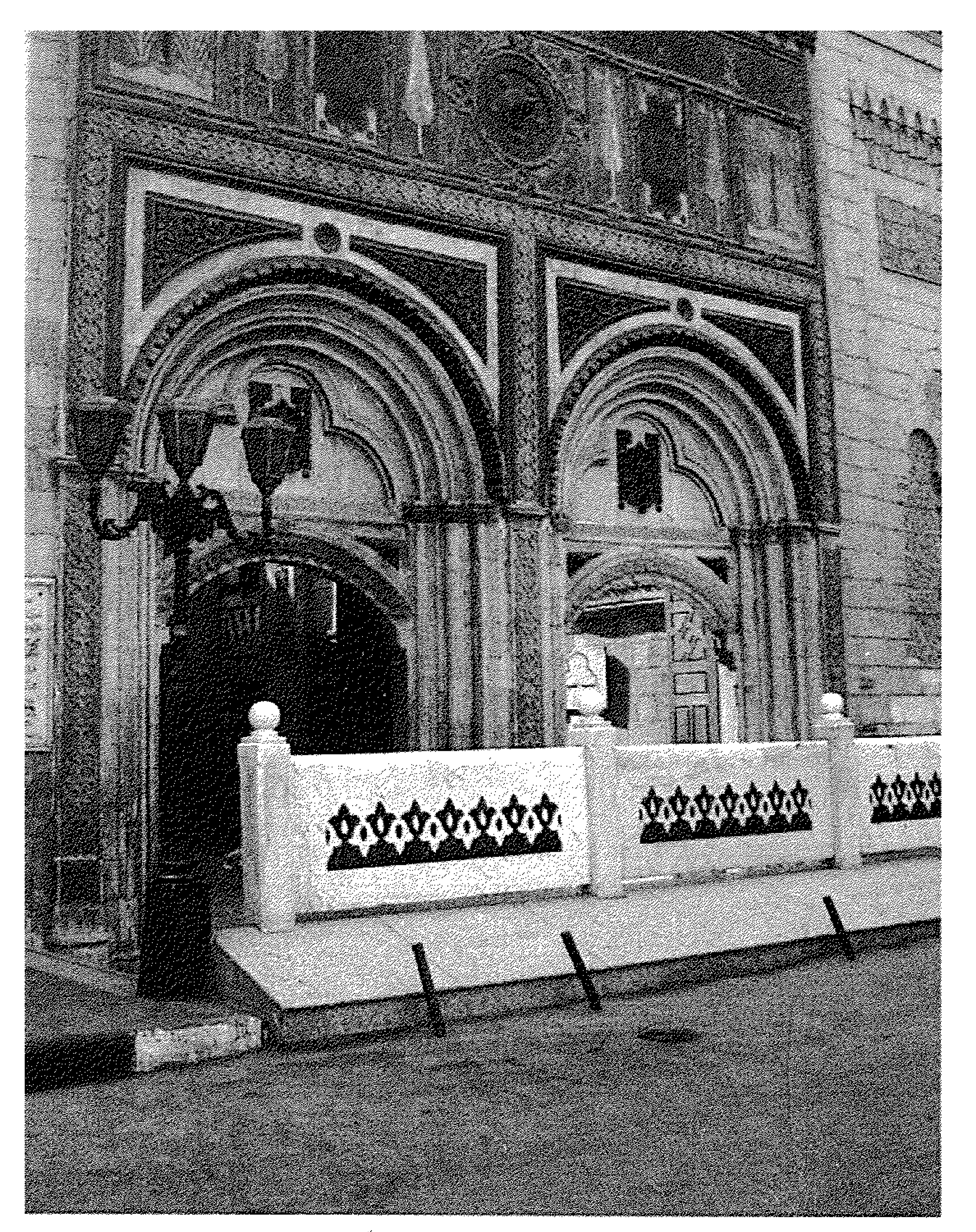


وبالإضافة إلى هذين البابين توجد الأبواب التالية:

باب المغاربة، باب الشوام، باب الصعايدة، باب الشوربة، باب الجوهرية، باب الميضأة.

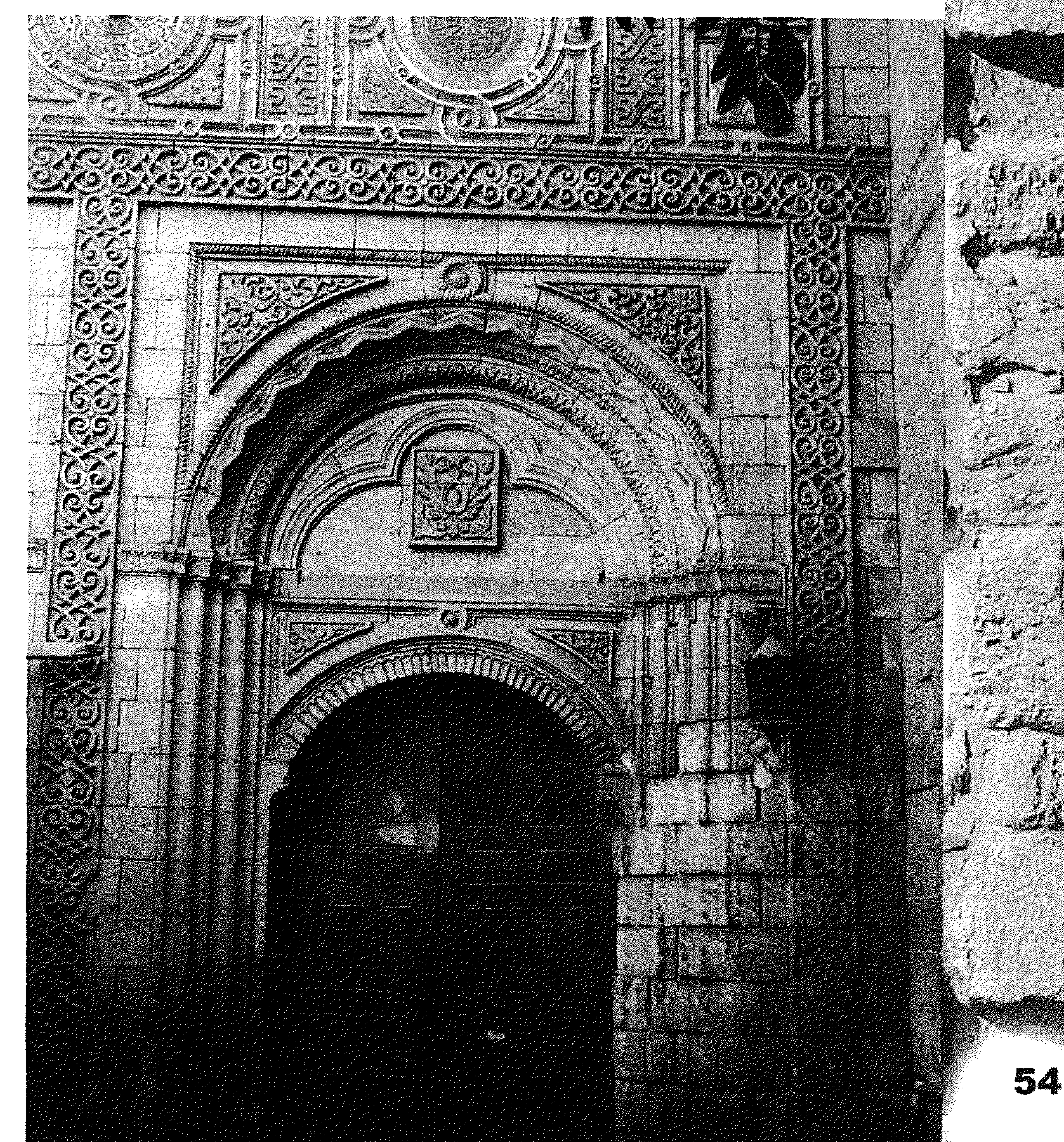
يتكوَّن صحنُ الجامع من مستطيل تحيط به البوائكُ من الجهات الأربع، وكانت أرضيَّتُه مفروشةً ببلاط من الحجر الجيري المنحوت.

كان للأزهر ستُّ مآذن، منها مئذنة خارج باب المزيِّنين على يمين الداخل إلى الجامع وهي من إنشاء عبد الرحمن كتخدا، وهناك مئذنة المدرسة



باب المزيِّنين

الأقبغاوية وهي أول مئذنة تُصنَعُ من الحجر المنحوت بعد المدرسة المنصورية وقد أنشأ هذه المئذنة الأمير علاء الدين أقبغا، والمئذنة الثالثةُ تقع على يمين الداخل وهي من إنشاء السلطان الأشرف قايتباي، ويليها أعلى منارات الأزهر وأعظمها والتي أنشأها السلطان الغوري، وفي الضلع الشرقي للجامع توجد مئذنتان من إنشاء عبد الرحمن كتخدا.



باب الحريم

المحاريب

يحتوي الجامعُ الأزهر على عدَّة محاريب، منها اثنان بإيوان القبلة الجديدة التي أضافها «عبد الرحمن كتخدا» والمحراب الأكبر فيها هو الذي يصلِّي فيه إمام الجامع، ويعلو المحراب قُبَّة ترتكز على ستَّة أعمدة، أما المحراب الثاني فهو أصغر حجمًا ويوجد شمال المنبر وبه الكثير من النقوش والزخارف، ويشتهر بقبلة الشيخ الدردير.

أمَّا في إيوان القبلة القديمة فيوجد المحرابُ الأصلي، ويعلو سقفُه عن سقف الأروقة الجانبية، ويُعرف بالمحراب القديم، وكان يصلِّي فيه إمامٌ للجامع على المذهب الشافعي، يوازي إمامًا آخر يصلِّي في المحراب الكبير بإيوان القبلة الجديدة على المذهب المالكي.

ويوجد بالقرب من رواق الشراقوة قبلةٌ صغيرة من الخشب ترجع لعام627هـ تُعرف بقبلة الشيخ الشربيني، كما يوجد بصحن الجامع أربعةُ محاريبَ صغيرة أحدُها يلي رواق معمر، وقد جدَّده شخص يُدعى «الخواجة مصطفى بن الخواجة محمود بن جبلى»، كما يوجد بباب المجاز بإيوان القبلة محرابان نُقش على أحدهما بالخط الكوفي «لا إله إلا الله»، وبالقرب من الباب الثاني لإيوان القبلة محرابٌ مكتوب عليه: "أمر بتجديد هذا المحراب السعيد سيدنا ومولانا الإمام الأعظم والملك الأكرم السلطان الملك الأشرف قايتباي".

ويوجد بالأزهر ستَّةُ صهاريجَ للمياه منها أربعة بالصحن وخامس في رواق الصعايدة، وقد أنشاها «عبد الرحمن كتخدا»، وكان الصهريجُ الخامسُ بالقرب من باب المغاربة.

كان الأزهرُ يضمُّ عددًا كبيرًا من الأروقة والحارات لم يَبْقَ منها الآن إلَّا 29 رواقًا و14 حارة.

أحدث الأروقة وأكبرها هو الرواق العبَّاسي، بُني في عهد الخديوي «عباس حلمي الثاني» في عام 1315هـ.

الصهريج
إناءٌ كبيرٌ لحفظِ المياهِ، ويُصنَع غالبًا من الحديد.



وقد بُني على الطراز العثماني. وهناك عددٌ آخر من الأروقة سُمِّيت غالبًا باسم مَن سكنها من طلبة مثل: رواق المغاربة، ورواق الشوام، ورواق الصعايدة، ورواق اليمنيَّة، ورواق الأتراك، ورواق البغداديِّين، ورواق الأكراد، ورواق الهنود، ورواق البرابرة، ورواق الشراقوة، ورواق الفيومية.

تجديدات الجامع الأزهر

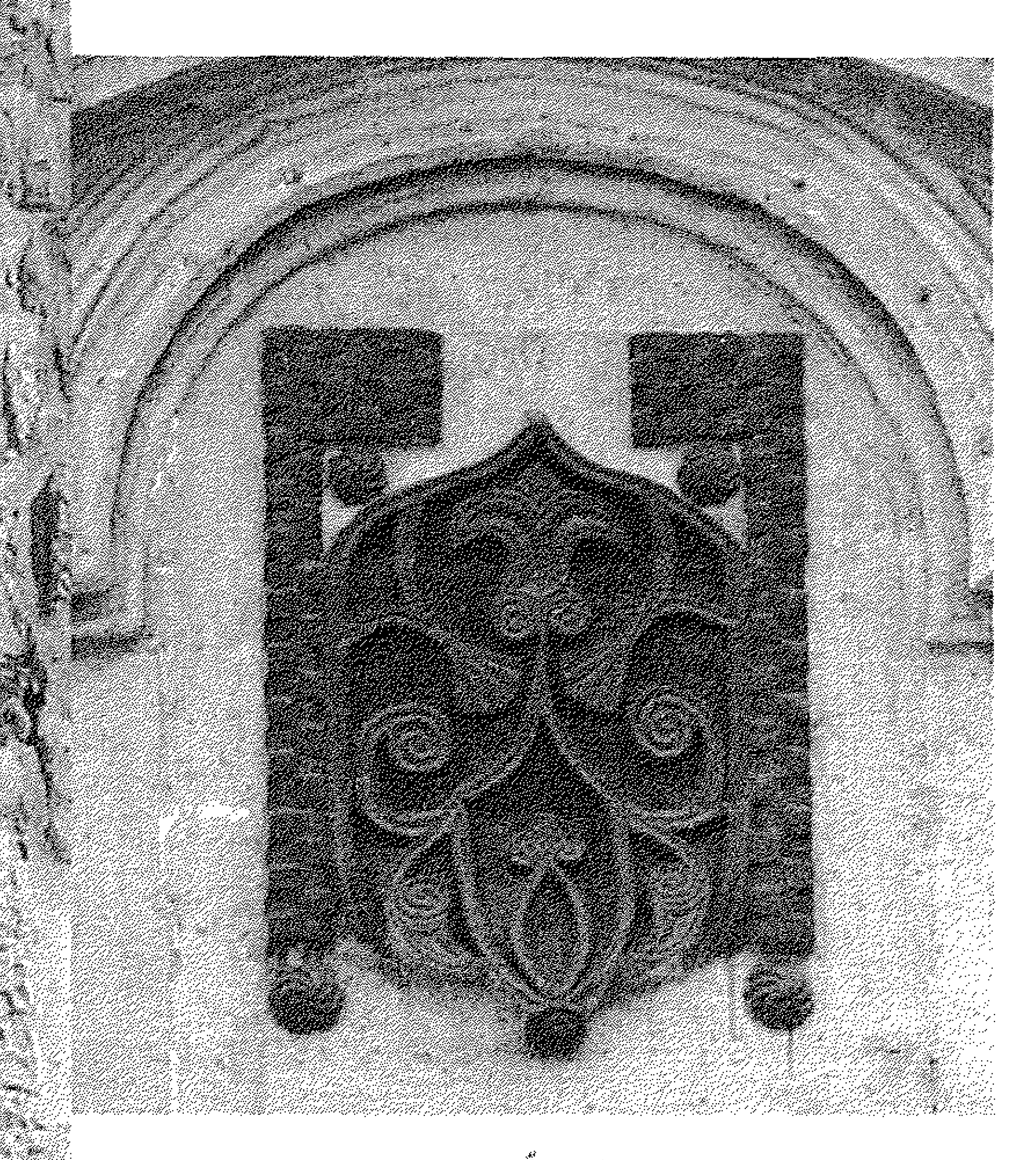
جُدِّد الجامعُ الأزهر مرَّات عديدة عبر التاريخ. ففي العصر الفاطمي أضاف الخليفة الحاكم بأمر الله «تنورين» وسبعة وعشرين قنديلاً من الفضَّة شرط أن تعلَّقَ في رمضان ثم تُحفظ في مكان معلوم، كما أضاف الخليفة «الآمر بأحكام الله» محرابًا من الخشب موجود بمتحف الفنِّ الإسلامي الآن.

وفي عام 544هـ/1194م قرَّر الخليفةُ «الحافظ لدين الله» زيادة مساحة الأروقة، فأضاف في الصحن رواقًا من الجهات الأربع، وأقام على رأس «المجاز» قبَّة لا تزال قائمة حتى الآن، وقد جُمِّلت جوانبُها وقبَّتُها بالنقوش والكتابات الكوفية والمقرنصات، كما أضاف «الآمر بأحكام الله» مقصورة تجاور الباب الغربي تُسمَّى مقصورة فاطمة.

عُطِّل عملُ الأزهر في العهد الأيوبي، حتى أعاد إليه السلطان «الظاهر بيبرس البندقداري» الخطبةَ، ولم يتمَّ الاعتناء بالجامع إلَّا في عهد الأمير «عز الدين إيدمر» الذي رمَّم وأصلح ما تصدَّع منه.

أمَّا في العصر المملوكي فقد أُعيد للأزهر رونقُه وبهاؤه، فبالإضافة لتجديدات «بيبرس» الموجودة في المحراب القديم والكسوة الخشبية بالطاقية في المحراب، جُدِّد الأزهرُ عام 702هـ بسبب زلزال شديد أصاب مصر وأثر في الجامع، وقد جدَّده الأمير «سلار»، وفي عام 719هـ/1319م أنشأ نقيبُ الجيوش المصرية في عهد «الناصر ابن قلاوون» الأمير «علاء الدين طيبرس» المدرسة الطيبرسية لتدريس الفقه الشافعي، وقد أبدع في بنائها وتزيينها.





باب المزيِّنين

وفي عهد «الناصر محمد بن قلاوون» أُنشئت المدرسةُ الأقبغاوية عام 725هـ/1324م.

في سنة800هـ أضاف السلطان «الظاهر برقوق» مئذنةً طويلةً وهدم المئذنة القديمة للمسجد، وقد تهدَّمت هذه المئذنة وبُني مكانَها أخرى من الحجر عام 818هـ.

وفي عهد «السلطان قايتباي» عام 873هـ 1468م هُدم البابُ الغربي القديم للجامع وبُني آخرُ مكانه لا يزال موجودًا حتى الآن، وفي عام 544هـ/1319م أضاف السلطان «قنصوه الغوري» مئذنة جديدة ذات رأسين.

وفي العصر العثماني -وتحديدًا في عهد «عبد الرحمن كتخدا» 1167هـ/1753م- زادت مساحةُ الجامع الأزهر، وزيدت الأروقةُ خلف المحراب، واشتملت على خمسين عمودًا مسقوفة بالخشب، بالإضافة لمحراب من الرخام ومنبر من الخشب وباب ضخم يُعرف الآن بباب الصعايدة، وبُني أعلاه حجرة على أعمدة رخامية معقودة، بالإضافة لتجديد واجهة المدرسة الطيبرسية وإقامة باب المزيِّنين.



مسجد محمد علي .. مسجد المرمر

ينتمي هذا المسجد إلى الطراز العثماني، ويُسمَّى بمسجد المرمر لكثرة استخدام حجرِ المرمر فيه، بناه «محمد علي باشا» والي مصر بعد أن أتمَّ تجديدَ قلعة صلاحَ الدينِ ليكونَ بالقلعة مسجد يقيم فيه الصلاةَ ويُدفن فيه. وقد شُرع في بناء المسجدِ عامَ 1830م، وتمَّ بناؤه في عام 1848م. وضع تصميم المسجد المهندسُ التركيُّ «يوسف بو شناق» الذي استوحى شكلَه من مسجد عثماني شهيرٍ في تركيا هو مسجد «أحمد».

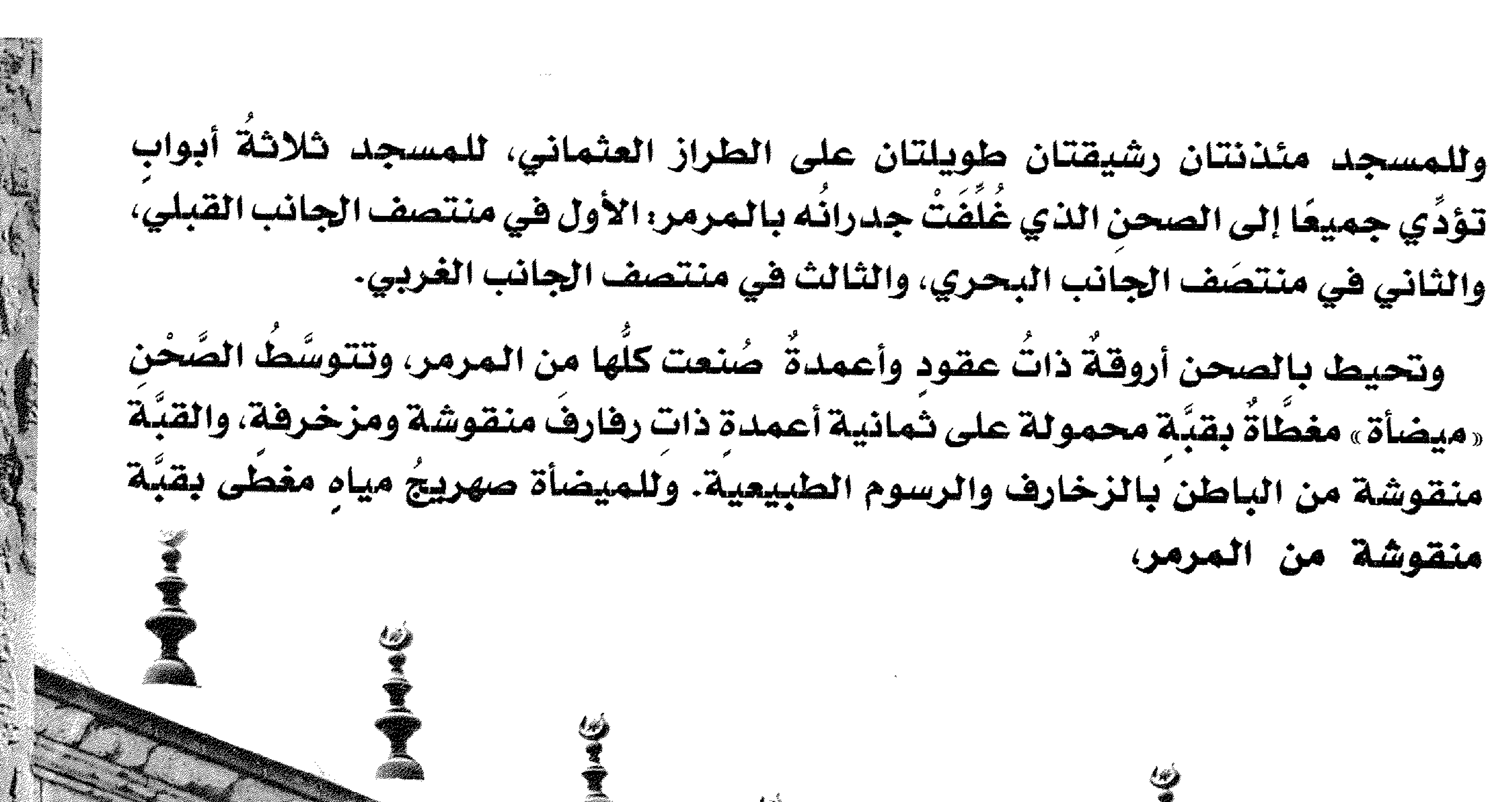
وتخطيطُ المسجد مربَّع الشكل تغطِّي سقفَه من الوسَط قبَّة كبيرة تحيطُ بها أربعةُ أنصاف قبابٍ إلى جانبِ أربعِ قبابٍ أخرى في أركان السقفِ الأربعة، وقبَّة أخرى في بروز القبلة، وجميع القباب مكسوَّةٌ بالرصاص.

جامع السُلطان أحمد

أو الجامع الأزرق، يقع في ميدان السُّلطان أحمد في العاصمة التركية إسطنبول. سُمِّي بالجامع الأزرق بسببِ البلاط الأزرق الذي يزيِّنُ جدرانَه الداخلية. وهو المسجد الوحيد في تركيا الذي له ستُّ مآذنَ. بُني المسجدُ بين عامي 1609 و 1616م.

وللمسجد مئذنتان رشيقتان طويلتان على الطراز العثماني، للمسجد ثلاثةُ أبوابٍ تؤدِّي جميعًا إلى الصحنِ الذي غُلِّفَتْ جدرانُه بالمرمر: الأول في منتصف الجانب القبلي، والثاني في منتصَف الجانِب البحري، والثالث في منتصف الجانب الغربي.

وتحيط بالصحن أروقةٌ ذاتُ عقودٍ وأعمدةٌ صُنعت كلُّها من المرمر، وتتوسَّطُ الصَّحْنَ «ميضأة» مغطَّاةٌ بقبَّةٍ محمولة على ثمانية أعمدةٍ ذاتِ رفارفَ منقوشة ومزخرفة، والقبَّةَ منقوشة من الباطنِ بالزخارف والرسوم الطبيعيةِ. وللميضأة صهريجُ مياهٍ مغطًى بقبَّة منقوشة من المرمر.

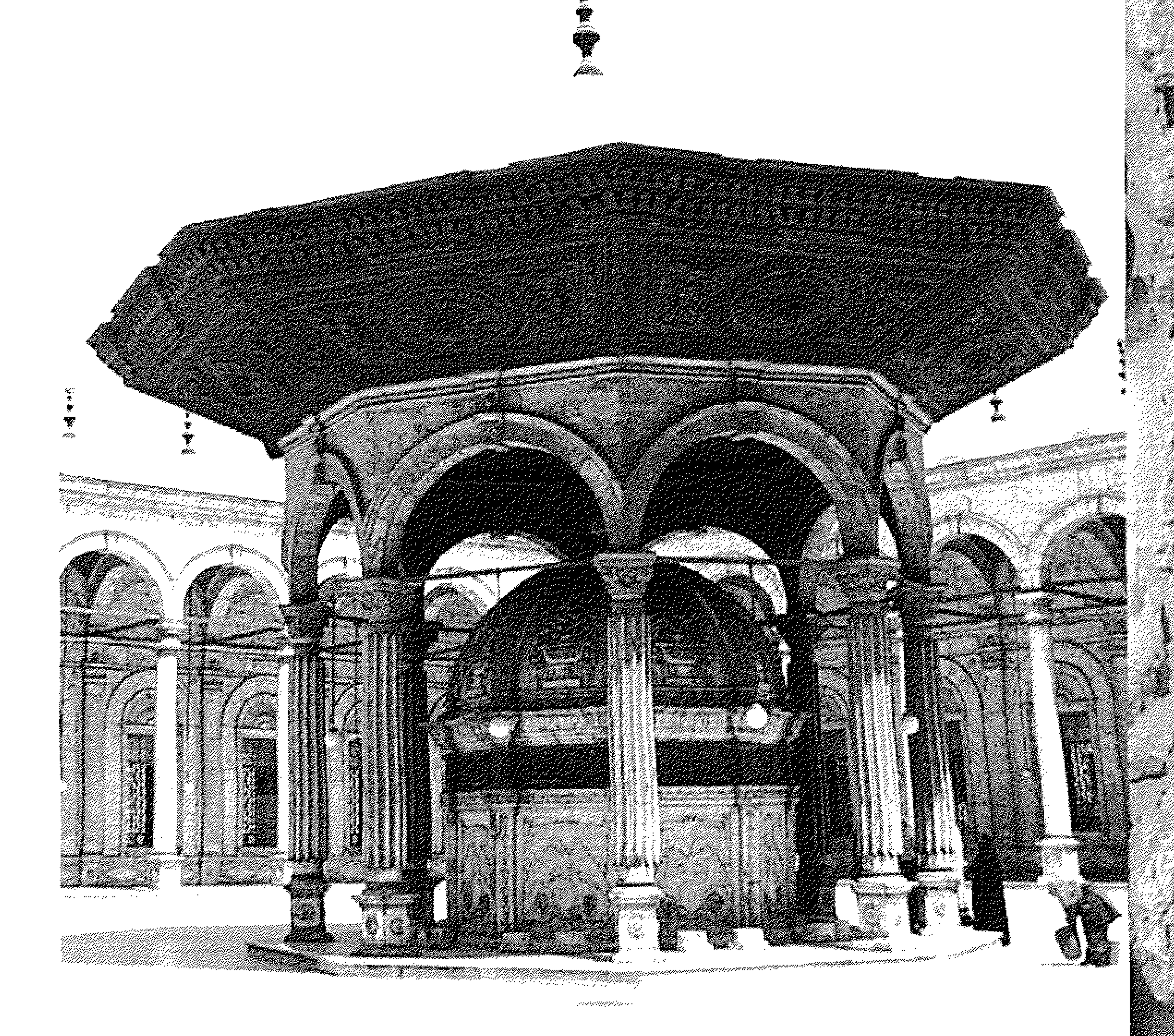


وفي الجهة الغربية من المسجد توجد دكَّةُ المبلِّغ، وهي مصنوعةٌ من المرمر المزخرف، ومقامة على ثمانية أعمدة فوقها عقودٌ. وقد أهدى الملكُ «لويس فيليب» للمسجد ساعةً تذكارية موجودة في منتصف البائكة الشمالية الغربية المُطلَّة على الصحن. وينير الجامعَ 365 مشكاةً؛ بعدد أيام السنة، وهي تصدر أصواتًا جميلة في حال السكون التامّ في المسجد، حُلِّيَتْ بواطنُ القباب من الداخل بالنقوش التركية وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة ولفظ الجلالة، وصُنع محرابُ الجامع من الألَبستر، ويجاوره منْبَرٌ من الألَبستَر مطَّعمٌ بالرخام الأحمر، وهو من إضافات الملك فاروق ويجاوره المنبرُ الأصليُّ من الخشب، وهو مزخرفٌ بالنقوش النباتية.

ويُلاحَظ على جميع نقوش المسجد وزخارفه تأثُّرَها بطرازِ الباروك الأوربِّي.

واجَه المسجدُ تهديدًا بالسقوط والتهدُّم في بعض أجزائه. وفي سنة 1931 في عهد الملك فؤاد تكوَّنتْ لجنةٌ من كبار المهندسين لفحص المسجد وتجديد الأجزاء الضعيفة وتقويتِها، وبلغت تكاليفُ عمليةِ التجديد كلِّها نحو مئة ألف جنيه في ذلك الوقت. ويحتوي المسجدُ على قبر مؤسِّسه «محمد علي باشا»، وذلك في مقصورة خاصة في الركن الجنوبي الغربي للجامع.

الساعة التذكارية التي أهداها الملكُ «لويس فيليب» للمسجد



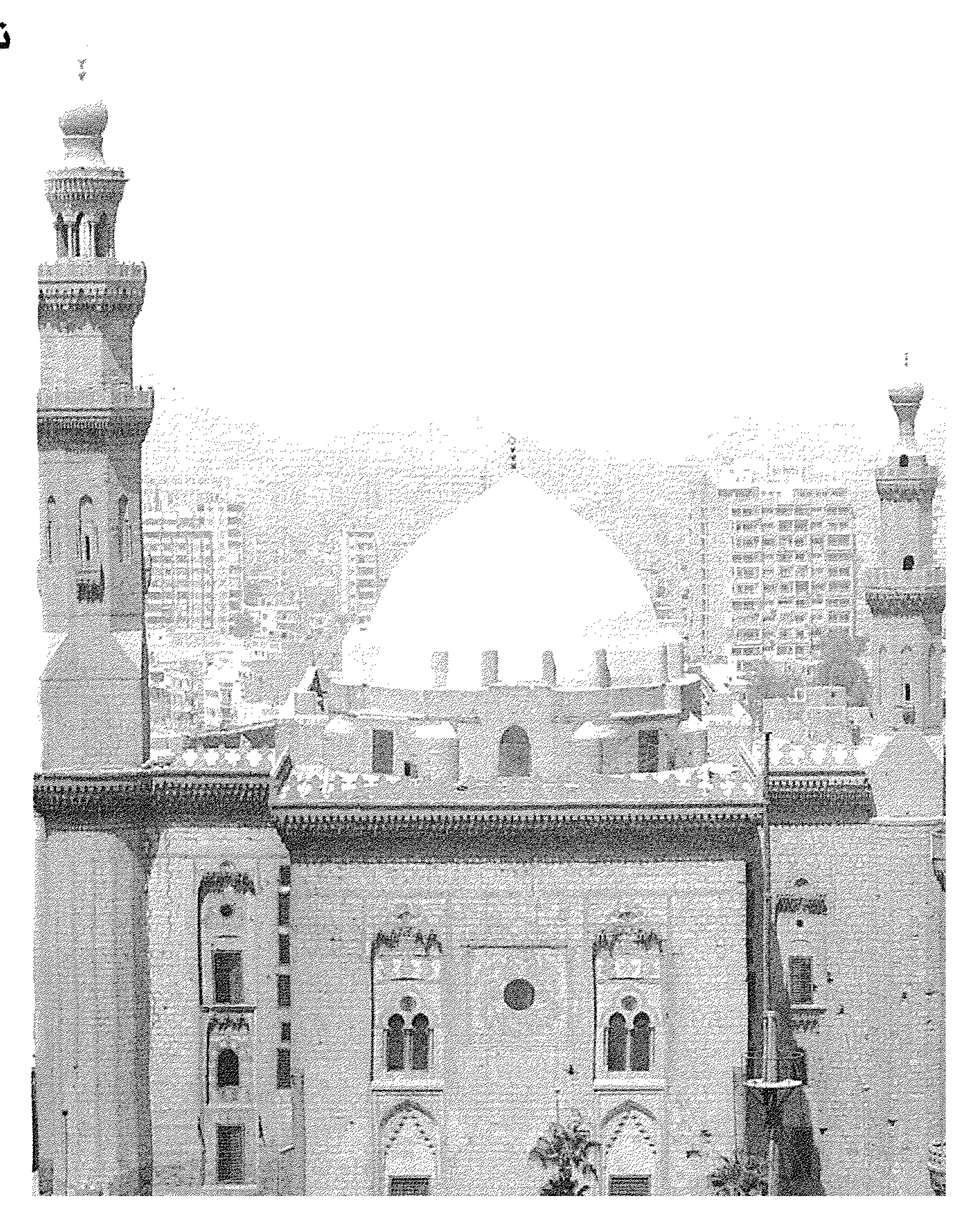
المدارس

هي شكلٌ من العمائر الإسلامية التي ظهرت في العصر الأيوبي بعد انهيار الخلافه الفاطمية، وقد ظهرت المدارسُ في العصر الأيوبي لتوطيد دعائم الإسلام السُني ومذاهبه الأربعة، وذلك بعد أن دانت مصرُ بالمذهب الإسماعيلي الشيعي لسنوات طويلة، ولهذا اعتمد تخطيطُ المدارس على إيوانٍ يحيط به أربع مدارس؛ كلٌ مدرسة تدرس مذهبًا سُنِّيًا من المذاهب الأربعة: الحنفي، والحنبلي، والشافعي، والمالكي، وذلك للقضاء على أيَّة أفكار شيعيَّة باقية، ولمواجهه الهجوم الصليبي الذى يهدِّد العالم الإسلامي. وقد سار المماليكُ على نهج الأيُوبيِّين في بناء المدارس لتخريج المزيد من الدعاة و الفقهاء في الدين الإسلامي.

مدرسة السلطان حسن

تبلغ مساحةُ المدرسة 7906 $م^2$، وهي على شكل مستطيل منتظم الأضلاع، وللمدرسة أربع واجهات، ويبلغ طول الواجهة الرئيسية للمدرسة نحو 145م، وزُخرفت باثنتي عشرة حنْيَة تمتدُّ بارتفاع الواجهة، ويحتوي كلُّ طابق من طوابق المدرسة الأربعة على صفَّيْن من النوافذ: الصف الأول نوافذه مستطيلة، والصف الثاني نوافذه مربَّعة. ويبلغ إجمالي نوافذ الواجهة 96 نافذة.

ينقسم مدخلُ المدرسةِ إلى ثلاثة أقسام: الأوسط به فتحة الباب، والجانبين، ويبلغ اتساع كلٍّ قسم7م وزُخرفت بزخارف على الحجر على شكل مربَّعات ومستطيلات، وتوجد فتحةُ الباب في تجويف تعلوه طاقية تنتهي بنصف دائرة، وتحتوي فتحةُ الباب على دلاَّيات جميلة من الرخام الأخضرِ بأشكال هندسية يعلوها بالخطِّ الكوفي "إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا"،



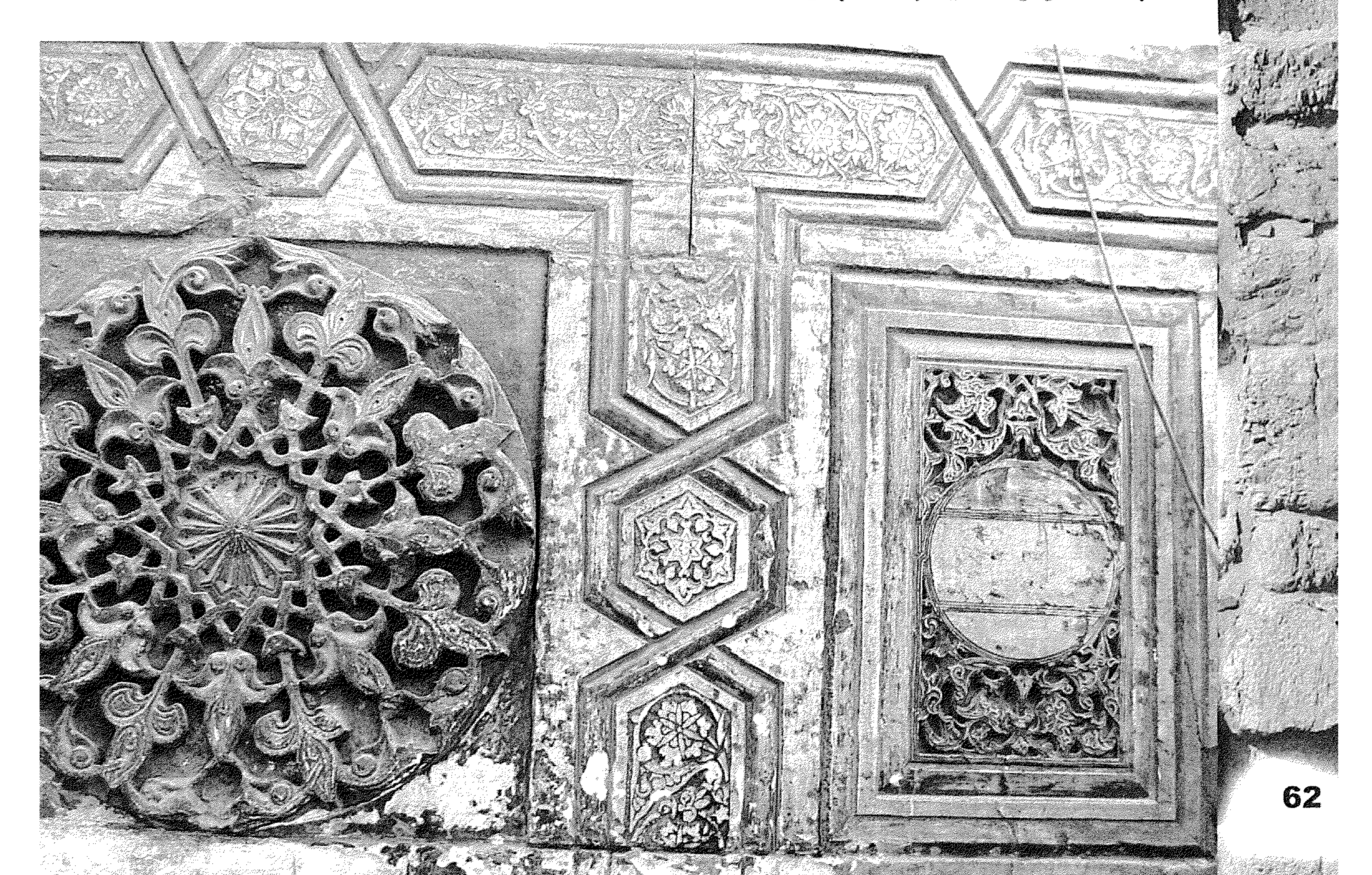
يعلوها تربيعتان كُتب على إحداهما "لا إله إلا الله" وعلى الثانية أسماء الخلفاء الأربعة ويتوّج المدخلَ الرئيسي ستّةُ صفوفٍ من الدلّايات البارزة عن الواجهة.

تحتوي الواجهةُ الجنوبيةُ على نوافذ المدرسة الحنفية والحنبلية ويطلُّ الضلعُ الغربي على حديقة وساقية، وتحتوي الواجهةُ الشرقيةُ على القبلة ويقع خلفها القُبَّة والمئذنتان.

يؤدي البابُ الرئيسي إلى مدخل مربَّع تحيط به ثلاثة إيوانات يعلوها مقرنَصات ويتوسَّط المدخل قبَّة مكسوَّة بحجر أحمر، وفي صدر المدخل مصطبة من الرخام الملوَّن ويشرف المدخل خمس درجات تفضي إلى دهليز معقود ينتهي إلى صحن المدرسة، يتكوَّن الصحنُ من مربَّع مفروش بالرخام تتوسَّطه فسقية للوضوء تعلوها قبَّة خشبية تستند على ثمانية أعمدة، وكتب بداخل القُبَّة آية الكرسي.

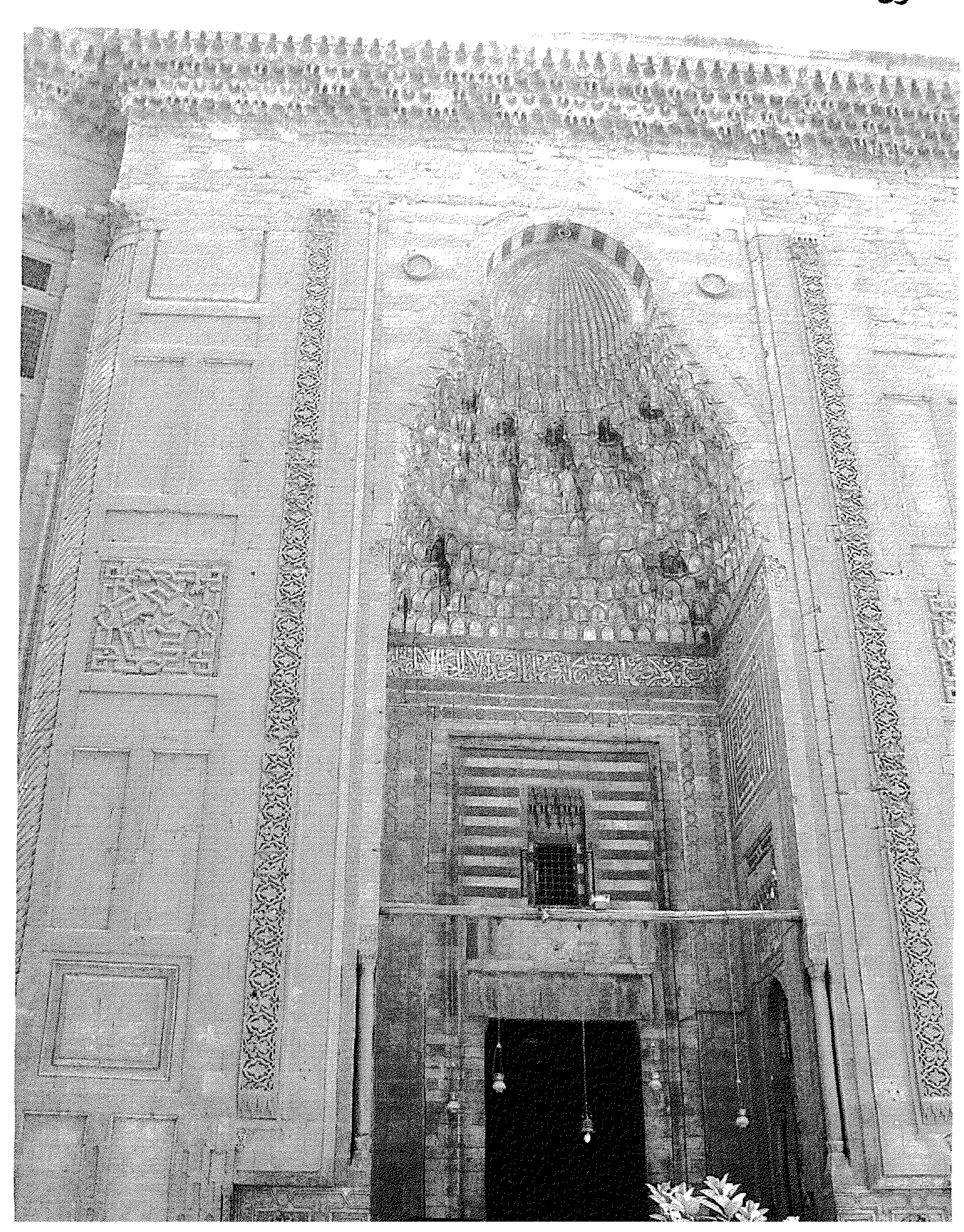
يحيط بالصحن إيواناتٌ أكبرها إيوان القبلة، ويحيط به إفريز من الجصِّ عليه كتابات بالخطِّ الكوفي.

يتوسَّط الإيوانَ دكَّةُ المبلِّغ، وهي من الرخام، ويوجد في الوسط المحرابُ وهو من الرخام الملوَّن، وبجواره بابان يوصلان للقبَّة ويحتويان على مصراعين مصفَّحين بالنُّحاس ومكفَّتَيْن بالذهب والفضَّة.



وتحتوي كلُّ مدرسة من المدارس الأربعة على صحن تتوسَّطه فسقيَّة وإيوان، وتتكوَّن كلُّ مدرسة من ثلاثة طوابق تشتمل على غرف الطلبة والدرس، وأكبر هذه المدارس هي المدرسة الحنفية وتحتوي بعضُ الإيوانات على شريط من الكتابة.

تقع قبَّةُ المدرسة خلف جدار القبلة، وهي مربَّعة الشكل وقد زخرفَ مربَّع القبلة -وعلى ارتفاعِ ثمانية أمتار- شريط من الكتابة على الخشب نصُّها آية الكرسي. وقد زُيِّنَتْ الأركانُ بمقرنَصات خشبية محلَّاة بزخارفَ ملوَّنة بطلاء ذهبي وبها نوافذُ يغلب عليها اللونان الذهبي والأزرق الداكن، ويتوسَّط القُبَّةَ لوحةٌ من الرخام مكتوبٌ عليها تاريخُ الإنشاء، سنة 876 هـ 1384م، وفي ضلع القُبَّة يوجد محرابٌ مجوَّف مكسوٌّ بالرخام الملوَّن.



مدخل مسجد السلطان حسن

المدرسة الناصرية

اشترى هذه المدرسة الملك «الناصر محمد بن قلاوون قبل تمام بنائها، وكان قد بدأ في بنائها الملكُ العادلُ «زين الدين كتبغا». فأمر الملك الناصر بإتمام بناء هذه المدرسة عام 703هـ. ويحكي المقريزي أنَّ باب هذه المدرسة مأخوذ من إحدى كنائس «عكا». وهي على الطراز القوطي.

الدلَّايات
اسمٌ آخرُ للمقرنصات.

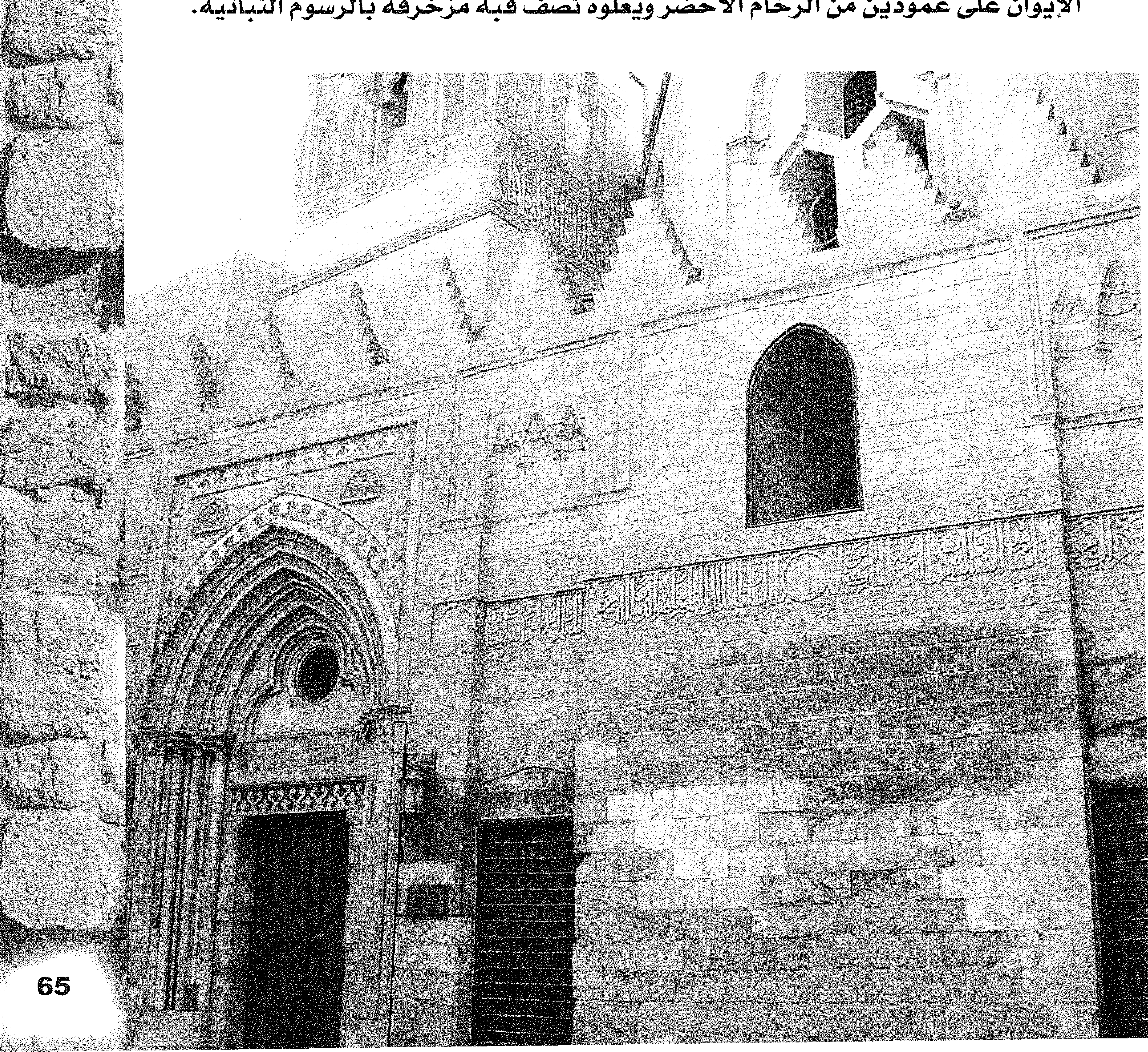
يبلغ طول الواجهة 21.42م ارتفاعًا ويوجد بالواجهة ثلاث حنيات تمتدُّ بارتفاع الواجهة وتنتهي بدلَّايات ويحيط بها إطارٌ مستطيل الشكل، وبأسفل كلِّ حنية نافذة، اثنتان من هذه النوافذ تفتحان على القُبَّة، والثالثة تفتح على إيوان القبلة، ويعلو هذه النوافذ أعتابٌ فوقها عقود محلَّاةٌ بزخارفَ نباتية.



يزيِّن الواجهةَ شريطٌ من الكتابة على أرضية مزخرفة بزخارف نباتية، ويعلو الشريط نافذتان: اليُمنَى تقع فوق محراب القُبَّة، واليُسرَى تقع فوق محراب الإيوان القبلي للمدرسة.

يتكوَّن مدخلُ المدرسة من دهليز يفصل القُبَّة عن إيوان القبلة، ويوجد في الدهليز بابان متقابلان؛ يؤدِّي أحدُهما للمدرسة والآخر للضريح، وقد غُطِّي سقفُ الدهليز بعروق خشبية.

يتوسَّط المدرسة صحنٌ مستطيل تحيط به أربعة إيوانات كل إيوان مخصَّص لمذهب من المذاهب الأربعة، ويقع إيوانُ القبلة في الضلع الشرقي من الصحن، ويحتوي محرابُ الإيوان على عمودين من الرخام الأخضر ويعلوه نصف قبَّة مزخرفة بالرسوم النباتية.



تتكوَّن القُبَّة من مربَّع يبلغ طولُ ضلعه نحوَ عشرة أمتار، ويضيئُها نافذتان، وتحتوي على إفريز خشبي يحتوي على رسوم مذهَّبة من الأعلى ومن الأسفل مزخرف بحروف من خط الثلث.

تحتوي المدرسة على مئذنة تعلو المدخل الرئيسي وتتكوَّن من مربَّع يعلوه طابق مثمَّن الشكل يعلوها مثمَّن دائري، وزخرفت أضلاع المربَّع الأول بزخارف نباتية

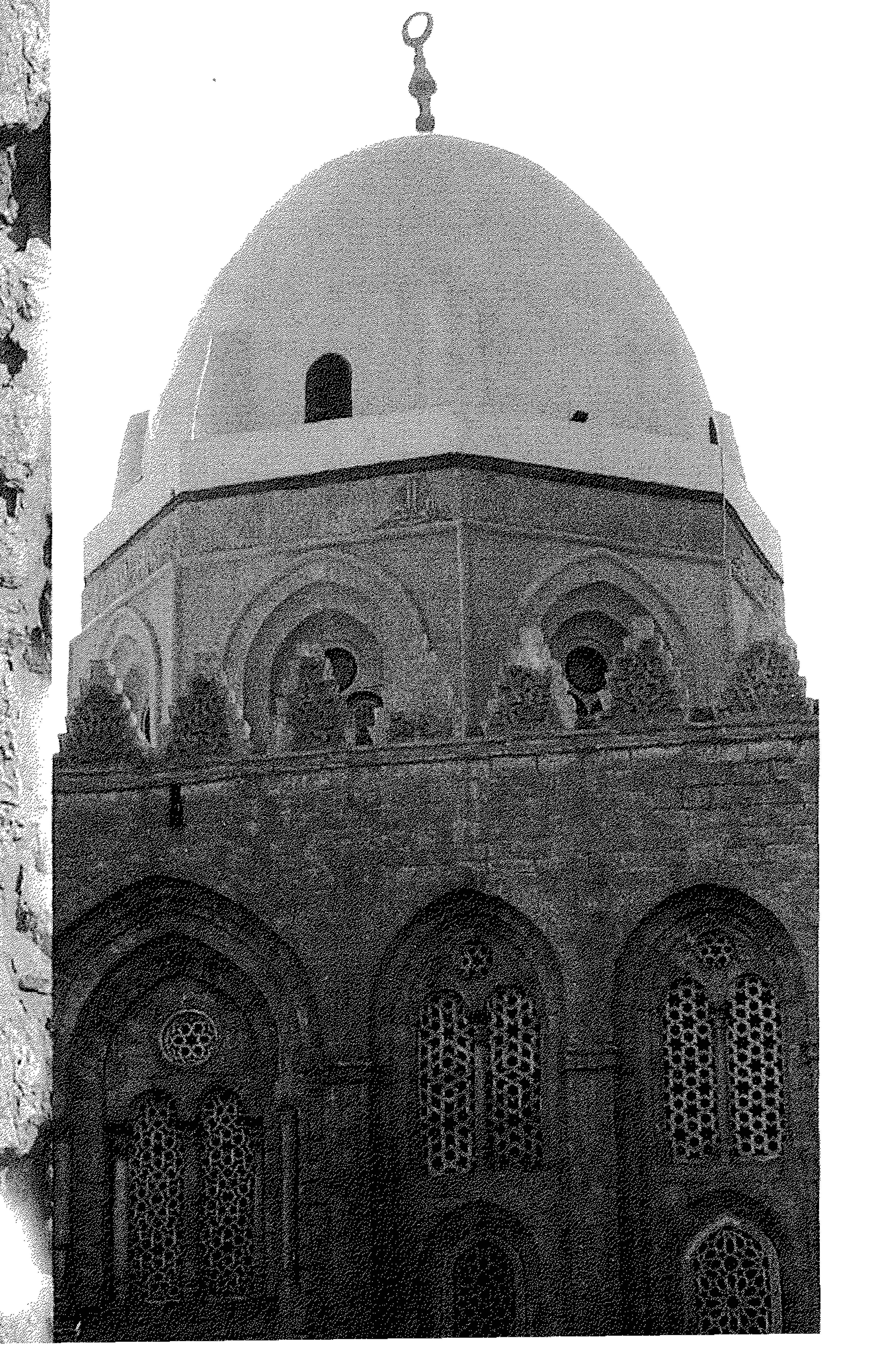


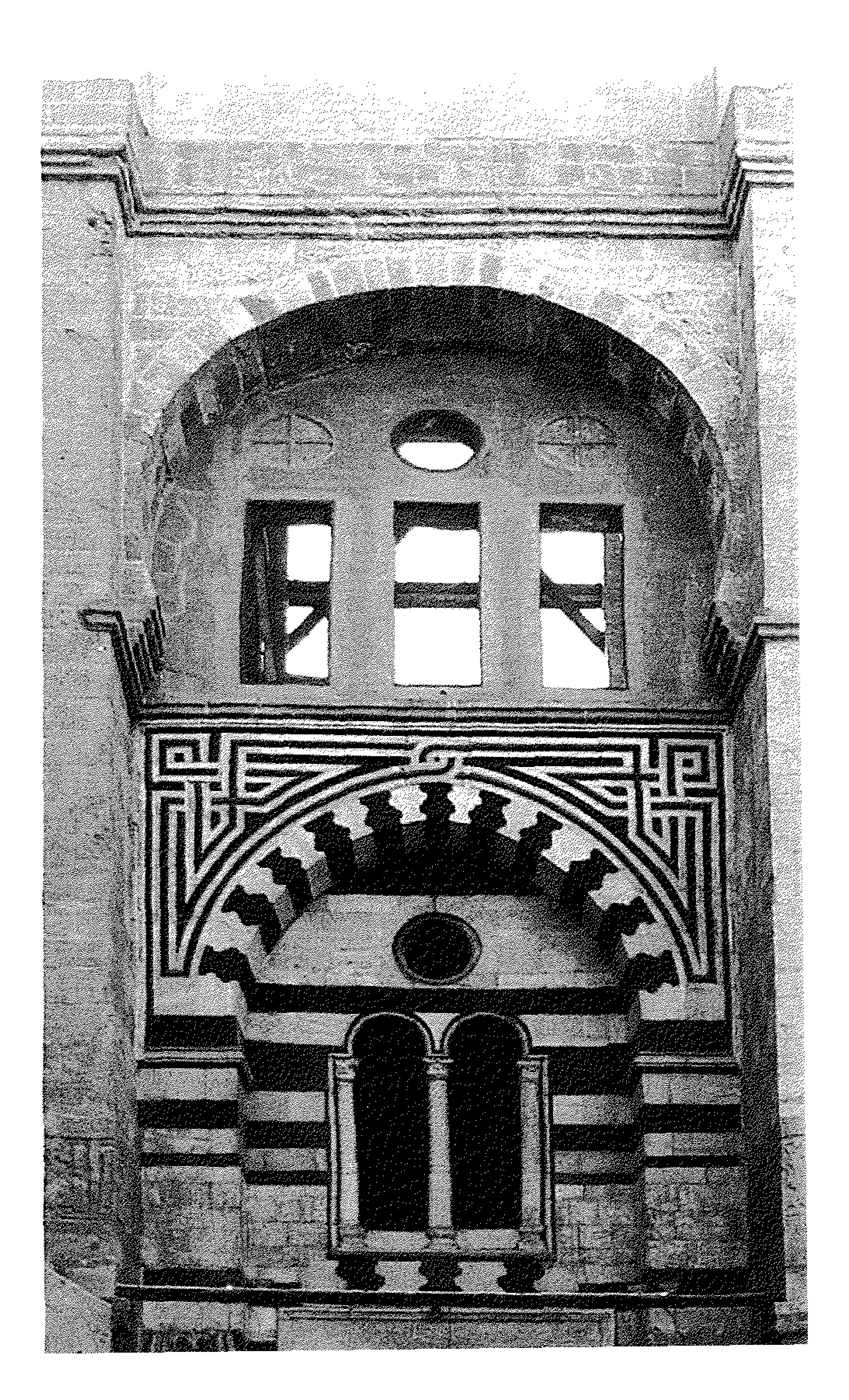
مئذنة مدرسة الناصر محمد

مجموعة قلاوون

يطلق اسم مجموعة قلاوون على المدرسة التي تحمل اسمه وتتكون من صحن مكشوف مستطيل تتوسَّطه فسقية وتحيط به الأروقة من جهاته الأربع، ويتقدَّم الإيوان الشرقي عقد كبير يتوسَّطه عمودان يقسمانه إلى ثلاثة عقود صغيرة، ويحتوي الإيوانُ على صفَّيْن من الأعمدة، كلُّ صفٍّ يحتوي على ثلاثة أعمدة، ويحتوي صدرُ الإيوان الشرقي على محراب كبير مُحَلًّى بالزخارف والفسيفساء المُذهَّبة، وبجوار المحراب يوجد منبرٌ من صنع الأمير «أزبك ابن أضطخ» سنة 899هـ، وقبَّة خشبية أعلى فسقيَّة الصحن، وقد دُوِّن على المحراب وأعتاب النوافذ ما يلي:

"أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة، مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور «سيف الدين» قلاوون الصالحي قسيم أمير المؤمنين أدام الله أيامَه، وحرس أنعامَه، ونشر في الخافقَيْن ألويتَه وأعلامَه، وكان ابتداءُ عمارتها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة، والفراغ منها في جمادى الأولى من السنة المذكورة للهجرة المحمدية".





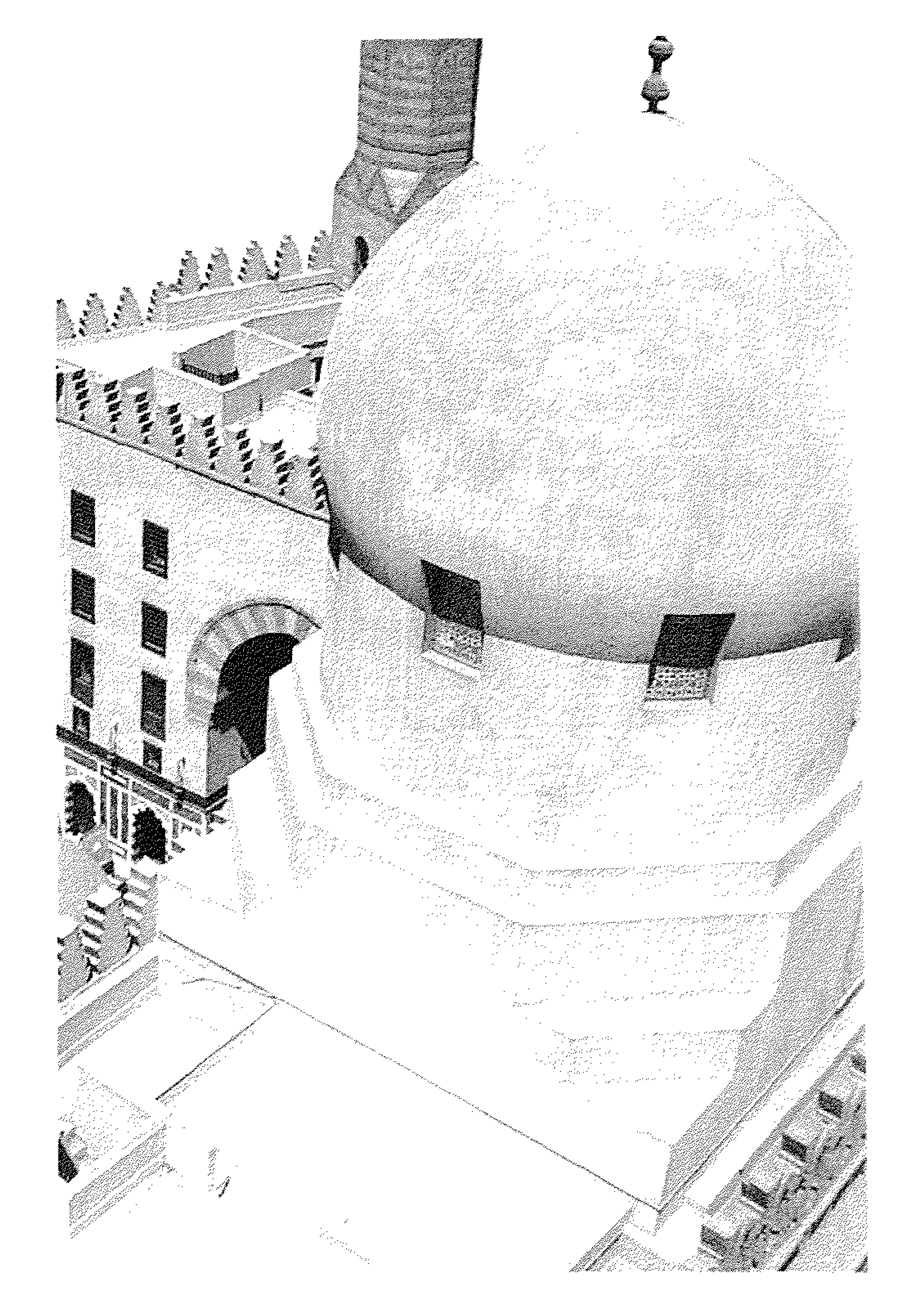
القُبَّة

يُعتبر محرابُ القُبَّة من أكبر المحاريب في الفنِّ الإسلامي المملوكي، حيث يقع على كلِّ جانبيه ثلاثةُ أعمدة رخامية، وبتجويفه أربع طبقات من تجاويف محارية مُذهَّبة محمولة على أعمدة رشيقة مزيَّنة بالصدف والرخام، وتتصل القُبَّةُ بالمدرسة عن طريق بابين يؤدِّيان إلى القبَّة وإلى جزء ملحَق بها، ويتكوَّن هذا الملحقُ من مساحة مربَّعة يتوسَّطها صحنٌ مكشوفٌ يحيط به من الجِهتين الشمالية والجنوبية ثلاثةُ أروقة مربَّعة، وفي الضلع الغربي يوجدُ إيوان، والضلع الشرقي يؤدِّي إلى القبَّة، حيث تتوسَّطه فتحةٌ كبيرةٌ يُصعَد إليها بثلاث درجات.

تتكوَّن القُبَّة من قاعدة مربَّعة وسطُها ثمانيةُ أعمدة: أربعة منها متقابلة وهي من الجرانيت ومذهَّبة التيجان، والأربعةُ الأخرى دعائمُ مبنيَّة بأركان كلٍّ منها أربعةُ أعمدة من الرخام، ويعلو الأعمدةَ الثمانيةَ إفريزٌ رخامي آخرُ مُذهَّب النقوش يعلوه إفريزٌ ثالثٌ يحتوي على كتابات قرآنية مذهَّبة، وقد حُلِّي باطنُ العقود التي تعلوها الأعمدة والدعائم الثمانية بزخارفَ جصية، وحُلِّيَتْ حافتُها بنقوش مذهَّبة، وتحتوي القُبَّةُ على نوافذَ محلَّاة بالجصِّ والزجاج الملوَّن، وزُخرفت نهايتُها بزخارفَ جصِّية مورقة ومقرنَصات تعلوها مباشرة القُبَّة الخشبيةُ، وقد زُخرفت جدرانُ القُبَّة المربَّعة وأرضيَّتُها وفتحاتُ النوافذ والدواليبُ الحائطية بزخارفَ من الفيسفساء والصدف والألبَستر والخشب المطعَّم بالصدف والعاج، وتحتوي على كتابات بالخطِّ الكوفي، وكذلك زُيِّنت النوافذُ بالجصِّ المُخرَّم والزجاج الملوَّن.

مئذنة مسجد قلاوون





القباب والأضرحة

ظهرت القبابُ والأضرحةُ كمكان بسيط يميِّز مدافنَ الشيوخ الأجلَّاء والأولياء الصالحين وآل بيت النبي، وكانت القبابُ معمارًا مسقوفًا تعلوه قبَّة تميِّزة، وتُقامُ فيه الصلاة أو الدراسة، أما الضريح فغالبًا ما يضمُّه مسجد في حال أضرحة الأولياء الصالحين وآل البيت، ويُبني المسجدُ بعد استقرار الضريح واهتمام الناس به، وبمرور الوقت يصبح الضريحُ غرفةً داخل المسجد. يحيط بها سُورٌ مُزخرَفٌ ليحميَ الضريحَ من الناس الذين يتوافدون عليه للزيارة، وفي بعض الأحيان يكون هذا السور شبه بناء كامل من المعادن الثمينة مثل الفضَّة كما هو الحال في ضريح الإمام الحسين، أمَّا الأضرحة الخاصَّة بالخلفاء والسلاطين فتقع في معظم الأحيان في جزء مستقلٍّ في أي مبنًى قاموا ببنائه مثل المسجد أو المدرسة أو مجمع، كما هو الحال مع معظم السلاطين المماليك.

قبَّة وضريح الإمام الشافعي

ضريحُ الإمام الشافعي من أكبرَ الأضرحة، وقد بنيت قبَّة الإمام الشافعي في عهد الملك «الكامل» عام 608هـ، ويتكوَّن الضريحُ من طابقَيْن. يبلغ ارتفاعُ الأول 10.62م، والثاني 6.16م، ويبلغ اتساعُ المدخل الرئيسي للضريح 1.58م، وبُلِّطت الردهةُ بفسيفساء من الخزف على شكل نجمة، وتحيط بأركان المبنى الأربعة مقرنصاتٌ، وتعلو الجدران زخارفُ تعلوها نوافذُ ذات عقد مدبَّب.

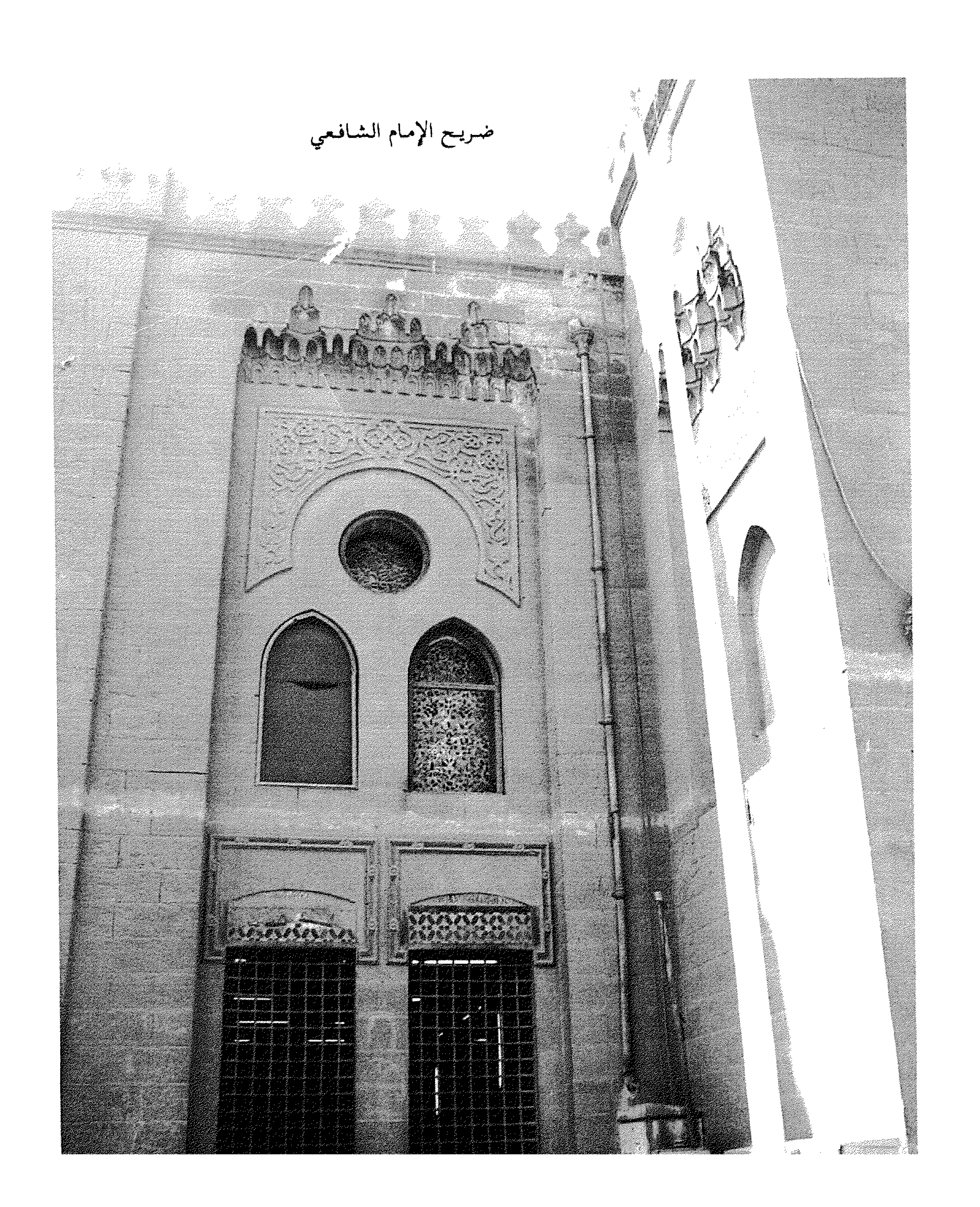
يضيء الضريحَ نافذتان: واحدة في الضلع الشمالي والأخرى في الضلع الشمالي الشرقي؛ يبلغ اتساعُ الواحدةُ منهما مترين، وارتفاعُها نحو مترين ونصف المتر، وتعلو النافذة زخرفةٌ من الخشب.

يحتوي حائطُ القُبَّة على ثلاثة محاريب، وقد قسِّمَتْ جدران الضريح إلى شرائطَ مزخرفة تبدأ ببلاطات من الرخام الملوَّن يعلوه إفريز خشبي ويتخلَّل الإفريز المحاريب.

يحيط بالضريح من الداخل إفريز خشبي مثمَّن الشكل محفور بكتابات من الخط الكوفي، ويعلو كلَّ حائط خمسُ نوافذَ على صفَّيْن: ثلاثٌ في الصفِّ الأول، واثنتان في الصف الثاني، وهي مملوءة بالجصّ.

تتكوَّن القُبَّة من ألواح خشبية مثبَّتة على أربعة أربطة مختلفة الارتفاعات، وتغطَّى القُبَّة بالقصدير، وتوجد بها نافذةٌ للتهوية. ويحتوي الضريحُ على أربع مقابر: للإمام الشافعي، ولأمِّ السلطان الكامل، وللسلطان الكامل، وللسيد محمد بن عبد الحكم.

جُدِّد الضريحُ عدَّة مرَّات في عهد السلطان «الأشرف قايتباي قنصوه» و«علي بك الكبير» و«عبد الرحمن كتخدا».



ضريح الإمام الشافعي

القصور

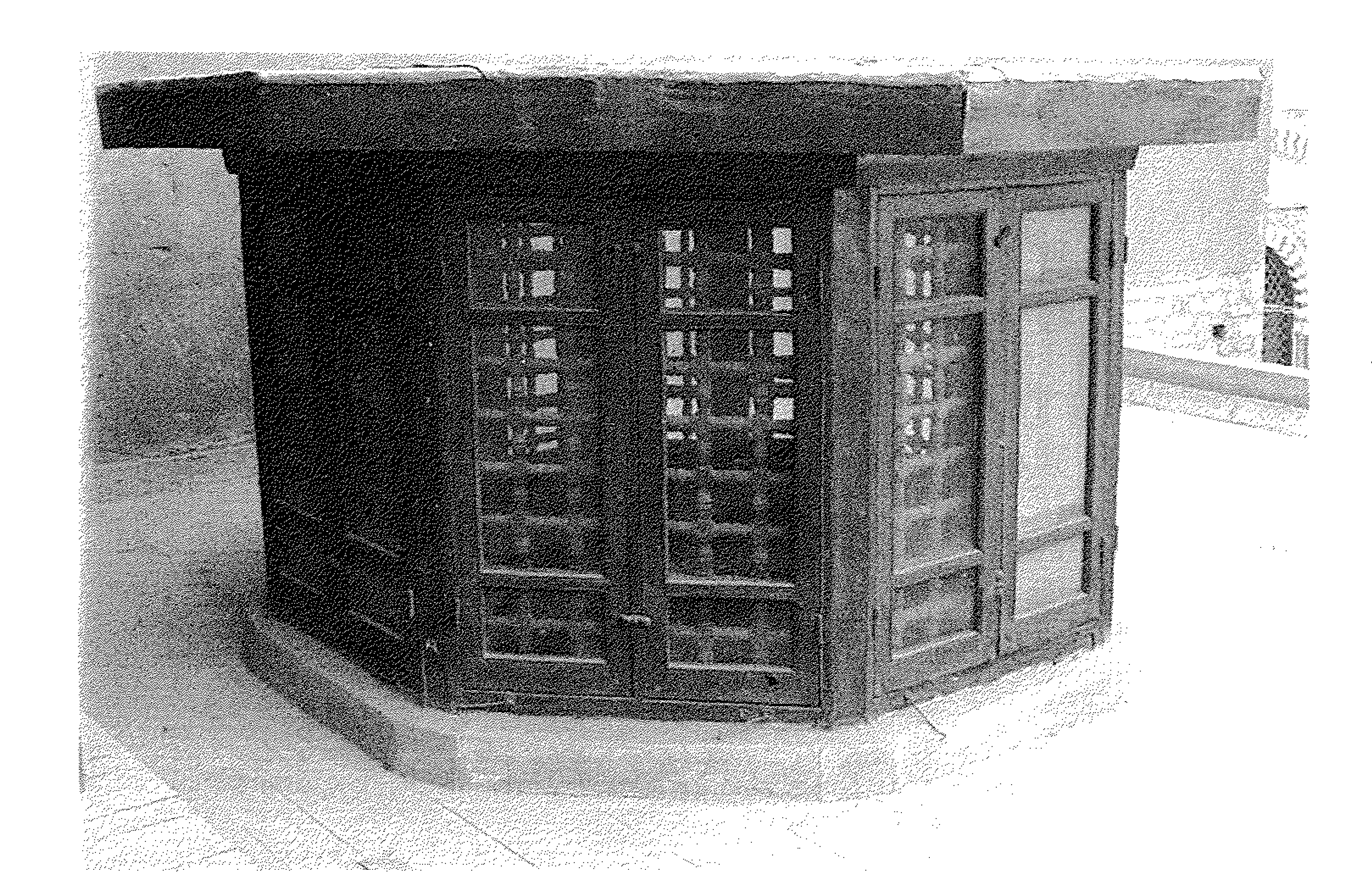
هي سكن الخلفاء والسلاطين في العصور الإسلامية، وقد اختلفت في تخطيطها عن باقي العمائر بأنها عمارة ذات صحن كبير له بوَّابة رئيسية، وتحيط بهذا الصحن المباني المُلحَقَةُ بالقصر والتي تضمُّ الخدمات والإدارات التي يشرف عليها الخليفة. ونظرًا لكون القصور مكانًا للسكن فقد جمعت كلَّ عناصر الترفيه والتزيين التي لم توجد في العمائر الدينية مثل المشربيات، والسلالم، والأواني المعدنية والفخارية، والفسقيات، وغيرها. وتُعتبَر القصور أقلَّ العمائر الإسلامية الباقية من حيث العدد؛ نظرًا لقلَّة استخدامها والعناية بها، فقد كان كلُّ خليفة يهتمُّ ببناء قصره أو قصوره الخاصَّة تاركًا قصور الخلفاء السابقين.

قصر بَشْتَك



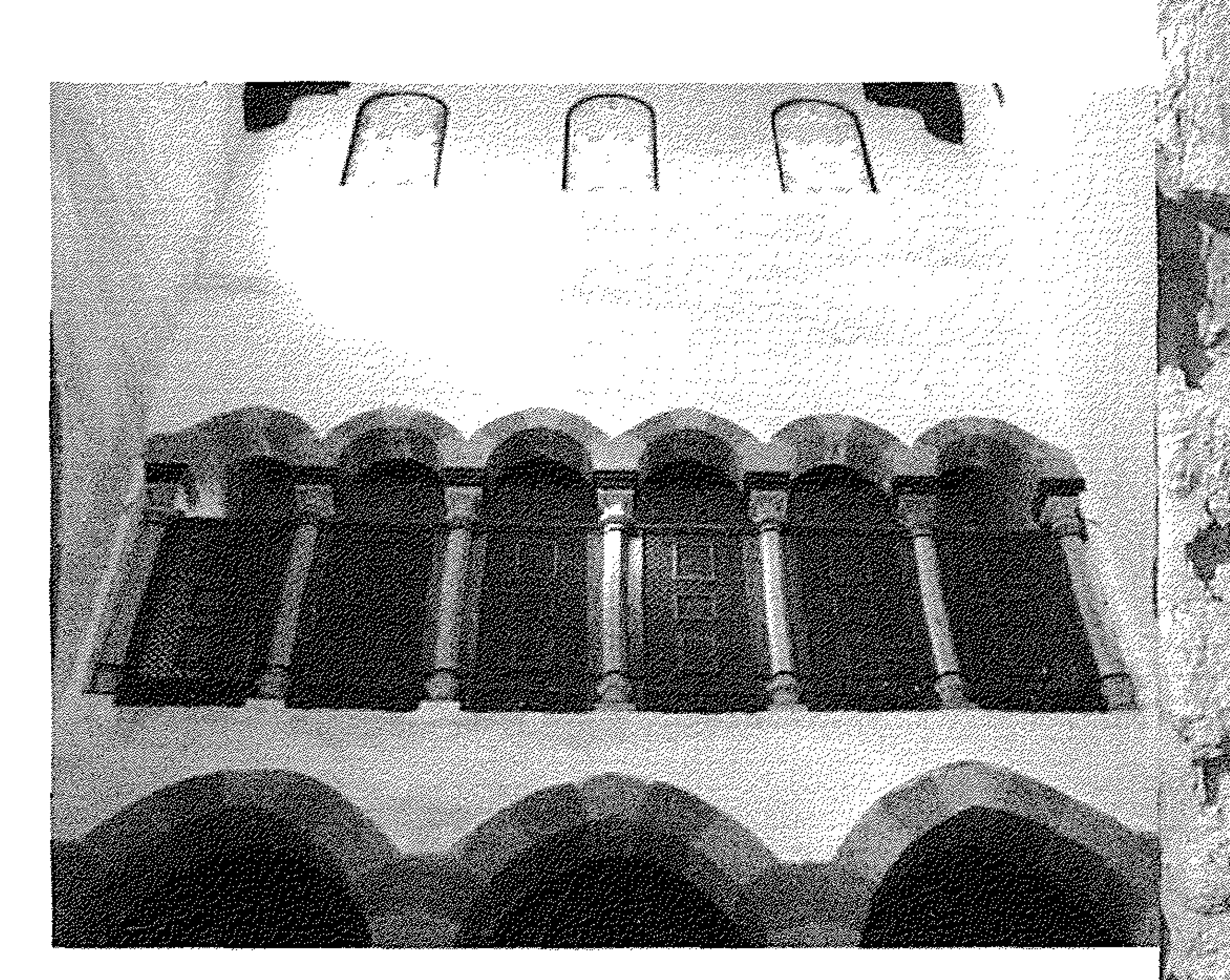
يقع هذا القصرُ بشارع المعزِّ لدين الله الفاطمي، وكان جزءًا من القصر الكبير الشرقي؛ قصر الحاكم الفاطمي، حتى ملكه أميرُ السلاح الأمير «بدر الدين بكتاش الفخري»، وكان موضع القصر عدَّة مساجد فلمَّا مات الأميرُ بكتاش اشترى الأميرُ المملوكي «بَشْتَكْ» قطعة أرض من السلطان الملك «الناصر محمد بن قلاوون»، كانت داخلَ القصر وضمَّ إليه عددًا من المعابد والمساجد وهدمَها وبنَى القصر مكانها في عام 738هـ.

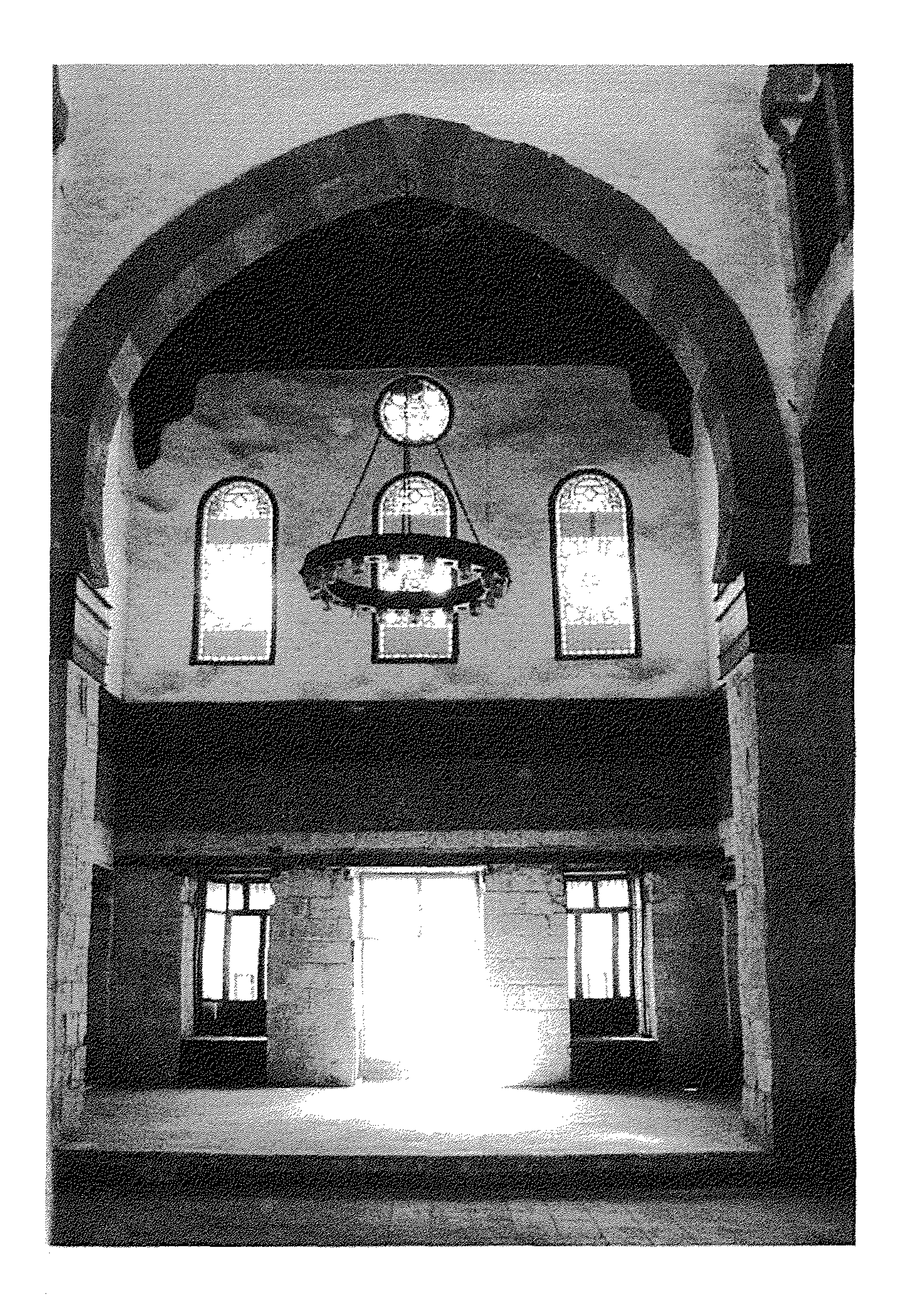
كان قصرُ «بشتك» من أعظم المباني في عصر المماليك، وكان ارتفاعه أربعين ذراعًا، وكان الماء يجري في أعلاه، وكانت له شبابيكُ تشرف على النيل (وكان للنيل



فرع يصل إلى هناك في ذلك الوقت) والبساتين والقلعة، وكان في أسفل القصر حوانيتُ لبيع الحلوى، وكان القصرُ مزخرفًا بكلِّ أنواع الزخرفة والرخام.

ولم يسكن «بشتك» القصر طويلًا، بل باعه لزوجة رجل يُدعى «بكتمر الساقي»، وتداوله ورثتُها حتى أخذه السلطان «الناصر حسن بن محمد قلاوون»، وتمَّ تداول القصر حتى وصل لأوقاف الأمير الوزير المشير «جمال الدين الإستادار».







قصر الجوهرة

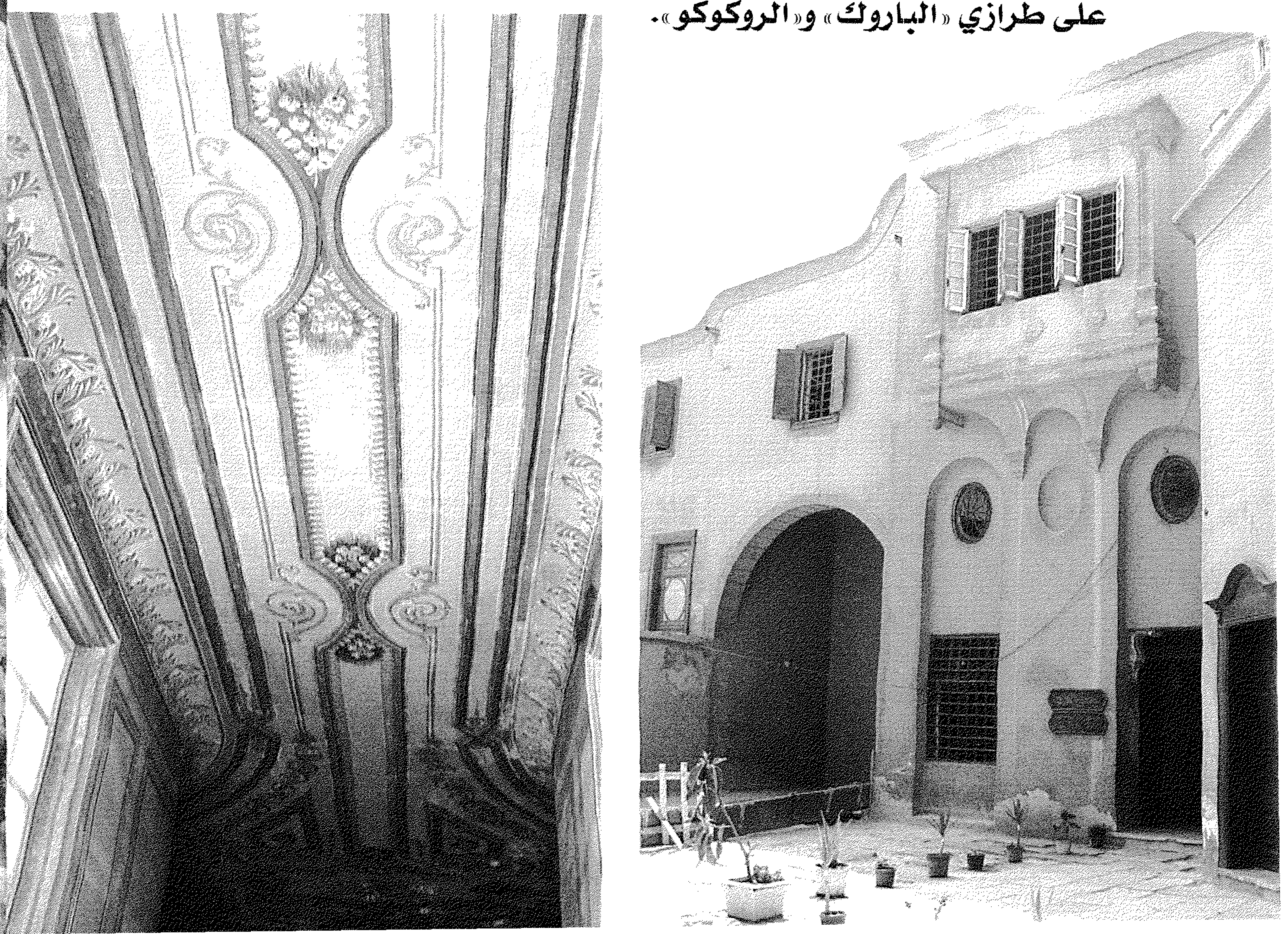
يرجع القصر لزمن «محمد علي باشا» والي مصر، وقد شُرع في بناء القصر في عام 1812م، وتوالى تجديدُه وتوسعتُه على مراحل.

يتكوَّن القصرُ من عدَّة مبان متجاورة تتكوَّن من طابقين. يبدأ القصر بالمدخل الرئيسي تليه ظلَّة محمولة على أعمدة رخامية ثمَّ عدَّةُ مبانٍ مثل سراي العدل، وديوان الخاصَّة، وهي مبانٍ وغرف مخصَّصة لموظَّفي القصر.

ويؤدِّي الممرُّ إلى مباني الحراسة والفناء الرئيسي الذي تطلُّ عليه دواوين القصر وبهو الاستقبال، كما يضمُّ «الكوشك»، وهي قاعة الاستقبالات الخاصة بـ «محمد علي»، ولها إيوانٌ ملحقٌ وقاعتان، بالإضافة لقاعة العرش، وهي أكبر قاعات القصر.

ومن بهو الاستقبال نصل إلى الجناح البحري عن طريق سُلَّم، وهو يحتوي على قسمين وحديقة تُعرف بحديقة الأسود؛ نظرًا لوجود عدد من تماثيل الأسود فيها، كما يحتوي الجناحُ على حمَّام يُعرف بحمَّام «الألبستر». أما الطابق الثاني فيعلو جناحَ الاستقبال ويؤدِّي إلى سراي الضيافة.

يتميَّز هذا القصر بالرسوم والزخارف على الأسقف والحوائط بأشغال ورسوم نباتية على طرازي «الباروك» و«الروكوكو».



البيوت الإسلامية

تُعتبَر البيوتُ الإسلامية نموذجًا مميزًا للعمارة، وبرغم كونها معمارًا غير ديني، فهي معمار ينبع من العادات والتقاليد الإسلامية، فقد حرص المهندسُ المسلمُ على تخطيط البيت بما يناسب حرمةَ البيت المسلم، فصمَّم مدخلَه بحيث يستطيع مَن في الداخل أن يرى الخارج وليس العكس، كما احتوى البيتُ على صحن تطلُّ علية غرف المنزل من خلال طراز خاصٍّ من الشبابيك المصنوعة من الخشب المفرَّغ تُسمَّى «المشربية»، وهي تُصنع بهذا الشكل حتى لا يطلع الزوَّارُ على خصوصيَّات البيت المسلم. وقد عرفت البيوتُ الإسلامية نظامًا آخرَ في العصر العثماني، وهو نظام السلاملك و الحرملك، أي الفصلُ التامُّ بين مجالس الرجال ومجالس النساء؛ منعًا للاختلاط.

بيت السحيمي

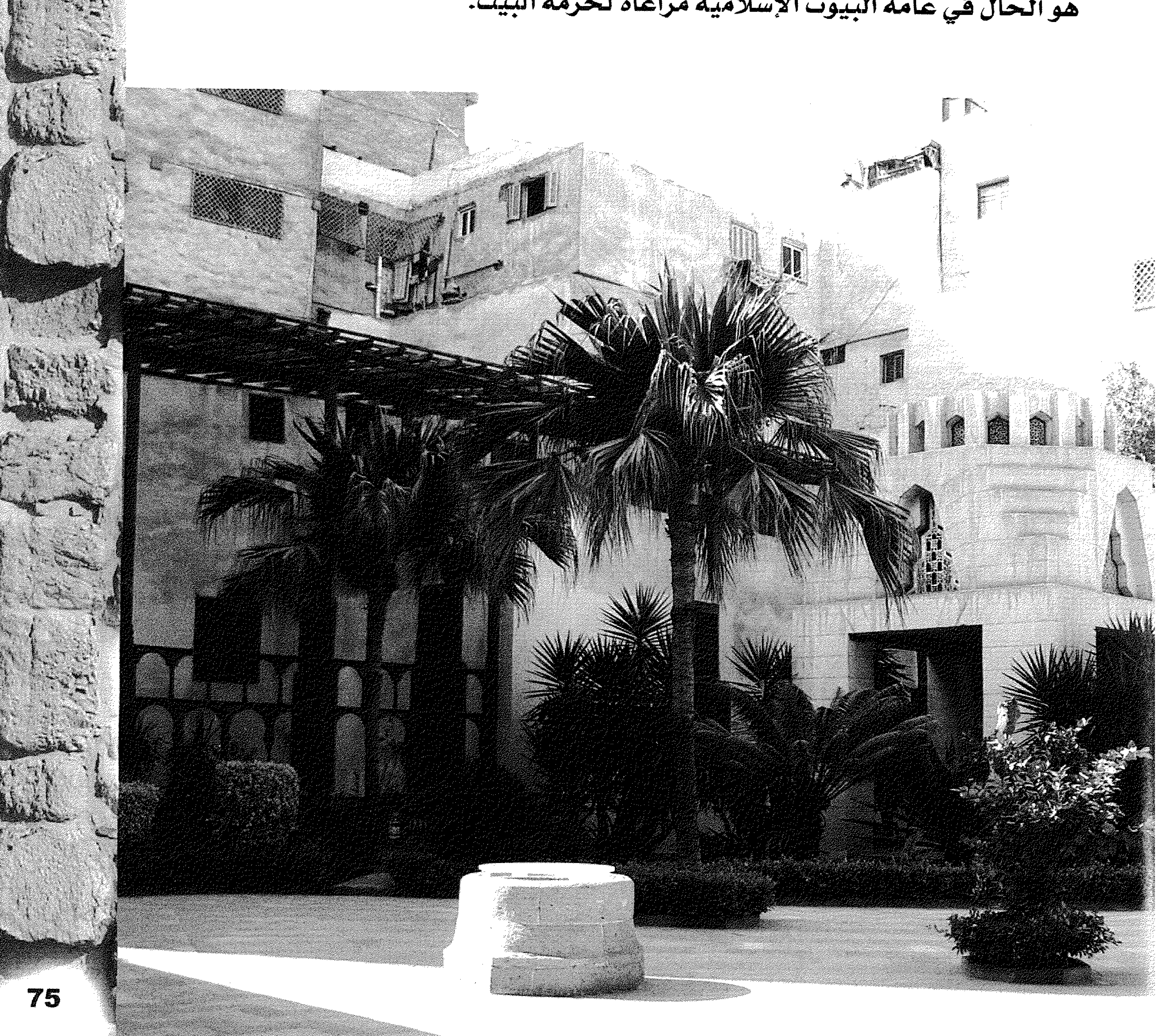
يعدُّ بيتُ السحيمي نموذجًا لبيوت الطبقة الغنية في القرن السابع عشر، ويتكوَّن البيتُ من قسمين: القسم الأول (أو الجنوبي) أنشأه الشيخ «عبد الوهاب الطبلاوي» عام1058هـ1648م، والقسم الثاني (أو الشمالي) أنشأه الحاج «إسماعيل بن شلبي» سنة1211هـ 1796م. وتبلغ مساحةُ البيت أكثرَ من ألفي متر مربَّع، ويصل عدد قاعاته وغرفه نحو151 غرفة.



وكان آخر من سكن البيت وجدّده هو الشيخ «محمد أمين السحيمي» شيخ رواق الأتراك بالأزهر الشريف، والذي توفي عام 1928م، واشترته الحكومة المصرية عام1931م من الورثة، وتوالت عليه أعمالُ التجديد والترميم حتى أصبح مركزًا ثقافيًا.

وصف بيت السحيمي:

يبدأ البيتُ بـ«مجاز»، وهو رواقٌ عُرف بهذا الاسم في العمارة الإسلامية -وخاصَّة البيوت- لحجب البيت عن أعين من في الشارع، ويفضي هذا المجازُ إلى صحن البيت المزيَّن بأحواض الزرع والأشجار، وتفتح كلُّ غرف البيت وحجراته على هذا الصحن، كما هو الحال في عامَّة البيوت الإسلامية مراعاة لحرمة البيت.



السلاملك:

ويتكوَّن القسم الأول في البيت من قاعة واسعة تنقسم إلى إيوانين يفصل بينهما «درقاعة»، وهي مساحة منخفضة عن الإيوانين، وقد رُصفت أرضيَّة الدرقاعة بالرخام الملوَّن وزُيِّنَتْ جدران القاعة بأبيات من بردة البوصيري، وقد زُيِّن السقفُ بألواح من الخشب المزيَّن بالرسوم والنقوش النباتية الملوَّنة، وكانت هذه القاعة تستخدم كسلاملك، أي القاعة التي يستقبل فيها صاحبُ البيت ضيوفَه من الرجال.

وفوق السلاملك توجد القاعةُ الصيفيةُ للسلاملك والتي يُطلَق عليها «المقعد»، وهي ذات واجهة مكشوفة نحوَ جهة الشمال ومفتوحة على صحن البيت وحديقته، والسقفُ أيضًا مزيَّن برسوم نباتية وهندسية.

يحتوي القسمُ الثاني من البيت على قاعة سلاملك أخرى إلَّا أنها أوسع وأكثر فخامة وجمالاً من حيث الزخارف والتفاصيل المعمارية، ويحتوي وسط السلاملك علىفسقية بديعة من الرخام على هيئة شمعدان ولها حوض من الرُّخام، كما تعلو سقفَ السلاملك الزخارفُ والنباتات، وتتوسط السقف قبَّةٌ صغيرة بها فتحات لدخول الهواء والضوء تُسمَّى «الشخشيخة»، وهي وحدة معمارية تضمن الهواءَ المتجدِّد في القاعة، فالهواء الساخن يصعد لأعلى والبارد ينزل لأسفل، وهذا ما تساعد عليه الشخشيخة، وبذلك تقوم مقام التكييف في العصر الحديث. وتحتوي أغلبُ قاعات بيت السحيمي على «شخاشيخ»، وكلُّها مصنوعة من الخشب ومغطَّاة بالجصِّ المطعَّم بالزجاج.

تحتوي قاعةُ السلاملك أيضًا على «السعفة»، وهي عنصر مميَّز في معظم البيوت كان الغرض منها صفُّ الأباريق أو القلل، وهي عبارة عن رفٍّ من الرخام المحمول على أعمدة وعقود من الرخام المزخرَف،



كما تزيِّن جدرانَ القاعة دواليبُ خشبية، وهي تُصنع في دخلات في جدران البيت لحفظ الأشياء ولإضفاء شكل جمالي على الحوائط.

تجاور هذه القاعةَ حجرةٌ لقراءة القرآن، وهو تقليد كان متَّبعًا في البيوت الإسلامية الكبيرة، وتحتوي على كرسي كبير مخصَّص لقراءة القرآن،

ويزيِّن السقفَ «تنُور»، وهي وحدة إضاءة من النُّحاس تُضاء بالفتيل والزيت، وكانت هي وسيلة الإضاءة في مصر قبل الكهرباء والغاز.

يحتوي بيت السحيمي على «حمام بخار»، وهي غرفة ضيِّقة أرضيَّتُها مكسوَّة بالرخام الأبيض وسقفها مقبَّب وبه كوَّات على شكل مربَّعات ودوائر مغطَّاة بالزجاج الملوَّن لدخول الضوء، ويحتوي الحمَّام على حوض من الرخام الأبيض المزخرف، بالإضافة لمكان يوضع فيه خزان الماء وموقد لتسخين وتبخير الماء.

الـحـرمـلـك:

تتميَّز غرف وقاعات الحرملك بأنها غرف داخلية تفتح بمشربيات على صحن البيت، وبأنَّ النوافذ العلوية مغطَّاة بزجاج ملوَّن معشَّق بالجصّ، وهي أكثر وأكبر من الموجودة في غرف وقاعات السلاملك، كما أنها أجمل ومتنوعة الزخارف،التي منها ما هو ما على شكل طبق نجمي، أو ورود وأزهار، أو أغصان وطيور.

تتميَّز غرف الحرملك أيضًا بوجود بعض الصناديق الخشبية المطعَّمة بالصَّدف والعاج لحفظ الملابس، وتحتوي غرفُ الحريم على غرفة مميَّزة وهي مكسوَّة الجدران بالقيشاني الأزرق المزخرف.

يحتوي صحنُ البيت على «تختبوش»، وهو مكانٌ مخصَّص لجلوس الرجال يوضع فيه تَخْتٌ أو دكَّةٌ من الخشب الخرط المشغول، وكانت البيوت تحوي «المقعد» أو «التختبوش» أو هما معًا؛ دليلاً على ثراء أصحاب البيت.



بيت الكريتليَّة

يقعُ بيتُ الكريتلية في ميدان أحمد بن طولون، وهو من البيوت الإسلامية التي تتميَّزُ بجمالها المعماري، يتكوَّن بيتُ الكريتلية -في واقع الأمر- من بيتين تصلُ بينهما قنطرةٌ. بنى البيتَ الأوَّلَ «محمد بن الحاج سالم بن جلمار الجزَّار» فى عام1631م/1041هـ، وهو البيتُ الذى يقع على يمين الداخل، والبيت الثاني بناه المعلم «عبد القادر حدَّاد» في عام947هـ/1540م، وسُمِّي ببيت الكريتليَّة لأنَّ آخرَ من سكنَ فيه سيدةٌ من جزيرة «كريت» باليونان فنُسبَ البيتُ إليها وإلى عائلتها. تحوَّل البيتُ لمتحف يُعرَف باسم متحف «جاير أندرسون» نسبةً إلى الميجور البريطاني «جاير أندرسون»، الذى كان طبيبًا فى الجيش الإنجليزيِّ، وتقدَّم في عام 1935بطلبٍ إلى لجنة الآثار الإسلامية في مصر بأن يسكنَ البيتَ على أن يعتنيَ به ويحافظَ على طابعه الإسلاميِّ ويؤثِّثه من الداخل على الطراز الاسلامي بمجموعة من المقتنيات والتحف القيِّمة و النادرة، وهو ما حدث بالفعل. ولم يَدُمْ وجودُ جاير أندرسون بالبيت طويلاً حيثُ توفِّي في عام 1940، وبعد وفاته أصبح البيتُ ملكا لهيئة الآثار المصرية التي قامت بتحويله إلى متحف.

يتكوَّن البيتُ من صحن تتوسَّطه فسقيةٌ من الرخام الأبيضِ، وتطلُّ على الصحنِ غرفُ البيت وقاعاتُه، كما هو الحال فى كلِّ البيوت الإسلاميَّة. يتكوَّن الدور الأرضيُّ من «حواصل» أي غرف صغيرة لحفظ المحاصيل والبضائع، وقد أُعِدَّتْ لتخزين حاجاتِ أهل البيت من طعام وحبوب وخلافه. ويقع في نهاية الفناء إسطبلٌ لحصانٍ واحدٍ كان ملكا لأهل البيت، ويشغل الدور الأول «المقعد» وهو مكان اجتماع أهل البيت خاصَّةً الرجال ويزيِّن السقفَ براطيمُ خشبيةٌ محلاَّة بنقوشٍ وزخارفَ إسلامية بديعةٍ. وتحوي القاعةُ عددًا من «الخورستانات» وهي

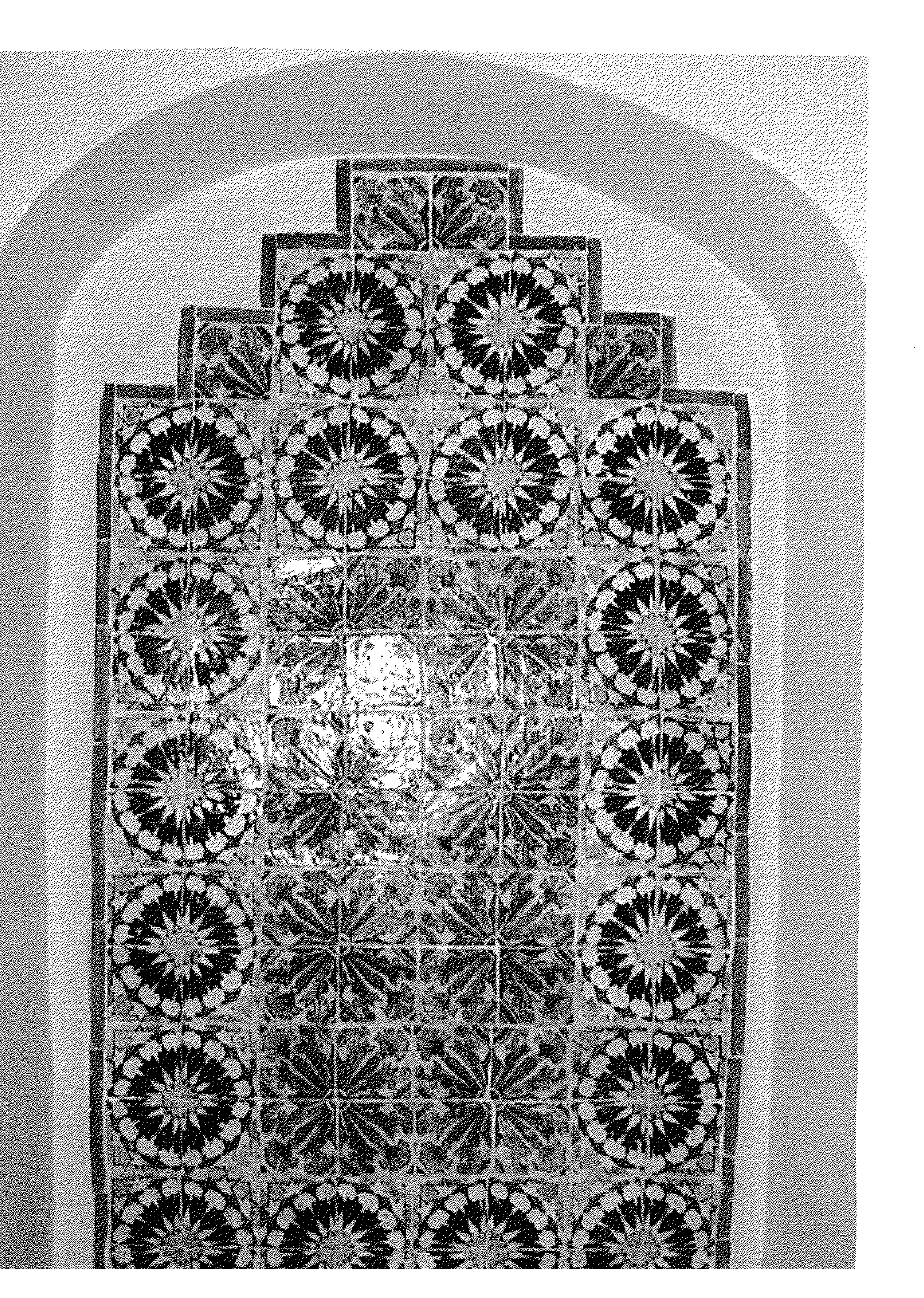


دواليب حائطية. ومن المقعد يتصل السلاملك بالحرملك عن طريق رواق، وتتميَّز قاعةُ الحرملك بالمشربيَّات البديعة والخورستانات التى رُسِمت على ضلفها رسومٌ فارسية بديعة. وبالبيت عددٌ آخرُ من الغرف القمرة، أيِ الغرف الصغيرة، وممَّا يُذكرُ أنَّ كلَّ غرف وقاعات البيتِ مفروشة بالأثاث الإسلامي الطراز، وكذلك زُيِّنَت الحوائطُ بالتحف، وهى جميعًا من مقتنيات «جاير أندرسون»

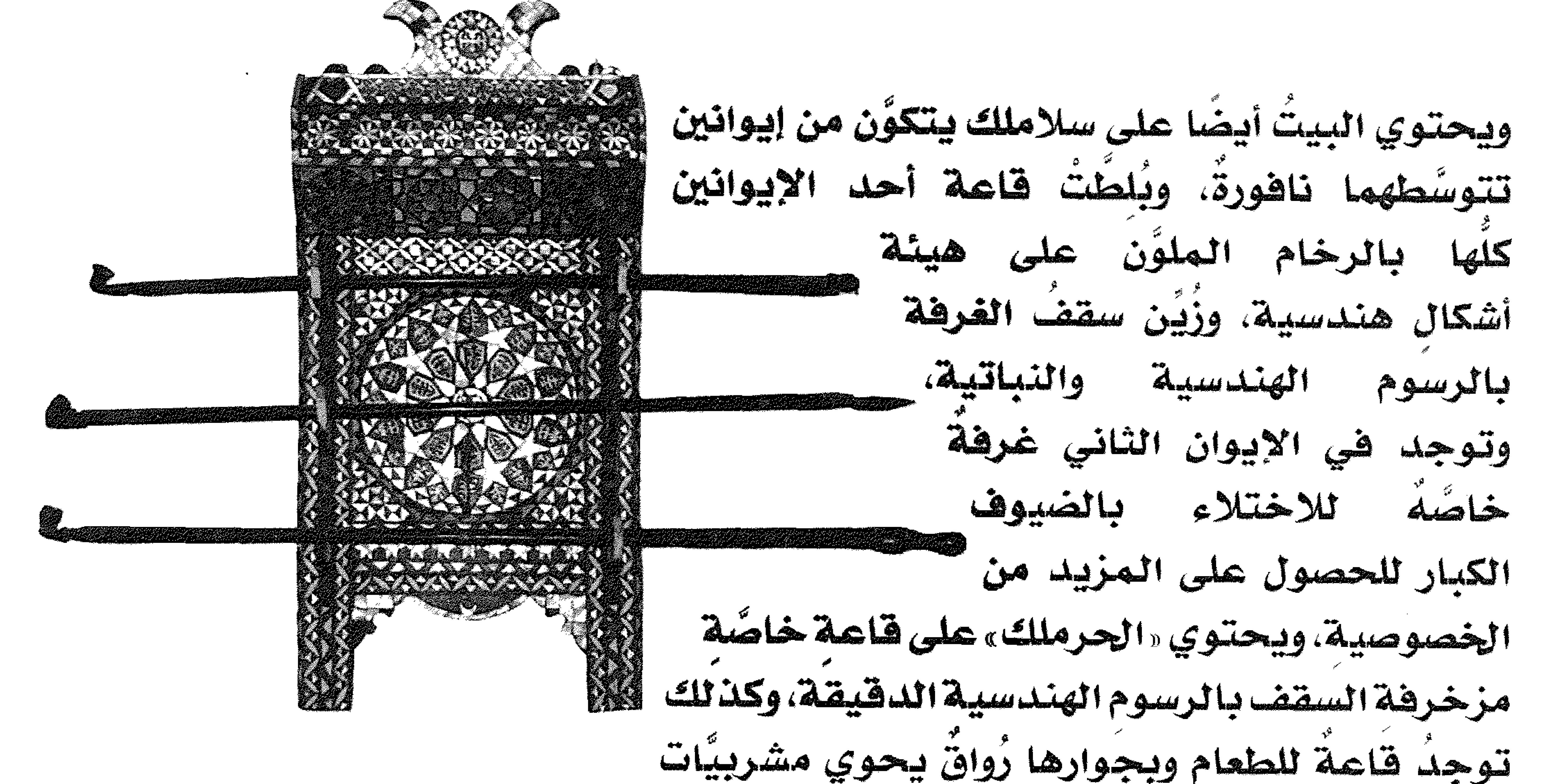
أمَّا البيتُ الثاني، والذي يُطلق عليه بيت السيدة «آمنة بنت سالم»، فهو يحتوي على صحنٍ مفتوح كالبيت الأوَّل، وتحيط بهذا الصحن غرفٌ تُعرف بـ«غرف الولادة»، وهي غرفٌ كانت تُخصَّص لولادة السيدات في العصر العثماني.

ولاتزال الكراسي الخشبية المصنوعة لغرض الولادة موجودةً في تلك الغرف.









ويحتوي البيتُ أيضًا على سلاملك يتكوَّن من إيوانين تتوسَّطهما نافورةٌ، وبُلطَّتْ قاعة أحد الإيوانين كلُّها بالرخام الملوَّن على هيئة أشكالٍ هندسية، وزُيِّن سقفُ الغرفة بالرسوم الهندسية والنباتية، وتوجد في الإيوان الثاني غرفةٌ خاصَّةٌ للاختلاء بالضيوف الكبار للحصول على المزيد من الخصوصية، ويحتوي «الحرملك» على قاعة خاصَّة مزخرفة السقف بالرسوم الهندسية الدقيقة، وكذلك توجدُ قاعةٌ للطعام وبجوارها رُواقٌ يحوي مشربيَّات شديدة الجمال والدقة تؤدِّي إلى قاعة للاحتفالات طولُها15م، وهي بذلك من أطول وأكبر قاعات الاحتفال في البيوت الإسلامية المعروفة، كما أنَّ اثاثَ هذا البيتِ من أجمل وأفخم ما تبقَّى من أثاثٍ ومفروشاتِ العصرِ العثماني والطرز الإسلامية المختلفة.

الأسبِلة

هي أبنيةٌ مخصَّصة لتوفير المياه للمارِّين في الطريق يروون منها عطشهم. وقد ازدهرت الأسبلةُ في عصر المماليك؛ فكانت تُشيَّد إمَّا كمبانٍ منفصلة أو مُلحقة بالمساجد والمدارس وأحيانًا بالمنازل والبيوت. وكان وراءَ بناء السَّبيل غرضٌ روحي وهو كسب الثواب من سقاية الناس وإفادتهم بإرواء ظمئهم. وقد توارث العربُ عادةَ سقاية المارَّة عبر العصور؛ حيث عاش العربُ وسط الصحراء وكانت سقايةُ عابري السبيل من علامات المروءة والكرم.

يتكوَّن السبيلُ من بناء صغير من طابقين، وصهريج لتخزين المياه وحجرة للتسبيل. وكانت الأسبلةُ في العصر المملوكي مستقلَّةً على الأغلب، بينما جاءت الأسبلةُ العثمانية ملحَقةً بالمنازل في بعض الأحيان، وتميَّزت الأسبلةُ المملوكية بأنها أكبرُ حجمًا من الأسبلة العثمانية.

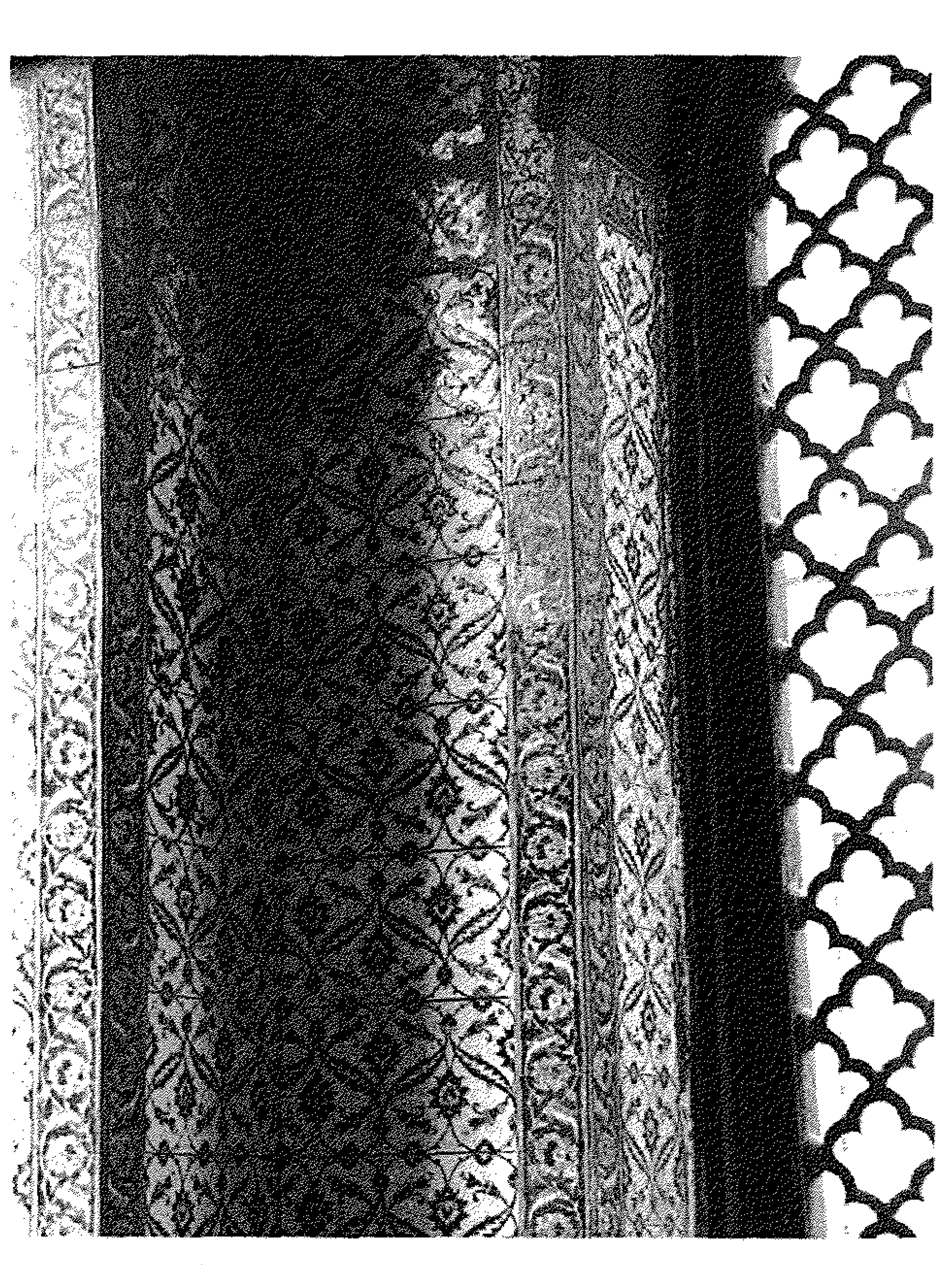
ومعظمُ الأسبلة كانت تعلوها كتاتيبُ، وهو الحال الغالب في العصر المملوكي، بينما في العصر العثماني كان هناك بعضُ الأسبلة التي تعلوها قاعاتٌ سكنية.

الأسبلة العثمانية

تنقسم الأسبلةُ في العصر العثماني إلى نوعين:

- السبيل المصري الطابع، وهي أغلب الأسبلة في مصر، وفي هذا النوع يتكوَّن السبيلُ من حجرة تسبيل مستطيلة وأحيانًا مربَّعة.

- الأسبلة التركية الطراز، والباقي منها سبعةُ أسبلة فقط، وظهرت هذه الأسبلة متأخِّرَة في القرن الثامن عشر الميلادي، وتكون حجرة التسبيل مستطيلة أو مربَّعة وضلعُها الرابع -الذي يحتوي على شبابيك السقاية- مقوَّس الهيئة، وقد تأثر السبيل التركي بالأسلوب المصري في تشييد الأسبلة، حيث لم تعرف تركيا عمائرَ السبيل إلَّا في القرن السادس عشر، وتأثَّرت بالصهريج المصري، ثم أضافت لشكل السبيل بعد ذلك لإضفاء الطابع التركي عليه.



سبيل كتخدا

وصف السبيل:

يتكوَّن السبيل من الصهريج، وهو جزء مبني تحت الأرض لتخزين المياه، وللصهريج ثلاث فتحات: فتحة تزوِّده بالماء العذب وتُعرف بالمصبَّة، وهي في واجهة الصهريج عادةً وأسفله تحديدًا حتى يسهل على القائمين تفريغ ما معهم من ماء، ولا يزيد اتساعُ أرضيَّتها عن حوض بسيط يتمُّ تفريغُ المياه فيه لتنسابَ داخل الصهريج وتغلق الفتحةَ قطعةٌ من الرخام تأخذ شكل الفتحة نفسِها، وهي مُحكَمة الإغلاق ولها مقبض.

أمَّا الفتحة الثانية فهي فتحة المأخذ، ولها شكلٌ منحنٍ نصف دائري في أحد جدران الصهريج، ومنها يتمُّ رفع المياه من الصهريج إلى أحواض التسبيل.

والفتحة الثالثة تُستخدم للنزول إلى الصهريج وتنظيفه وتطهيره وتبخيره قبل إعادة ملئه بالمياه، وغالبًا ما توجد في أركان حجرة التسبيل أو في حجرة ملحقة بها، ويتمُّ النزول للصهريج عبر عدَّة سلالم عددُها الأقصى سبعَ عشرةَ درجة.

وحجرةُ التسبيل هي الوسيط بين الصهريج والمارَّة، وفي صدرها يوجد «شذروان»، وهو لوح من الرخام المنقوش لتبريد المياه التي تمرُّ عليها قبل وصولها لأحواض المياه الموجودة في أرضيات شبابيك التسبيل.

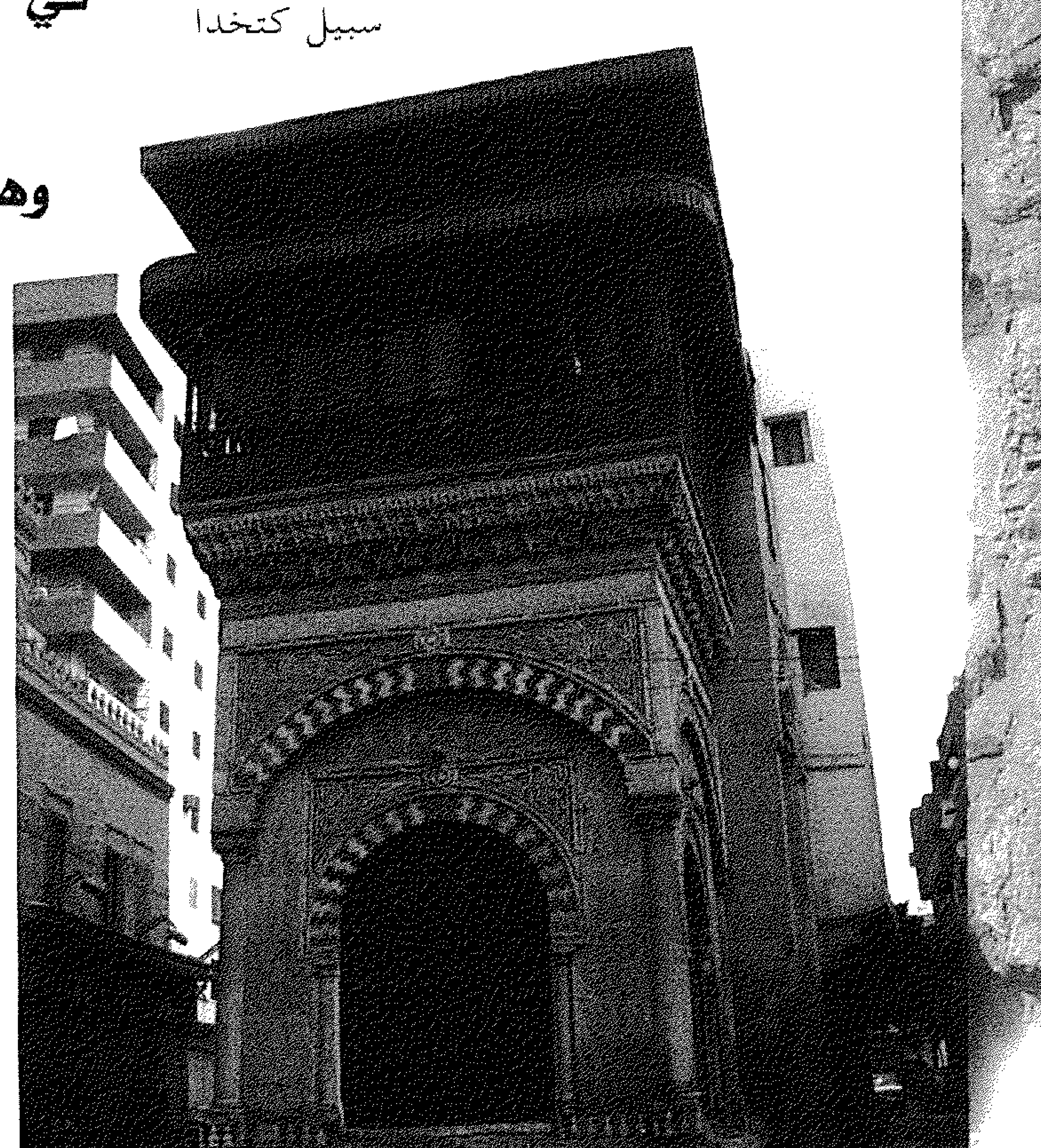
يوجد أمام شبَّاك التسبيل لوح رخامي آخر لوضع أواني الشرب وأسفل كل شباك مصطبة للوقوف عليها أثناء الشرب.

وكان للسبيل طاقمٌ خاصٌ من العاملين مثل «ناظر الوقف»، وهو أعلى المراتب والوظائف في السبيل، وهو المسئول الإداري والمالي عن السبيل.

وهناك «المزملائي» وهو المسئول عن فتح وإغلاق السبيل وإغلاقه في الوقت المحدَّد ونقل الماء من الصهريج للأحواض وتوزيعه على المارَّة، و«السقَّاء» وهو معاون المزملائي، كان يحمل قِرْبَ الماء على ظهر الدوابِّ ليسقيَ في فترة الفيضان، وهو يتبع شيخ طائفة السقَّائين.

وهناك البوَّاب والفرَّاش، ووظيفتهما لا تختلف عن وظيفة البوَّاب والفرَّاش الآن، وهي حراسة السبيل وتنظيفه.

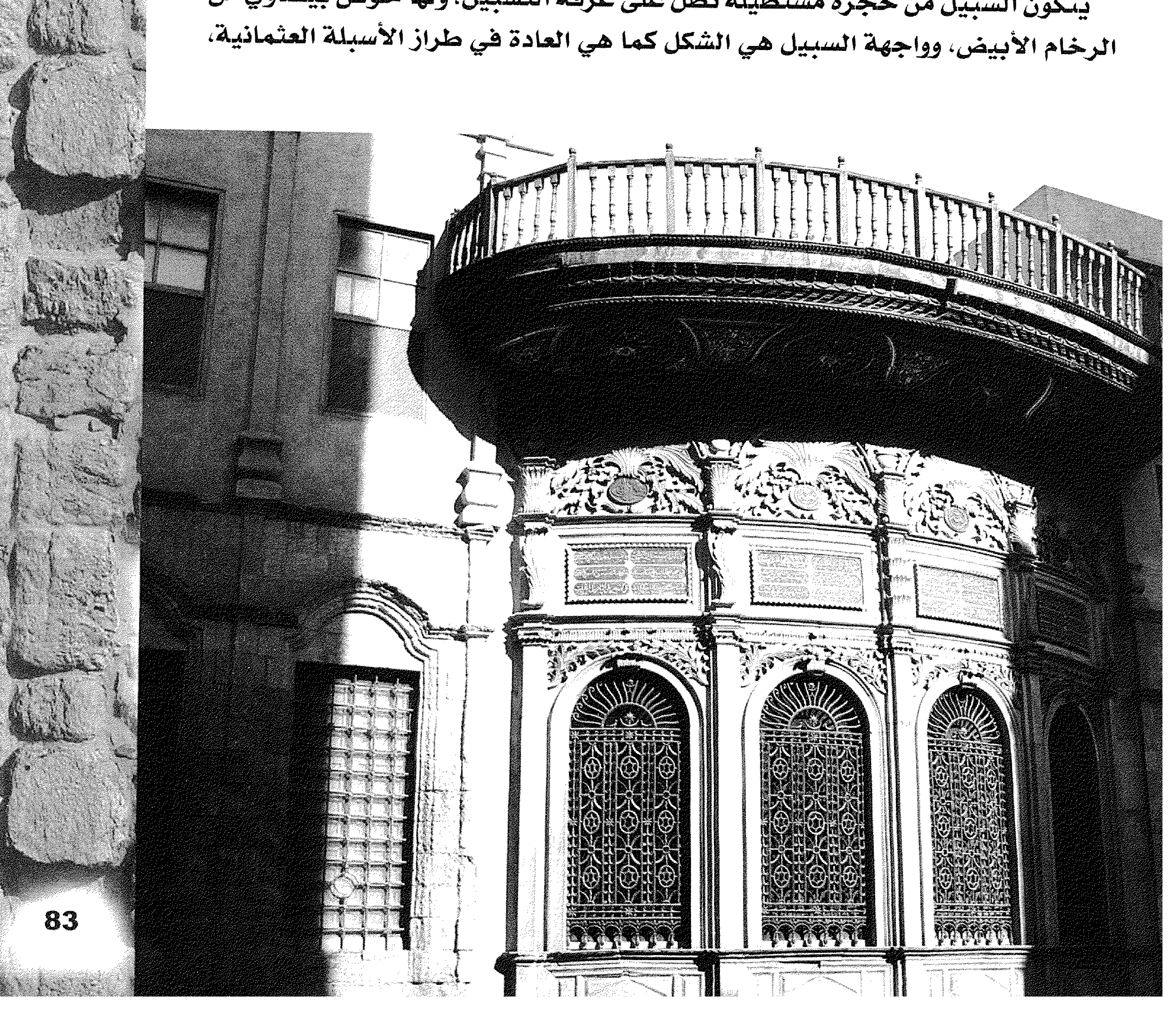
سبيل كتخدا



سبيل محمد على

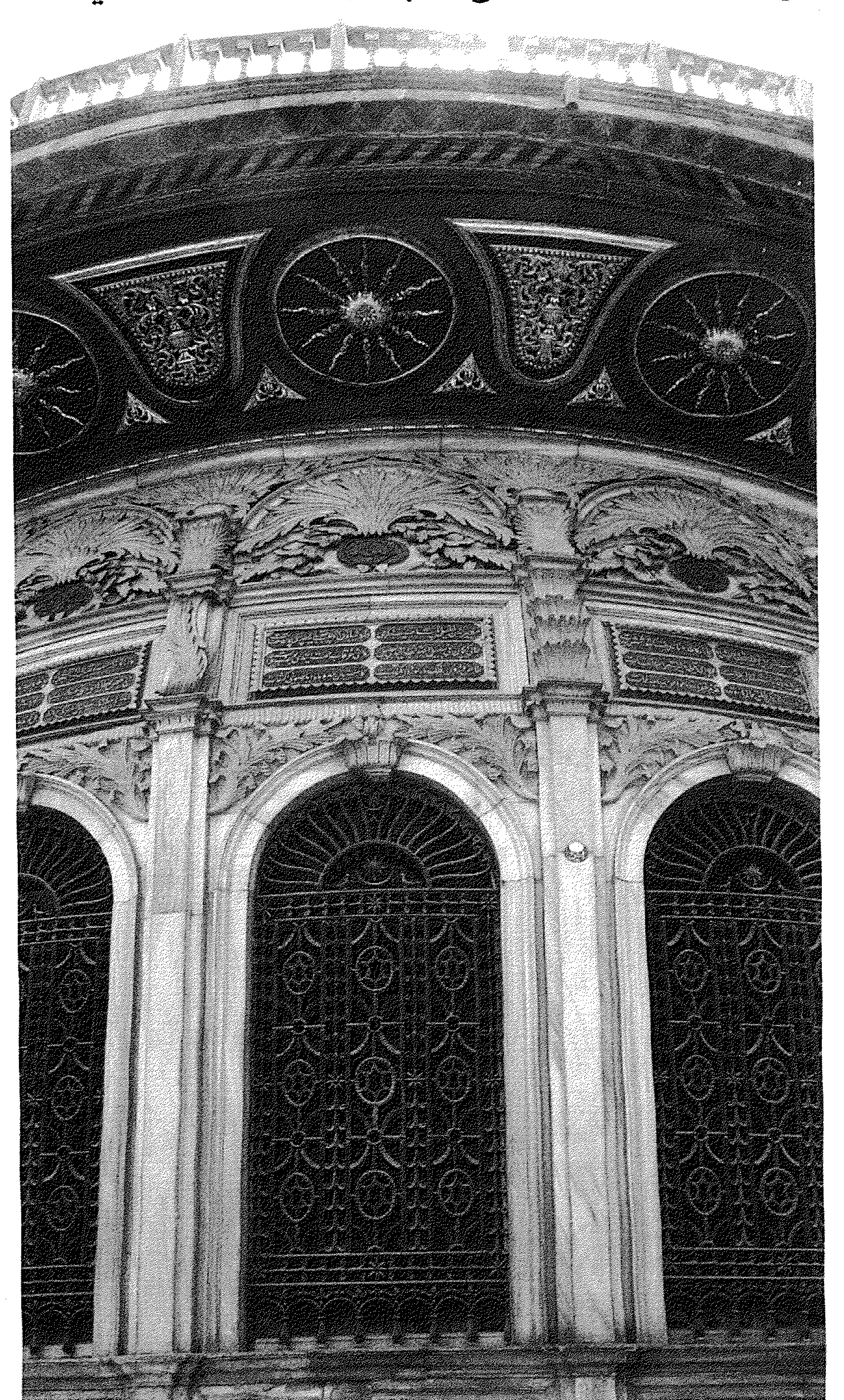
يقع هذا السبيلُ بجوار باب زويلة في شارع المعزِّ لدين الله الفاطمي بمنطقه مصر الفاطمية، وقد بناهُ والي مصر «محمد علي باشا» إهداءً لروح ابنه الأمير «طوسون»، الذى مات وهو في الثانية والعشرين من العمر بمرض الطاعون، وقد حزن عليه محمد علي حزنًا كبيرًا فقرَّر بناء هذا السبيل على روحه بعد وفاته بثلاث أعوام؛ أي في عام 1828م/ 1244هـ، وقد اختار محمد علي موقعًا متميِّزًا لتشييد السبيل حيث يطلُّ على أكثر المواقع حيوية، فهو في قلب السُّوق التجارية لمصر في ذلك العصر، وقد عُني محمد علي ببناءِ هذا السبيل غايةَ العناية فأمر بجلب الخشب والرخام من تركيا لبنائه.

يتكوَّن السبيلُ من حجرة مستطيلة تطلُّ على غرفة التسبيل، ولها حوض بيضاويٌّ من الرخام الأبيض، وواجهة السبيل هي الشكل كما هي العادة في طراز الأسبلة العثمانية،



وهي غنيَّةٌ بالزخارف المنحوتة على الرخام، وهو طراز عثماني مُستوحًى من طراز الباروك الأوروبِّي، وتعلو الزخارف أفاريزُ خشبية بارزة منقوشة، كما تعلو السبيلَ قبَّةٌ مغطَّاةٌ بالرصاص، ومن الداخل غطي باطنُ القبَّة بمشهد تركي خيالي، وكان يعلو القبَّة -وقتَ بنائها- هلالٌ مطليٌّ بالذهب.

كانت أبوابُ المدخل مصنوعة من البرونز. ومن الخارج توجد نوافذُ لسقاية المارَّة مغطَّاةٌ بالقضبان المزخرفة بالذهب. أمَّا عن جسم السبيل فهو مكوَّن من صهريج ضخم تحت الأرض عمقُه تسعةُ أمتار وتبلغ سعتُه 455 ألف لتر ماء، وهو مسقوفٌ بقباب حجرية، وغُطِّيَتْ جدرانُ السبيل بمادَّة تمنع تسرُّب الماء. وقد وُسِّع السبيلُ بعد وفاة محمد علي وأُضيف له دورٌ علويٌّ خالٍ من الزخرفة.



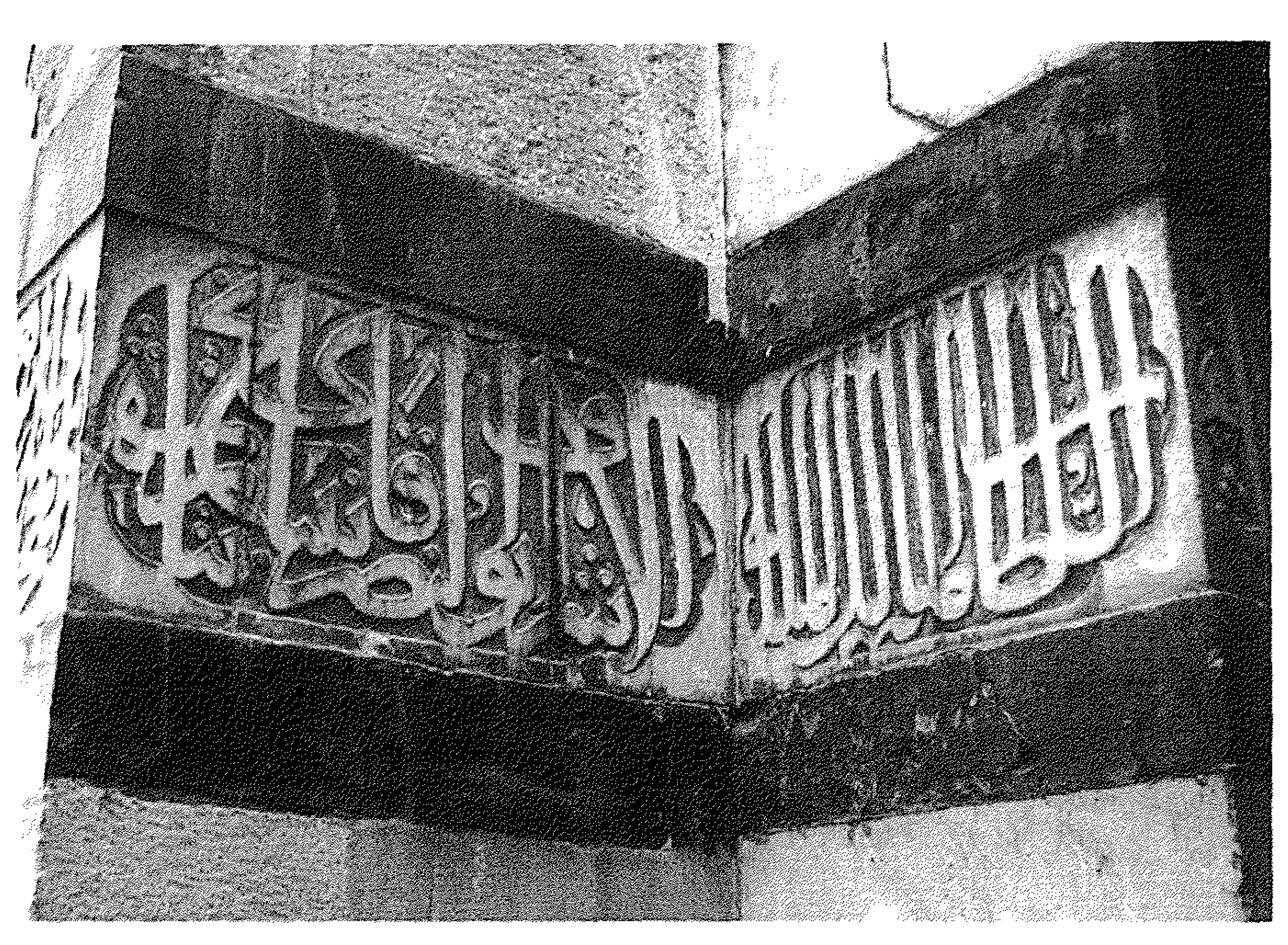
سبيل خسرو باشا

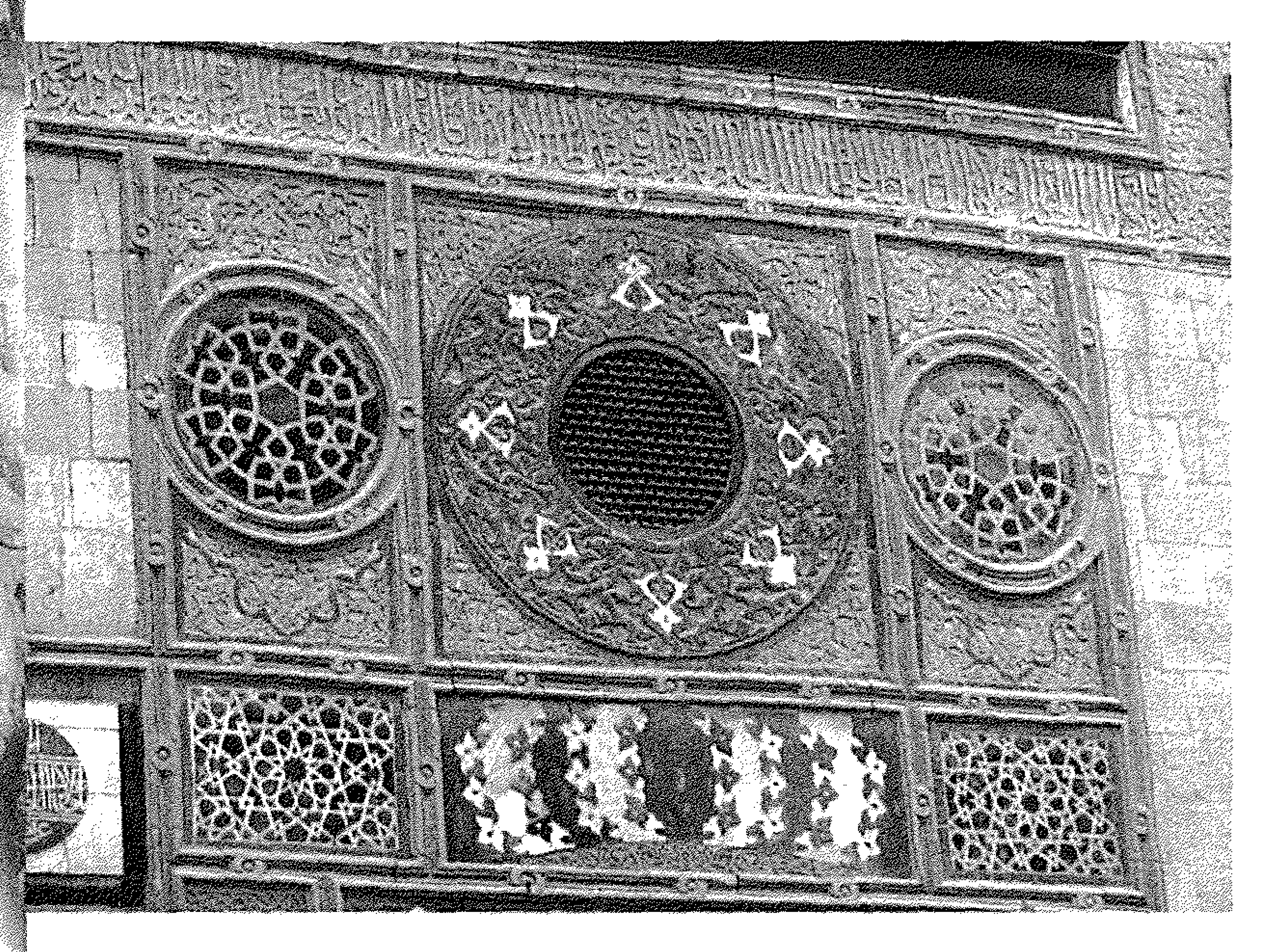
يقع هذ السبيلُ في شارع المعزِّ لدين الله الفاطمي، بناه «خسرو باشا» أحد ولاة مصر في العصر العثماني، وهو سبيل عثمانيٌّ لكنه يشبه في تصميمه الطرزَ المحليَّةَ وليس الطرازَ العثمانيَّ الخالصَ، فهو مستطيل البناء وليس مقوَّسًا. ويتكوَّن السبيلُ من طابقَيْن: الطابق الأول يحتوي على شبَّاكَيْن: الأول يطلُّ على شارع المعزِّ والثاني يطلُّ على المدرسة الصالحيَّة خلف السبيل. وحجرةُ التسبيل مغطَّاةٌ برخام ملوَّن متعدِّد الأشكال الهندسية، وتعلو غرفةَ التسبيل حجرةٌ أخرى كانت تُستخدَم كُتَّابًا، وهي تحتوي

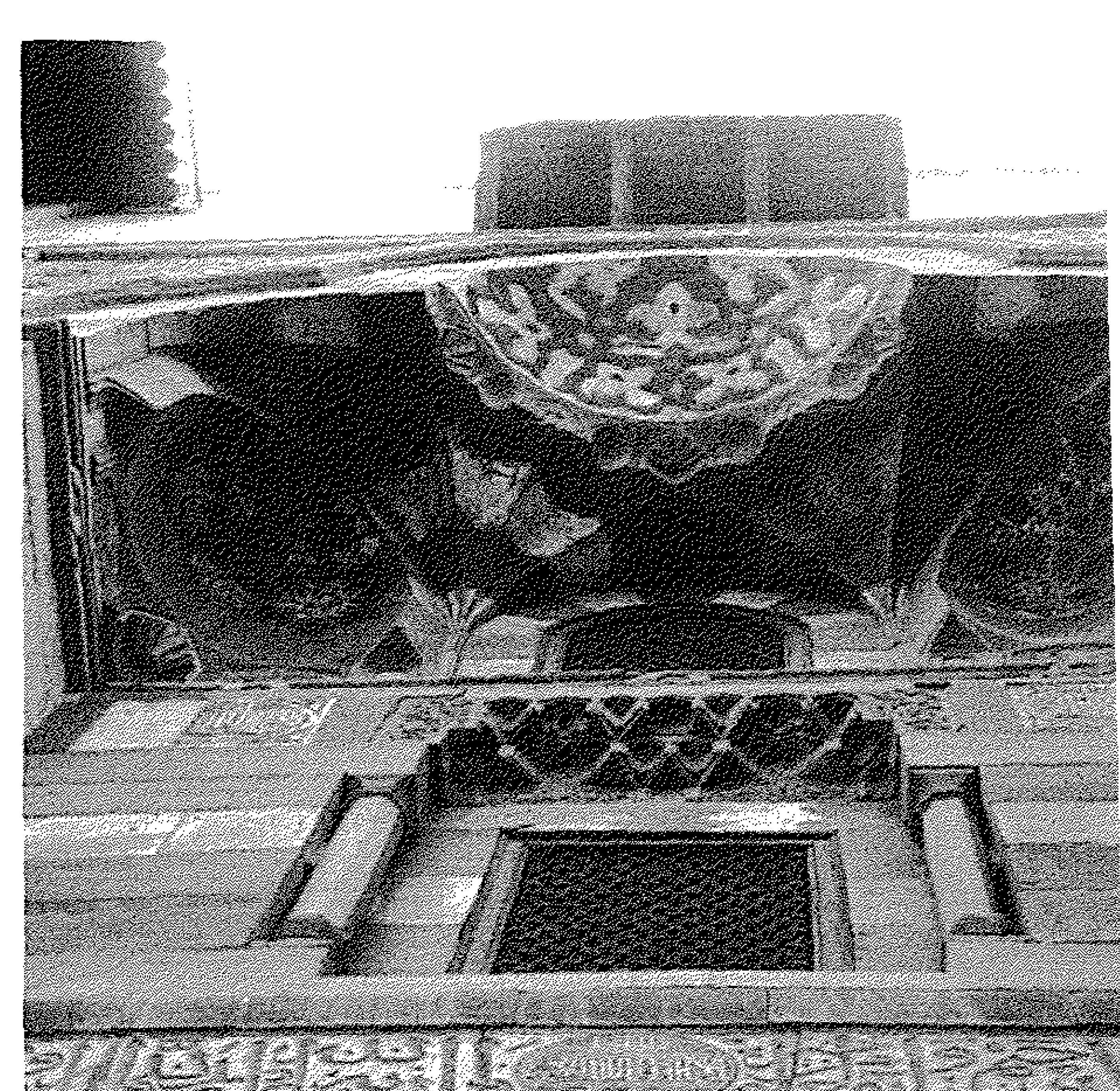
على نافذتين مقوَّستين يعلوهما بروزٌ خشبي من الأرابيسك، وتحيط بالواجهة صفوفٌ من الرخام الأحمر.

سبيل السلطان قايتباي

واحدٌ من أجمل الأسبلة الموجودةِ في مصر، يقع السبيلُ بشارعِ الصليبةِ بالقرب من مدرسة السلطان حسن، وهو يتكوَّن من ثلاثِ واجهات ضخمة محلّاة بمختلف الفنون والنقوش، إلى جانب فنون الخشب الممثَّلة في شُرفات الطابق العلوي وتحتوي على شعار السلطان المملوكي قايتباي مؤسِّس هذا السبيل، يتكوَّن الطابقُ الأوَّلُ من حجرة تسبيل لها نافذتان لتقديم المياه للعابرين مغطَّاة بحواجزَ معدنيَّة مفرَّغة، والطابق الثاني يحتوي على حجرة، والثالث يحتوي على الكتَّاب لتعليم القرآن للأطفال. وهذا السبيلُ هو أولُ سبيل منفصل في مصر، وليس تابعًا لبعض المباني الأخرى كالمدارس.







التكية

ظهرت التكايا في العصر العثماني كبديل للخوانك أو الخانقاوات، فكانت محلَّ إقامة المتصوفين، بالإضافة إلى دور آخر كانت تؤدِّيه وهو علاج المرضى. تتكوَّن الخانقاهُ من صحن مكشوف به حديقة وفسقية، وله أربع ظلَّات من الجوانب الأربعة، ويغطِّي الظلَّات قبابٌ صغيرة، ويوجد بالظلَّة الشرقية المحرابُ للصلاة.

الخانقوات

جمع خانقاه، وهي كلمةٌ فارسيةٌ بمعنى البيت، ويُعتقد أنَّ الخوانك أو الخانقواتُ ظهرت في العالم الإسلامي في القرن الخامس أو الرابع الهجري، بينما شُيِّدت أول خانقاه في مصر في عصر «صلاح الدين الأيوبي»، وسُمِّيت «سعيد السعداء» في نحو عام 566هـ/ 1170م. وهي بناء يتكوَّن من صَحْن (أو عدَّة صحون) تحيط به المباني التي تحوي الغرف، ولا تحوي الخانقواتُ مآذنَ أو منابرَ، بل محرابًا للصلاة اليومية العادية وليس لصلاة الجماعة، وفي بعض الأحيان كانت تُلحق بالخانقوات بعضُ المباني الأخرى مثل الأسبلة، وفي أحيان أخرى كانت بناءً مستقلًا، وكانت الوظيفةُ الرئيسيةُ للخانقوات هي إيواءُ الصوفية الذين نذروا أنفسهم للتعبُّد وتعلُّم أصول التصوُّف على يد شيخ من شيوخ المتصوِّفة الكبار، في حين يتكفَّل الأغنياءُ بكافة تكاليف الخانقاه باعتبار ذلك خدمةً للدين، وقد احتوت الخانقواتُ على كلِّ ما يحتاج إليه المتصوِّفون من خدمات حتى ينقطعوا للعبادة وفق القواعد الخاصَّة التي يحدِّدُها شيخُ الخانقاه، وقد انتشرت الطرقُ الصوفيةُ في مصر وكثر مريديوها، ولهذا ظهرت الخانقواتُ تلبيةً لاحتياج هؤلاء المريدين.

الوكالة

هي عبارة عن مبنًى تجاري كان يُستخدَم لإقامة تجَّار القوافل، وحفْظ البضائع، وعقد الصفقات التجارية. عُرفت الوكالة منذ العصر الفاطمي، وقل وجودُها في العصر الأيوبي بسبب كثرة الحروب. وقد عُرفت الوكالاتُ بأسماء أصحابها أو البضاعة التي تتخصَّص في بيعها، وتتكوَّن من بناءٍ مستطيلٍ أو مربَّع يتوسَّطه فناءٌ وتشغل الجهات الأربع مبانٍ من عدَّة طوابق للتخزين وإقامة التجار، ومن الخارج توجد حوانيتُ مخصَّصةٌ لبيع البضائع. ومن أشهر الوكالات بمصر وكالة الغوري التي تتكوَّن من خمسة طوابق.

وكالة الغوري

هي وكالة أسَّسها السطانُ المملوكي «الأشرف قنصوه الغوري» في 951هـ/1581م، واشتهرت باسم «وكالة النخيل»، وكانت الوكالة مكانًا لتجمُّع التجار ومبيتهم، بالإضافة إلى عابري السبيل، والوكالة من أجملِ وأشهر الوكالات في مصر.

وتتكوَّن الوكالةُ من فناء مكشوف لتنزيلِ البضائع، تحيط به «بواكي» من الحجر هي جزء من مبانٍ متعدِّدة الطوابق، تحتوي هذه المباني في طابقها الأسفل على «حواصل» أي غرف لتخزين المحاصيل والبضائع وإيواءِ المواشي الخاصَّة بالتجار، وغرف لمبيت التجار أو عابري السبيل، وبخارج الوكالة حوانيتُ لعرضِ البضائع، يحتوي الطابقُ الأول على غُرف معيشة، وغرف استقبال والمطابخ، والطابق الثاني -الذى يُصعَد إليه بسُلَّم داخلي- مُعَدٌّ لغرف النوم، وقد صُمِّمَتْ هذه الوكالة بنظام الطوابقِ المتعدِّدةُ توفيرًا للمساحة، ويبلغ عددُ الوحدات في الوكالة نحوَ 29 وحدة سكنية للمبيت، وهي وحدات متكرِّرة الشكل، وبالداخلِ ظُلَّة تطلُّ على فناء الوكالة. وتتميَّز الوكالةُ بمدخلها المزخرَفِ وبمشربيَّاتها التي تطلُّ على الفناء و الخارج.

وكالة الغوري

السلطان الأشرف قنصوه الغوري هو أحد السلاطين المماليك، حكم مصر في عام1500م. حاول التصدِّي العثمانيِّين في موقعةِ «مرج دابق» لكنَّه قُتل أثناءَ المعركةِ. وقد ترك العديدَ من الآثار والعمائر مثل الوكالة التي سُمِّيَتْ باسمه ومسجدٍ. سُمِّي حيُّ الغورية بالقاهرةِ القديمةِ نسبةً لهذا السلطان.

الخان

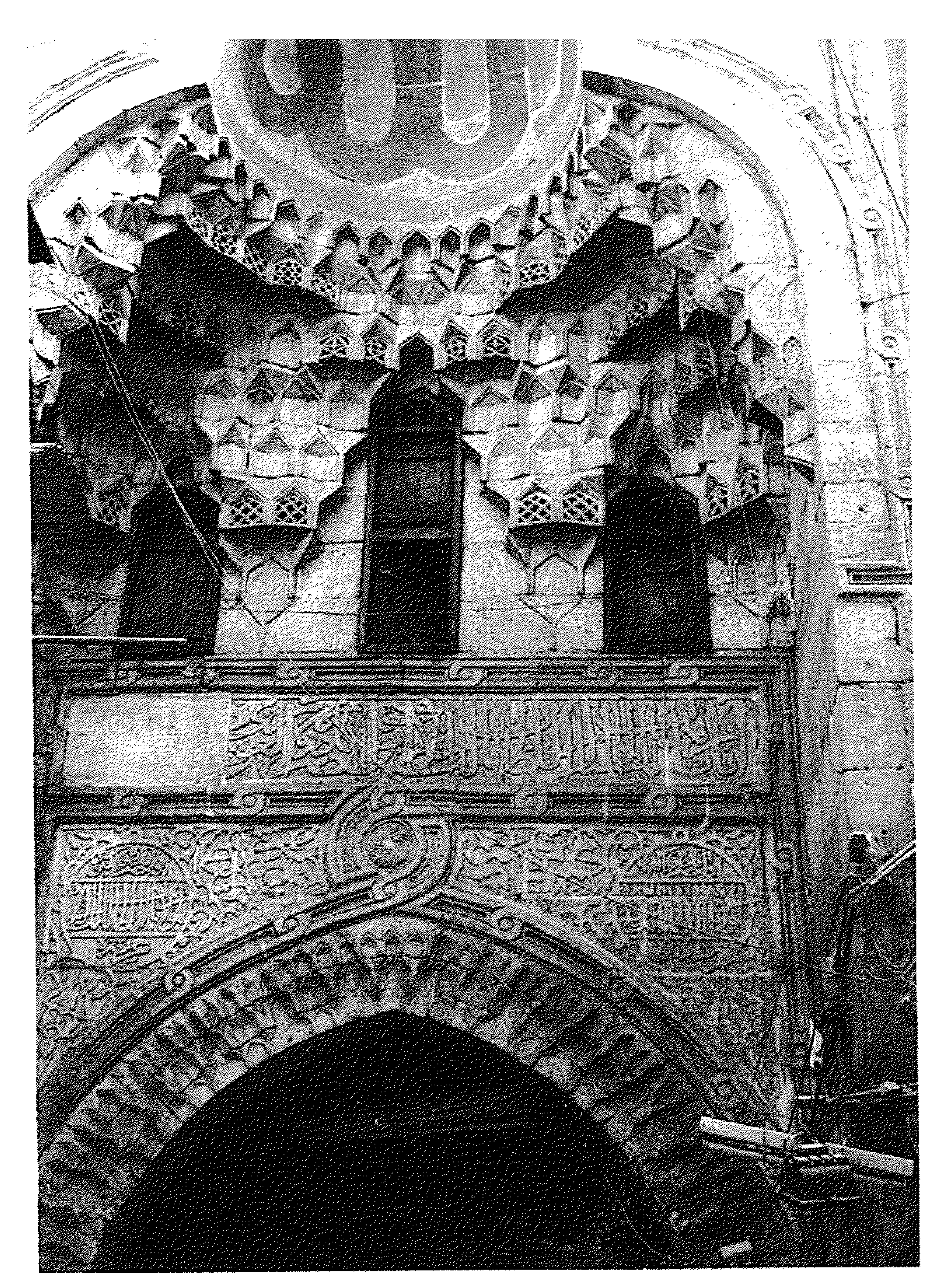
الخانُ كلمة فارسية تعني الفندقَ، والخان هو مكانُ إقامة الأغراب الذين يزورون البلاد لمدة قصيرة ومكان لمبيتهم وغالبًا ما يكونون من التجار، ولهذا كان يُطلق أحيانًا على الوكالات لفظُ «خان»، وكانت تتكوَّن من أماكنَ لمبيت المسافرين، إلى جانب «حواصل» أي غرف مفتوحة لتخزين البضائع.

خان الخليلي

أنشأه الأميرُ المملوكي «جهاركس الخليل»، وكان في موقعه قبورٌ للفاطميِّين فأمر جهاركس بنقل هذه القبورِ لمكانٍ آخرَ وبناءِ هذا «الخانِ» مكانَها. ولم يبقَ الكثيرُ من البناء الأصلي الذي شُيِّد فى عهد «جهاركس»، والذي كان يتكوَّن

جهاركس الخليل

كان جهاركس الخليل يشغل وظيفة أمير الخيول في عهد السلطان المملوكي الظاهر برقوق، وقد اشتُهر بكراهيته للفاطميِّين ومذهبهم الشيعي، ولهذا قرَّر أن يبنيَ فوق مقابرهم هذا الخان. وبالفعل أمر بنبش قبورهم ونقلها لمكان آخرَ. وقد مات الأمير جهاركس في دمشق وتُركتْ جُثَّتُه لتلتهمها الطيور الجارحة والحيوانات. ويقول المؤرِّخون إنه بهذا دفع ثمن فعلته الشنيعة في حقِّ الموتى الفاطميِّين.


خان الخليلي

من بناءٍ له عدَّة مداخل ينتهي بفناءٍ أو صحنٍ تحيط به الأروقة من طابقين يطلاَّن على الشارع ويتَّصلان بالأزقَّة والشوارع المحيطة. وقد آلت ملكيَّةُ الخان إلى السلطان الأشرف قنصوه الغوري الذي هدم بناء جهاركس في عام1511م، وجعل مكانه الحوانيتَ الصغيرةَ والمحالَّ والوكالاتِ التي تتَّصل ببعضها البعض، وبُني لهذا الخان ثلاثُ بوَّاباتٍ حجريةٍ لاتزال موجودةً حتى اليوم، وتحمل شعار الغوري.

البيمارستان

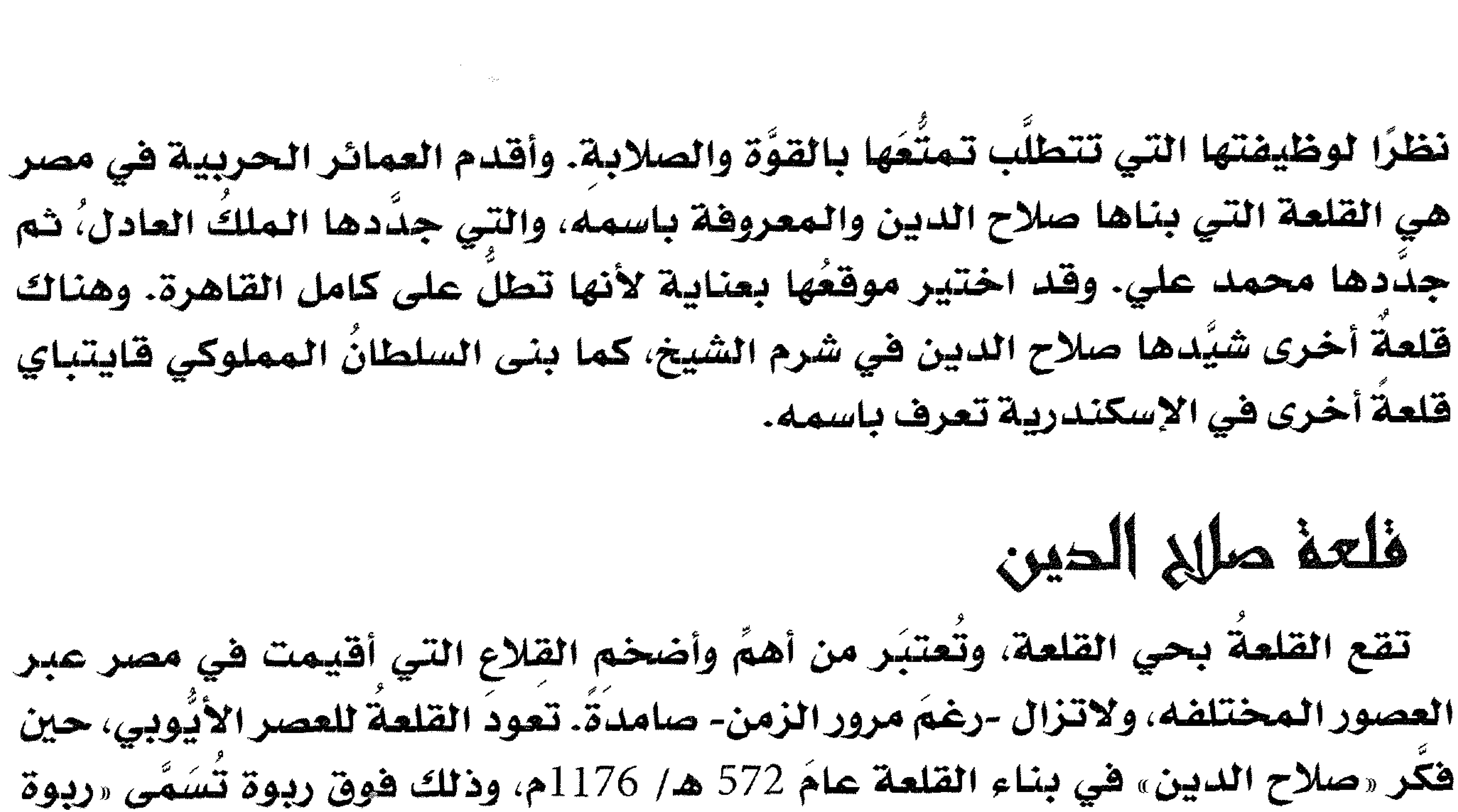
هي بمثابة المستشفيات في العصر الحديث، و«بيمارستان» كلمة فارسية تتكوَّن من مقطعين: «بيمار» أي مريض، و«ستان» أي بيت، ويصبح معنى الكلمة «بيت المريض». ومن أقدم البيمارستانات التي شُيِّدت في مصر بيمارستان «ابن طولون»، ولكن لم يعد له وجود الآن.

الرباط

هو نوعٌ من المباني التي أُقيمت في الدول التي تقعُ على حدود الدولة الإسلامية، وهي مبانٍ تعدَّدت وظائفُها، فهي -على الأغلب- في دول الحدود مبانٍ عسكرية، وفي مصر جمعت بين عدَّة وظائف منها إيواء العجَزة والمُسنِّين والأرامل، وأحيانًا كانت تلعب دور المدرسة الدينية للمتصوفين، وهي تشبه الحصن من حيث الشكل و التكوين.

القلاع والحصون

هي عمائر حربيَّةٌ كانت تُشيَّد بغرض حماية المدن الإسلامية من هجمات الأعداء، ولم يتوافر في العمائر الحربية ما توافر للعمائر الأخرى من كثرة العناصر الجمالية؛



نظرًا لوظيفتها التي تتطلَّب تمتُّعها بالقوَّة والصلابة. وأقدم العمائر الحربية في مصر هي القلعة التي بناها صلاح الدين والمعروفة باسمه، والتي جدَّدها الملكُ العادلُ، ثم جدَّدها محمد علي. وقد اختير موقعُها بعناية لأنها تطلُّ على كامل القاهرة. وهناك قلعةٌ أخرى شيَّدها صلاح الدين في شرم الشيخ، كما بنى السلطانُ المملوكي قايتباي قلعةً أخرى في الإسكندرية تعرف باسمه.

قلعة صلاح الدين

تقع القلعةُ بحي القلعة، وتُعتبَر من أهمِّ وأضخم القلاع التي أقيمت في مصر عبر العصور المختلفه، ولاتزال -رغمَ مرور الزمن- صامدةً. تعودَ القلعةُ للعصر الأيُّوبي، حين فكَّر «صلاح الدين» في بناء القلعة عامَ 572 هـ/ 1176م، وذلك فوق ربوة تُسَمَّى «ربوة الصوة»، وذلك بسبب الأخطار التي كانت تحيط بالعالم الإسلامي في عصره، خاصَّة الخطر الصليبي وبقايا الفاطميِّين الذين أطاح بدولتهم وخشي من عودتهم مرَّةً أخرى. ولهذا قام «قراقوش الأسدي» وزير صلاح الدين بهدم المقابر والمباني التي كانت موجودةً مكان الربوة، ونحت العمَّالُ الصخرَ وحفروا خندقًا ليضعوا أساسَ القلعة وليفصلوها عن جبل المقطَّم، وقد اختار «صلاح الدين» هذا المكان لأنه موقع هام، حيث يكشف كلَّ القاهرة والفسطاط في نفس الوقت، ويمكن من خلاله رصدُ أيِّ تحرُّكات عسكرية تحدث بالقرب من القاهرة، وقد تمَّ بناءُ القلعة في عام 572 هـ، ويُقال إنَّ عمَّال الوزير «قراقوش» استخدموا حجارةَ بعض الأهرامات في بناء القلعةَ وتجديد أسوار القاهرة. وقد تهدَّمتْ قلعةُ صلاح الدين الأصلية التي بنيت في عصره، لكن ظلَّ الملوكُ والسلاطينُ يجدِّدون القلعةَ ويصلحونها حتى عصر «محمد علي باشا» الذى كان آخرَ مَن اهتمَّ بالقلعة وأقام بها من حُكَّام مصر، ولهذا كثيرًا ما تُنسَب إليه فيقال «قلعة محمد علي».

تتكوَّن القلعةُ من عدد كبير من الأبراج يبلغُ نحوَ ثلاثةَ عشرَ برجًا، وتُفتح من ثلاثة أبواب ولها سُوران، وتضمُّ بداخلها عددًا كبيرًا من المباني التي تحوَّل معظمُها إلى متاحفَ منها المتحفُ الحربي، وقصرُ الجوهرة، ومتحف الشرطة ومَحكَى القلعة.

أسوار القلعة

الأسوار الشمالية:

يرجعُ تاريخُ هذه الأسوار إلى عصر صلاح الدين وكلٍّ من «الملك العدل» و«السلطان الكامل» وهم من ملوك العصر الأيوبى. ويبلغُ سُمْكُ الأسوار نحوَ ثلاثة أمتار، وقد ترتفع

إلى عشرة أمتار. ويتخلّل السور ممرٌ يبلغ عرضُه أقلّ من متر يؤدّي إلى غرف ضيِّقة، وبين الغرف فتحاتٌ تطلُّ على الداخل إلّا فتحات صغيرة تُفتح على الخارج كانت تُستخدَم لرمي السهام وتُسمّى «مزاغل». ويتكوّن السُّور من عدّة أبراج تدعم جسم السور تتنوّع أشكالُها وأحجامُها، فمنها ما هو دائري، ومنها ما هو مربّع، ويصل ارتفاعُ بعض الأبراج إلى نحو عشرين مترًا، مثل برج الصحراء وبرج الرملة وبرج الصفة.

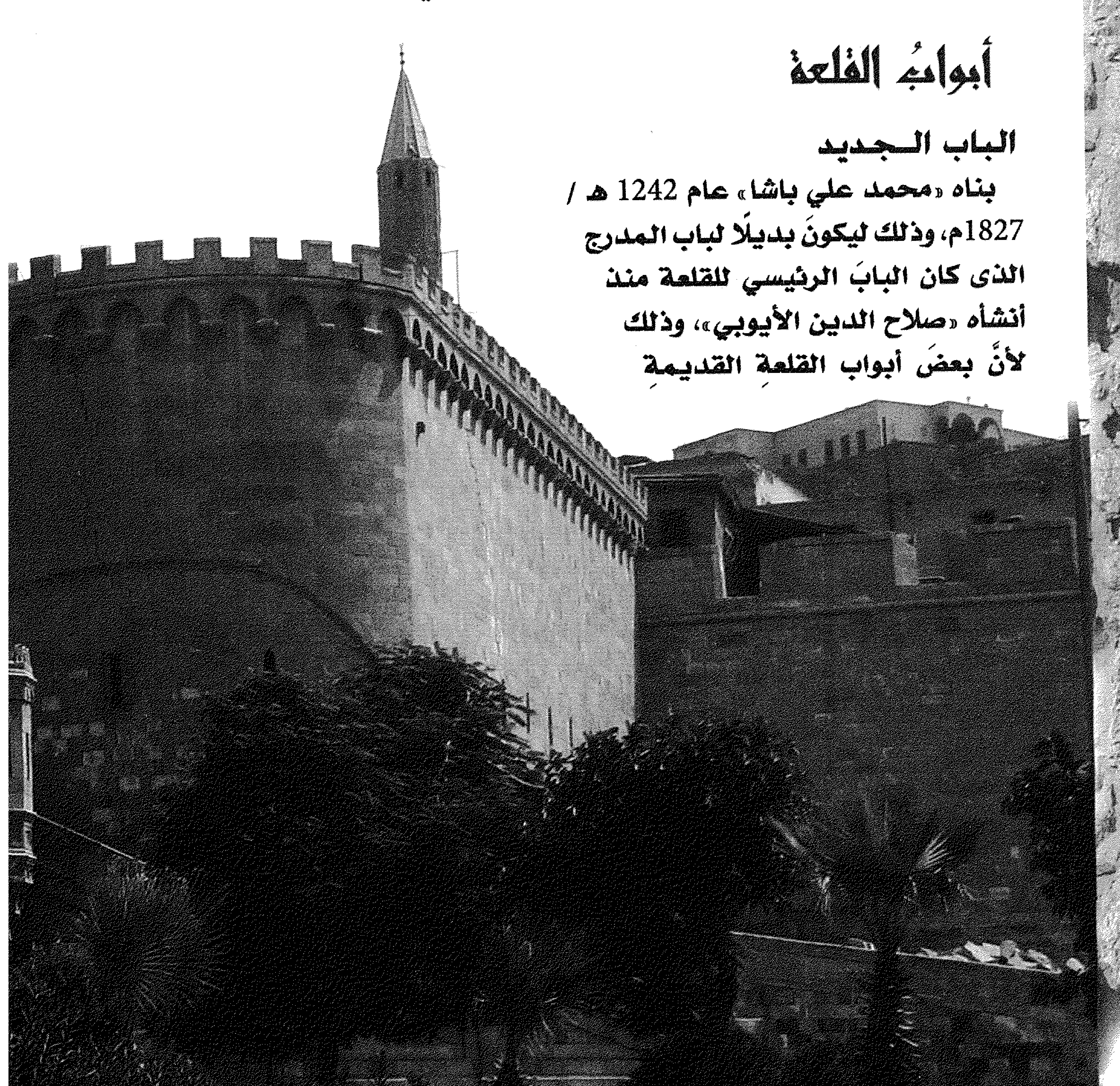
الأسوار الجنوبية:

تختلف أسوارُ الجزء الجنوبي عن أسوار الجزء الشمالي، فهو يكاد يخلو من الأبواب والأبراج، وهذا الجزءُ من السور هو ما أعاد «محمد علي» بناءَه.

أبوابُ القلعة

الباب الجديد

بناه «محمد علي باشا» عام 1242 هـ / 1827م، وذلك ليكونَ بديلًا لباب المدرج الذى كان البابَ الرئيسي للقلعة منذ أنشأه «صلاح الدين الأيوبي»، وذلك لأنَّ بعضَ أبواب القلعةِ القديمةِ



كانت ضيِّقةً بحيث لم تكن تسمحُ بدخول المهمَّاتِ العسكرية. والبابُ الجديدُ عبارةٌ عن بناءٍ مستطيل من طابقَيْن وله واجهتان إحداهُما -وهي الشمالية- تتميَّز بتفاصيلها المعماريةِ المميِّزة، وتعلوها لوحةٌ تذكاريةٌ بها بعضُ الكتابات، وفي كتلة المدخل بعضُ النقوش والزخارف. ونفس الأمر في الواجهة الأخرى.

باب القُلَّة

وسُمِّي هذا البابُ بهذا الاسم ليس نسبة للقلل الفخَّارية التي يشرب منها الناس، بل لأنَّ القُلَّة في اللغة تعني «البرج القائم بمفرده»، وبنى هذا البرجَ الملكُ المملوكى «الظاهر بيبرس»، وهدمه السلطانُ «برقوق»، وبنى مكانَه السلطانُ «قلاوون» قبَّةً، وكان بابُ القُلَّة شديدَ الأهمِّية في العصور القديمة، لكنه تهدم بمرور الزمن حتى جاء محمد علي وأعادَ بناءَه في نفس المكان، ويتكوَّن البابُ من واجهتين لهما من المدخل الجنوبي برجان مثمَّنا الأضلاع، ويعلوهما كتابةٌ باللغة التركية نصُّها:

"فلتغلَق عينُ العدوِّ السيِّئ النِّية كلَّما فُتح بابُ الزغرة، وليبارك اللهُ بانيه بحق سورة طه وياسين. 1242 هـ".



ويتكوَّنُ البابُ من طابقَيْن.

ويوجد بخلاف هذا الباب بابُ القرافة، وهو بابٌ يطلُّ على قرافة مصر، وباب آخر هو باب المقطَّم وهو يجاور برجَ المقطم، والباب الجديد الذي بناه محمد علي حتى يستوعبَ دخول تجهيزاته العسكرية.

الأبراج

بسور القلعة العديد من الأبراج تمَّ بناؤها على مرِّ السنين بأوامرَ من عدد من حكام مصر: من صلاح الدين الأيوبي حتى محمد علي.

البرج المربَّع

يرجع البرج إلى عصر السلطان العادل، وجدَّد محمد علي بعضَ الأجزاء فيه. وهو يتكوَّن من بناء مربَّع ولهذا سُمِّي بهذا الاسم.

برج الصفة

بناه الملكُ العادل، ويبلغ إجمالي طوله نحو 18 مترًا بما في ذلك الأجزاء التي دُفنَتْ بفعل الزمن تحت الأرض، ويتميَّز هذا البرجُ بأنه مُحكَم البناء، حيث يتعامد محور قاعدته تمامًا مع الواجهة.

برج المبلط

بني هذا البرجُ من الأحجار المصقولة، ويتميَّز بانحرافه تجاه الشمال في خطٍّ مستقيم، ممَّا يسمح برمي الأسهم في اتجاهٍ مستقيمٍ نحوَ الواجهتين الجنوبية والشرقية.

برج المطار

سُمِّي بهذا الاسم لأنه كان مخصَّصًا للحمام الزاجل الذي كان يُستخدم في نقل الرسائل، وبَنى هذا البرجَ الملكُ الكاملُ.

برج المقطم

يتميَّز هذا البرج عن باقي الأبراج بأنه كان مصمَّمًا لمقاومة المدفعية التي كانت تُستخدَم في العصر العثماني.

برج الحداد

بناه صلاح الدين وجدَّده الملكُ العادلُ، وهو يتكوَّن من طابقين، ويتميَّز الطابقُ العلويُّ بوجود غرفة مثمَّنة الشكل تنتهي بفتحات مخصَّصة لرمي الأسهُم.



برج كركيلان

يتكوَّن هذا البرجُ من ثلاثة طوابق، وبني في عهد الملك العادل. وهو برجٌ مربَّع الشكل.

برج المقوصر

مبني على شكل نصف دائرة من الأحجار المصقولة، وهو يتكوَّن من طابقين بكلِّ طابق حجرةٌ مغطَّاةٌ بقَبْوٍ متقاطعٍ، ويخرج من كلِّ حجرةٍ ممرٌّ ينتهي بفتحاتٍ لرمي السهام.

برج الطرفة

يختلف في تخطيطه عن باقي الأبراج، حيث يحتوي على قاعة متعامدة التخطيط، وحائطُه شديد السماكة ويتكوَّن من جزءين منفصلين عن بعضهما، وهو مربَّع الشكل.

برج العلوة

هو برج نصف دائري، ويتميَّز بأنَّ فتحات الرماية فيه متَّصلةٌ بأرض القاعة مباشرةً ممَّا يسهِّل الحركةَ على الرامي.

برج الصحراء

هو برج مستدير الشكل بني مستقلًا ثمَّ رُكِّبَ على السُّور، وهو يشبه أبراجَ «صلاح الدين»، ولكنه مدعَّم ببناء خارجي إضافي ممَّا يدلُّ على أنه جُدِّد في العصور التالية لعصر «صلاح الدين».

برج الإمام أو برج القرافة

أُطلق عليه اسمُ «برج الإمام» لأنه كان يطلُّ على قرافة مصر التي عُرفت باسم الإمام الشافعي، وهو برجٌ كبير ويتكوَّن من فتحة يحيط بها برجان مستديران، وتُعرف هذه الفتحةُ باسم «الباشورة»، وهي عنصر حربي يجعل المدخلَ يتكوَّن من فتحتين متعامدتين تمكِّنان من إيقاف العدوِّ وحجزه بداخلهما.

إلى جانب برج صغير يقع شمالَ برج المقوصر، وهو يشبه أبراجَ صلاح الدين إلَّا أنه أصغر في الحجم.

إعداد
علياء عكاشة

تحرير
أيـمن عامر

إخراج
رنيم جلال

ع : علوي _ **س** : سفلي _ **ي م** : يـمين _ **ي س** : يسار _ **و** : وسط
ع ي م : علوي يـمين _ **ع ي س** : علوي يسار
س ي م : سفلي يـمين _ **س ي س** : سفلي يسار
و ي م : وسط يـمين _ **و ي س** : وسط يسار _ **س و** : سفلي وسط

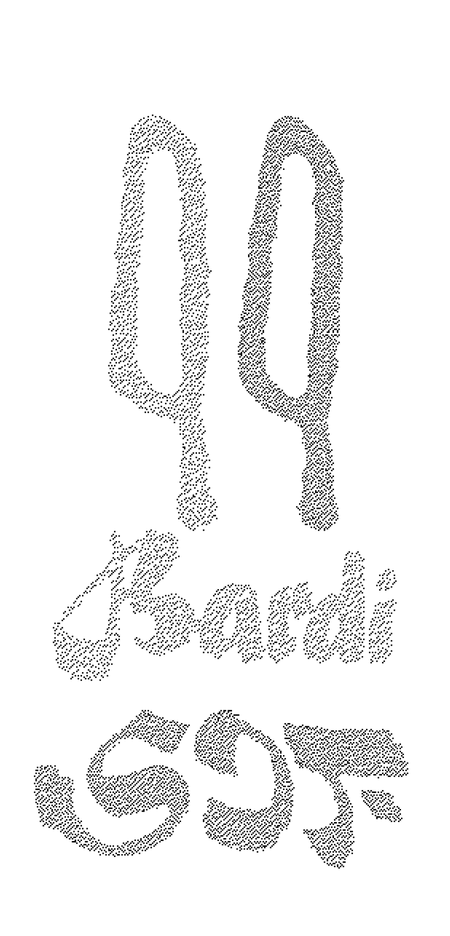
حقوق الصور

محمد الطوخي: صفحة 10-11، 14، 15، 19، 22 س ي س، 23 ع ي م، 24، 25، 28، 29، 32، 33، 39، 40 ع، 40 س ي س، 41، 46، 47، 48، 49، 51، 55، 57 س، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67 ي م، 69، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 84

دينا الغمري: صفحة 6-7، 12- 13، 16، 18، 22 س ي م، 27، 30، 31، 67 ي س، 81، 84، 85، 88، 90-91

عصام عبد الرحمن: صفحة 8-9، 44-45

ISBN: 977-333-162-8



17 ش الدكتور السبكي - الدقي
الجيزة - مصر
تليفون: 33363324-33363323
فاكس: 33363325

www.bardi-eg.com
info@bardi-eg.com
sales@bardi-eg,com


Bardi